الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي
و البحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
قسنطينة

معهد أصول الدّين
قسم الدعوة و الإعلام

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قواعد الدعوة إلى الله
من خلال القصص القرآني

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الدّعوة و الإعلام

إعداد الطالب
بن نينكي شعيب

تحت إشراف
الدكتور : رابح دوب

السنة الجامعية 1995 - 1996

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى

"لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى و لكن تصديق الذي بين يديه و تفصيل كل شيء و هدى و رحمة لقوم يؤمنون"

(يوسف 111).

"فاقصص القصص لعلهم يتفكرون"

(الأعراف 176)

"أدع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتي هي أحسن، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله و هو أعلم بالمهتدين"

(النحل 125)

"قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا و من أتبعني و سبحان الله و ما أنا من المشركين"

(يوسف 108)

صدق الله العظيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء

إلى أمي العزيزة الصابرة التي حملتني في رحمها و تعبت من أجلي.

إلى أبي العزيز الرجل الشجاع الذي تعب في تربيتي و تعليمي.

رب إرحمهما كما ربياني صغيرا.

إلى روح الإمام المصلح الشيخ عبد الحميد بن باديس (رحمه الله).

إلى تلميذه و خليفته، مفتي الجزائر و عالمها، المجاهد بيده و لسانه و قلمه، فضيلة الشيخ العلامة أحمد حماني (حفظه الله).

إلى جميع العلماء و المصلحين و الدعاة و الأساتذة و طلبة العلم حاملي هذه الدعوة و مبلغيها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على رسوله الكريم.

عنوان هذه الرسالة هو : قواعد الدّعوة إلى اللّه من خلال القصص القرآني.

قواعد جمع قاعدة، و القاعدة هي أسفل الشيء تأتي بعد الأصول مباشرة، و قواعد الدّعوة هي الأسس التّي يُبْنَى عليها هرم الدّعوة إلى اللّه.

و قواعد الدّعوة هي أساس أركانها، فلن يثبت الركن و لن يستقر إلاّ إذا بُنِيَ على قواعد صلبة و صحيحة، أصلها كتاب اللّه و سنة رسوله ﷺ.

لذلك أردت أن تكون قواعد الدّعوة إلى اللّه من خلال القرآن الكريم، و من خلال قصص الأنبياء و الرسل و الصالحين.

فالدّعوة إلى اللّه هي وظيفة الأنبياء و الرسل عليهم السلام، فهم صفوة البشر، و خيارهم على الإطلاق، إنّهم من المصطفين الأخيار، و الدّعوة إلى اللّه تعالى أخصّ خصائصهم، و أبرز مهامهم، و هي كذلك وظيفة الأولياء و الأصفياء و الدعاة و العلماء من عباد اللّه الصالحين و المخلصين، فهي أشرف الأعمال، و أرفع العبادات أجرا و قدرا، فهي أمانة تحمّلها الإنسان خليفة اللّه في الأرض.

و سيأتي الحديث عن الدّعوة في القرآن الكريم، و عن علاقتها بالقصص القرآني في الفصل الأول و الثاني إن شاء اللّه تعالى.

يمكن أن أقول إنّ أهم دوافع و أسباب إختيار هذا الموضوع بالذات هي :

لاحظت أنّ موضوع الدّعوة إلى اللّه لم يعط الأهمية المطلوبة من طرف الباحثين و العلماء و المصلحين، فهو لم يرتق بعد إلى مستوى العلم أي "علم الدّعوة إلى اللّه"، فبقيت الدّعوة إلى اللّه بدون تأصيل و تقعيد، و لم تحدد منهجية العمل الدّعوي بطريقة علمية دقيقة و صحيحة.

و الذين كتبوا في القصص القرآني إهتموا بالجانب التاريخي، و الجانب الأدبي و الفني، و جانبُ العبرة و العظة في القصة، و أهملوا ربط كل هذا بفقه الدّعوة إلى اللّه، و إيضاح سنن اللّه و قوانينه في حياة الأنبياء و الرسل، من أجل الوصول بالدّعوة إلى اللّه إلى المستوى العلمي المطلوب.

و قد أدّى هذا الإهمال إلى إنحراف كثير من الحركات الإصلاحية، و عدم إستمرارها، إنحرافها عن منهج الأنبياء و الرسل في الدّعوة إلى اللّه، و بالتالي عدم وصولها إلى الهدف المنشود، و اللّه سبحانه و تعالى يقول ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى و لكن تصديق الذي بين يديه و تفصيل كل شيء و هدى و رحمة لقوم يؤمنون﴾(1).

لذلك ينبغي الإجتهاد من أجل أن تكون الدّعوة إلى اللّه علما واضح الأصول و القواعد، و هذا لن يتأتى إلاّ بإجتهاد العلماء و الدعاة و المصلحين و الأساتذة الباحثين في مختلف العلوم الإسلامية و العلوم الإنسانية و علم الإعلام و الإتصال، بالرجوع إلى كتاب اللّه كمصدر أساسي و أصلي، فالقرآن الكريم يهدي للتّي هي أقوم.

و قد كانت أكبر الصعوبات التي اعترضتني أثناء البحث هي قلة المصادر و المراجع العلمية في هذا التخصص، ممّا صعّب عليّ إستخلاص القواعد الأساسية في الدّعوة إلى اللّه، و قد رجعت إلى بعض الكتب الفكرية، و كتب في الدّراسات القرآنية أشارت إلى أمور تتعلق بالدّعوة إلى اللّه، و كان إعتمادي على كتب التفسير خاصة تفسير ابن كثير، و تفسير الفخر الرّازي، و الظلال، و تفسير المنار و غيرها، و لم أرجع إلى الدوريات لأني وجدت في كتب التفسير ما يغنيني عن ذلك.

إنّ أقرب مناهج البحث العلمي إلى هذا الموضوع هو المنهج التاريخي، لأنّ الإعتماد على قصص الأنبياء و الرسل في القرآن الكريم إعتماد على تاريخ حياتهم و معاملتهم لأقوامهم من خلال ما جاء في القصص القرآني.

فهذا المنهج يأخذ المعلومات التاريخية في حياة البشر ليستفيد من تجاربهم و يأخذ منها الدّروس و العبر، فهو يدرس الظاهرة القديمة من خلال الرجوع إلى أصلها فيصفها، و يسجّل تطوراتها، و يحلّل و يفسّر هذه التطورات إستنادا إلى المنهج العلمي في البحث الذي يربط النتائج بأسبابها. (2)

---

(1) – يوسف 111

(2) – دليل الباحث في المنهجية و كتابة الرسائل الجامعية : عمّار بوحوش، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، 1990، الجزائر، ص 24.

فأخذنا بهذا المنهج هو نظر في أساليب الأنبياء، و كيف واجهوا الصعاب و المشكلات، ثم نربطها بحاضرنا، نستفيد من نقاط القوة في حياتهم و نسعى للإستعانة بها في حل مشاكل الدّعوة المعاصرة، و نأخذ العبرة في نفس الوقت من نقاط الضعف لنتجنب الوقوع فيها.

و الحقيقة أنّ علاقة هذه الرسالة بتفسير القرآن الكريم أكبر من علاقتها بأي شيء آخر، لذلك اتبعت في أغلب الأحيان منهج تفسير القرآن بالقرآن بالدّرجة الأولى، ثم السنة النبوية من خلال التفاسير القرآنية، و لا أدّعي لنفسي قدرة في سلوك هذا المنهج الصعب، و أنا في بداية الطريق، و هذا المنهج يحتاج إلى علم كبير، و دراية بالقرآن الكريم و مختلف علومه، و ربطها بالجانب الإجتماعي و النفسي في حياة الإنسان، و قد كان هذا من أكبر العقبات التي إعترضتني أثناء البحث كذلك.

و قد أخذت بالمنهج التحليلي بعض القضايا و الظواهر في حياة الأنبياء من أجل دراستها حالة حالة، ثم ربط بعضها بالبعض، لنصل إلى نتيجة تشترك فيها جميع الحالات.

و بالنسبة للآيات القرآنية فقد قمت بتخريجها في الهامش، و في بعض الأحيان القليلة أذكر في المتن رقم االآيات و السورة التي تتناول نفس الموضوع، أمّا بالنسبة للأحاديث النبوية الشريفة فقد قمت بتخريجها تخريجا تاما، و ألغيت كل الأحاديث الضعيفة و الموضوعة، و في بعض الأحيان أذكر مكان الحديث في بعض التفاسير للإفادة أكثر، التفاسير التي يكون أصحابها محدثين.

و إنطلاقا من هذا كله قسمت بحثي إلى أربعة فصول و خاتمة.

<u>الفصل الأول</u> : الدّعوة إلى اللّه في القرآن الكريم.

و قد أوضحت في هذا الفصل و بيّنت تعريف الدّعوة إلى اللّه لغة و إصطلاحا، مع بيان أركانها و أهم مجالاتها، ثم حدّدت الأهداف الرئيسية للدّعوة إلى اللّه و هي أهداف أصيلة و بعيدة المدى، كما حاولت إبراز أهم خصائص الدّعوة إلى اللّه من خلال بعض الخصائص الكبرى للقرآن الكريم، و في آخر الفصل ذكرت المناهج العامة للدّعوة في القرآن الكريم.

<u>الفصل الثاني</u> : القصص القرآني و علاقته بالدّعوة إلى اللّه

في هذا الفصل حاولت تحديد العلاقة بين القصص القرآني و الدعوة إلى اللّه من خلال تعريف القصص و عناصره، و أقسامه، و أهدافه و أغراضه.

<u>الفصل الثالث</u> : قواعد في الدّعوة و الداعية من خلال القصص القرآني

في هذا الفصل وضعت القواعد الأساسية في الدّعوة و الدّاعية، و التي بدونها أو بسقوط أحدها لا يمكن للدّاعية أن يكون داعية شرعيا و حقيقيا، و لا يمكنه حتّى الإنطلاق بالدّعوة، و إذا انطلق بدون هذه القواعد كلّها فلن يصل أبدا إلى الهدف المنشود.

الفصل الرابع : قواعد في الأساليب و المدعوين

في هذا الفصل حدّدت و قرّرت القواعد الأساسية في أساليب الدّعوة إلى اللّه، و هي قواعد و أساليب ناجعة في علاج المدعوين و الوصول إلى عقولهم و قلوبهم و عواطفهم، و بيّنت جميع أصناف المدعوين الذين ينبغي على الدّاعية أن يوجه الدّعوة إليهم، و لا ينسى صنفا من هذه الأصناف.

و لا يفوتني في هذه المقام أن أشكر من ساهم في إخراج هذه الرسالة، و أعانني عليها برأي أو توجيه أو مرجع من أساتذتي الكرام و زملائي و إخواني الصادقين، و أخص بالذكر :

وأوجه شكري الأكبر إلى أحبّ النّاس إليّ و صاحب الفضل عليّ، إلى مشرفي عميد الجامعة و رئيسها السيّد معالي الدكتور رابح دوب حفظه اللّه و أعانه على خدمة هذه الجامعة المباركة، و الإسلام و علومه، و الأمة جمعاء، فلقد أيقظني، و دفعني إلى البحث و العمل من أجل إنجاز هذه الرسالة، فما كنت لأنهي هذه الرسالة لولا تشجيعاته و توجيهاته العلمية القيمة و إعاناته المادية الغير متقطعة بآخر ما أُلِفَ من كتب العلم و الفكر و التفسير، لقد بذل الرجل الكثير من وقته رغم صعوبة مهامه و كثرة أعماله، أعانني بلين جانبه و حسن خلقه، أسأل اللّه أن يوفقه و أن يحقق له كل ما يتمنى من خير، و معذرة سيدي الدكتور على ما قد سببتُهُ لك من متاعب.

كما أشكر الدكتور مساعد مسلم آل جعفر و الدكتور غازي عناية و الدكتور سامي الكناني، و الأستاذ بشير عزّالدّين كردوسي و الأستاذ محمد باوني و الأستاذ سمير فرقاني و الأستاذ يوسفي شعيب، و الأستاذ مراد مزعاش و الأستاذ عبد السلام بغانة، و لا أنسى شكر جميع الطلبة الذين ساعدوني، و عمال المكتبة و على رأسهم الأستاذة نونة زغدار.

شكري كذلك لأخي الصغير طارق و زميلي الحكيم الأستاذ بوشفة الأمين و بوفراح صليح.

و في الأخير لا أدّعي الكمال لنفسي، فقد وقعت و لا شك في أخطاء، لكنّي سوف أستفيد من توجيهات السادة الأساتذة المناقشين، الذين لن يبخلوا عليّ بتوجيهاتهم العلمية الدقيقة، و تصويباتهم القيّمة التي ستكون لي عونا إن شاء اللّه على مواصلة البحث، فلكم منّي سادتي

أعضاء لجنة المناقشة جزيل الشكر المسبق و فائق الإحترام و التقدير و السلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته و هو ولي التوفيق و من وراء القصد.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

الدّعوة في القرآن الكريم

المبحث الأول : تعريفها – أركانها ، مجالاتها

المبحث الثاني : الأهداف الرئيسية للدعوة في القرآن الكريم

المبحث الثالث : خصائصها من خلال بعض خصائص القرآن الكريم

المبحث الرابع : المناهج العامة للدعوة في القرآن الكريم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

القرآن الكريم هو المصدر الأول للدّعوة الإسلامية، أنزله اللّه سبحانه و تعالى على رسوله ﷺ ليبشّر و ينذر النّاس أجمعين.

إنّ القرآن الكريم و هو يرمي إلى إخراج النّاس من الظلمات إلى النور، و هدايتهم إلى الصراط المستقيم، جعل الدّعوة الإسلامية أحد موضوعاته الرئيسية، فهو يحوي مناهج الدّعوة إلى اللّه بمختلف أساليبها و وسائلها، و قضاياها، و يبيّن أهدافها السامية، و كيفية الوصول إليها، من خلال إتباع هديه، و الإستفادة من السنن و القوانين التي وضعها، و أشار إليها في حياة الأنبياء و الرسل، و قد كانوا حملة الدّعوة الأوائل، بلّغوها و نصحوا أقوامهم إلى آخر يوم من حياتهم.

و في هذا الفصل سأحاول أن أبيّن مجالات الدّعوة، و أهدافها الرئيسية، و مناهجها العامة ضمن الإطار العام للقرآن الكريم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: تعريفها ـ أركانها ـ مجالاتها.

1ـ تعريفها:

أ) **لغة:** يذهب اللغويون إلى أن كلمة "الدعوة " لها معان مختلفة حسب موقعها في الكلام.

فيقول إبن منظور (1)

قوله تعالى "دعوة الحق" قال الزجاج جاء في التفسير أنها شهادة أن لا إله إلا الله، ودعوة الحق أنه من دعا الله موحدا أستجيب له دعاؤه.

ـ وفي كتابه صلى الله الله عليه وسلم إلى هرقل: أدعوك بدعاية الإسلام أي بدعوته، وهي كلمة الشهادة التي يدعى إليها أهل الملل الكافرة.

ـ ودعا الرَجل دعوا ودعاء ناداه والإسم الدعوة.

ـ ودعوت فلانا صحت به واستدعيته.

ـ فأما قوله تعالى ﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه﴾ (2)، فإن أبا إسحاق ذهب إلى أن يدعو بمنزله يقول:

يدعون عنتر والرماح كأنها أشطان بئر في لبان الأدهم.

معناه يقولون يا عنتر فدنت يدعون عليها.

ـ ولبني فلان الدعوة على قومهم أي يبدأ بهم في الدعاء إلى أعطيتاهم وقد إنتهت الدعوة إلى بني فلان.

ـ وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقدم الناس في أعطيتاهم على سابقتهم فإذا انتهت الدعوة إليه كبر أي النداء والتسمية وأن يقال دونك يا أمير المؤمنين.

ـ وقال بعض اللغويين ((الدعوة إلى الطعام: يقال كنا في دعوة فلان ومدعاة فلان، وهو في الأصل مصدر: يريدون الدعاء إلى الطعام.

ـ والدعوة بالكسر في النسب.

ـ ودعوت فلانا أي صحت به واستدعيته.

---

(1)ـ لسان العرب: إبن منظور، دار المعارف، ج2، ص 1386.

(2)ـ الحج 13.

ودعوت الله له وعليه دعاء.

والدعوة المرة الواحدة.

والدعاء: واحد الأدعية وأصله دعاء لأنه من دعوت إلا أن الواو لما جاءت بعد الألف همزت" (1)

وهكذا تخلص إلى أن الدعوة تتضمن في اللغة معنى التوحيد، والنداء، والقول، والصيحة والإستدعاء والإبتداء والطلب.

ب) **وفي الإصطلاح.**

هناك عدة تعريفات للدعوة بحسب ضوابطها وقيودها فهناك من يضبطها بالدعوة إلى الإيمان وأركانه وتصحيح العقيدة وهناك من يقيدها ويربطها بالمنطق وواقع الناس وحال الدعاة ويحصرها في جانب أو مجال واحد من مجالاتها، ونكاد لا نجد تعريفا إصطلاحيا يتفق عليه كل العلماء والدعاة، وقد يرجع سبب ذلك إلى إتساع مجال الدعوة واختلاف أهدافها ووسائلها، ورغم ذلك ينبغي على علماء الدعوة أن يصلوا إلى تحديد تعريف شامل وعام وجامع للدعوة الإسلامية من خلال القرآن الكريم.

- وإذا كانت الدعوة لغة هي القول والنداء فيمكن أن تكون الدعوة إلى هدى وإلى الخير والمعروف والإصلاح، كما يمكن أن تكون إلى الفساد والضلال والبدعة والقتال.

- والمقصود باللدعوة غالبا، هو الدعوة إلى الإصلاح وتبليغ رسالة الإسلام كما جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم، ففيها السلامة والنجاة ومصلحة الناس دنيوية وأخروية.

- فهناك من عَرفها بأنها دعوة الناس إلى الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل، وهي كذلك إحياء للنظام الإلهي الذي أنزله الله عز وجل على نبيه الخاتم وذلك بقيام العلماء والمستنيرين في الدين بتعليم الجمهور والعامة ما يبصرهم بأمور دينهم ودنياهم على قدر الطاقة.

---

(1)- تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت لبنان 1404 هـ الموافق 1984م، ط3، ج6، ص 2336، 2337.

((والله هو السياج الوحيد الذي يستطيع أن يحيط بالدعوة، وهو قوله تعالى ﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (1)، تشعرون بمدى أبعاد الإطلاق الذي جاء في هذه الأية وأبعاد التقيد الذي جاء فيها فأطلق وقال: "أدع إلى سبيل ربك" ما حدد وما عين شيئا معينا خاصا، فمثلا تدعون الناس إلى الإيمان بالله وحده وإلى العقيدة الصحيحة وتحثون على الصلاة، تدعون إلى مكارم الأخلاق وإلى الفضيلة، أو تدعون الناس إلى الشعور بالكرامة الإنسانية، وسبيل ربك يحوي كل شيء، إنه يمتد ويسع الآفاق، ليست هذه هي الأفاق فقط، إنما أفاق الأديان السماوية وآفاق الحاجات البشرية والحياة الإنسانية...، أدع، لايختصر بالخطابة ولا يختصر بالكتابة ولا يختصر بالوعظ والنصيحة)) (2)

فأبو الحسن الندوي، يبين في هذا التعريف للدعوة من خلال الآية الكريمة أنها مطلقة وشاملة لكل شيء فهي غير مقيدة إلا بما قيده الله عز وجل.

وهنالك من الدعاة والعلماء من حددها بالإيمان وأركانه وصرف الناس إلى مصلحة وإنقاذهم من ضلالة ومن مصيبة فقال 'الدعوة إصطلاحا هي الدعوة إلى الله، والإيمان به إلها واحدا لاشريك له، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر والقدر خيره وشره وصرف الناس وعقولهم إلى عقيدة نفيدهم أو مصلحة تنفيعهم أو إنقاذهم من ضلالة كادوا يقعون فيها أو من مصيبة كادت تحدق بهم، والدعاية مرادفة للدعوة حيث وردت في رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك في قوله "أدعوك بدعاية الإسلام" (3)

---

(1)- النحل 125.

(2)- روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة: أبو الحسن علي الحسن الندوي، دار القلم، الكويت 1985م، ط3، ص 13 - 14.

(3)- الدعوة إلى الله على بصيرة: عبد النعيم محمد حسنين، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1984م، ص 17 - 18.

- وهناك من ربطها بالجهد الإنساني في نقل الأمة والناس من محيط إلى محيط آخر على طريق التوافق مع سنن الله وقوانينه الكونية والتشريعية فقال: ((الدعوة هي ذلك الجهد المنهجي المنظم الهادف إلى تعريف الناس بحقيقة الإسلام، وإحداث تغيير جذري متوازن في حياتهم على طريق الوفاء بواجبات الإستخلاف، إبتغاء مرضاة الله تعالى والفوز بما إدخره لعباده الصالحين في عالم الآخرة)) (1)

- وهناك من عرفها بربطها ببعض الأهداف التي جاءت من أجلها: ((والدعوة التي نعنيها، والتي يجب على المسلمين القيام بها هي التي تهدف إلى:

1) تأسيس المجتمع الإسلامي: كدعوة الرسل عليهم السلام التي كانت تهدف في المجتمع الجاهلي من دعوة الناس إلى دين الله سبحانه وتعالى وتبليغهم وحيه، وتحذيرهم من الإشراك به.

2) دعوة الإصلاح في المجتمعات المسلمة: التي اصيبت بشيء من الإنحراف وظهر فيها بعض المنكرات، وضيع فيها بعض الواجبات.

3) إستمرار الدعوة في المجتمعات القائمة بالحق: للحفاظ على سلامتها بالموعظة الدائمة والتذكير والتزكية والتعليم)) (2)

- وكل هذه التعاريف صحيحة ولكنها جزئية في عمومها، حصرت في تعريف الدعوة بالنظر إليها من زاوية معينة وسأحاول بإذن الله أن أصل في نهاية البحث إلى تعريف الدعوة تعريفا شاملا وكاملا يكون من نتائج هذا البحث.

---

(1)، منهج النبي صلى الله عليه وسلم في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية: الطيب برغوث، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية قسنطينة 1991 ـ 1992، ص 17 ـ 18.

(2)- الدّعوة قواعد وأصول: جمعة أمين عبد العزيز، دار الدعوة، الإسكندرية ،مصر، ط2، 1989م، ص 16.

2- أركانها.

- المقصود بأركان الدَعوة هي العناصر التي تتكون منها العملية الدعوية أوهي العناصر التي تتكون منها حركة الدعوة من بدايتها إلى نهايتها. وهناك من عدَها بأربعة وهناك من عدها بخمسة ((أركان الدعوة أي كانت تتكون من امور أربعة أساسية وخامس مكمل - داع ــ ومدعو -ومدعوبه -ومدعو إليه - والخامس المكمل هو الهدف والغرض من الدعوة .)) (1)

وفي القرآن الكريم نجد بعض الأيات تتحدث عن عنصر من هذه العناصر وبعضها عن عنصرين فقط وهكذا، ولقد ذكر الامام إبن باديس في تفسير قوله تعالى ﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾(2) أن ((أركان الدعوة أربعة فالداعي وهو النبي صلى الله عليه وسلم والمدعو وهم جميع الناس - والمدعوإليه وهو سبيل الرب جلَ وعلى، والدعوة إلى سبيله الموصل إليه دعوة إليه، فالمدعو إليه في الحقيقة هو الله تعالى)) (3)

وينبغي على العلماء والدَعاة خاصة منهم الباحثين في علم الدعوة وفقهها أن يفرقوا بين أركان الدعوة وأهدافها وأسسها، كي يصل المختصون والدَارسون لهذا العلم إلى التمييز بين المصطلحات وضبطها وفي الأخير الإتفاق عليها وتوحيدها، لأن الملاحظ في كتابات الدعوة إلى الله أن هناك خلط في المصطلحات، فهناك من يذكر الأركان ويجعلها أهدافا وأسبابا للدعوة، وكي نخرج من هذا المشكل يبدو أنه من الممكن أن نستيعن بعلم الإعلام والإتصال، وهو علم قريب من الدعوة إلى الله وفقهها.

---

(1)- منهج الدعوة إلى الله في القرآن الكريم: إبراهيم خليفة، محاضرات ألقيت على طلبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية سنة 1989 - 1990، الشريط 2، مسجد الأرقم، الحي الجامعي بن باديس، قسنطينة.

(2)- النحل 125.

(3)- مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: عبد الحميد بن باديس، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ط1، 1982، الجزائر، ص 67.

ولا يكاد يختلف الباحثون في أنَ العملية الإعلامية تشمل العناصر الخمسة التالية:

- المرسل للرسالة الإعلامية.
- الرسالة الإعلامية نفسها.
- الوسيلة التي تقوم بنقل هذه الرسالة.
- المستقبل للرسالة الإعلامية.
- الإستجابة للرسالة الإعلامية.

وقد لخص "هارولد لازويل Harold Lasswell" **عملية الإتصال في** عبارته **التالية التي** تحمل كل عناصر العملية الإعلامية، وهذه العبارة هي: {من؟ يقول **ماذا؟ بأي** وسيلة؟ إلى من؟ وبأي تأثير؟} (1)

ولو قابلنا هذه العناصر الإعلامية بالعناصر الدعوية نجد مايلي:

- المرسل للرسالة الإعلامية هو الداعية إلى الله، سواء كان رجل إعلام **(صحفي** أو مذيع) أو كان كاتبا أوأستاذا، أو خطيبا وواعظا ومدرسا أو غير ذلك.
- الرسالة الإعلامية هي الرسالة الإسلامية، وهو المدعو إليه أي الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقا وأحكاما ومنهج حياة.
- الوسيلة التي تقوم بنقل هذه الرسالة وهي في الدعوة كذلك وسائلها، وقد تكون أساليبها، كما يمكن أن يكون الداعية نفسه وسيلة بأخلاقه وقدوته ومعاملاته وتحركه ومقابلة المدعوين ودعوتهم ومجادلتهم بالتي هي أحسن.
- المستقبل للرسالة الإعلامية في الدعوة إلى الله هم المدعوون عموما، وجميع الأصناف من الناس والجمهور.
- والإستجابة للرسالة الإعلامية هي النتيجة المنتظرة من الدعوة، وهي الهدف الرئيسي البعيد، أو الهدف المرحلي القريب، وهو كذلك التأثير على المدعوين وحملهم على الطاعة والإستجابة لدعوة الداعي إذا دعاهم لما يحييهم.

---

(1)- الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية: محي الدين عبد الحليم، دار الرفاعي، الرياض، ط2، 1404 هـ 1984 م، ص 24.

3- مجالاتها.

إن مجال الدعوة الأول هو الإنسان والفرد والمجتمع، فما من نبي إلا ودعا قومه إلى الصلاح والإصلاح والإبتعاد عن المنكر، ومجال الدعوة الأول والأساسي هو جانب العقيدة والإيمان والتوحيد، لاشك في ذلك كما سنرى إن شاء الله في مبحث أهداف الدعوة إلى الله، لأن العقيدة إذا صلحت وصحت يتبعها السلوك الصحيح والحسن، وهو ثمرة من ثمارها، فالأخلاق مرتبطة إرتباطا وثيقا بالعقيدة والإيمان، فالقول والفعل والعمل في حياة الإنسان يكون طبقا لما آمن به ويؤمن له، لذلك نجد الأنبياء والرسل يدعون قومهم أولا إلى توحيد الله في ألوهيته وربوبيته، ثم بعد ذلك يأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر، ((قد وجد القرآن - وهو يربي هذه المجتمعات - ركاما من التراب فوق أكبر حقيقة مات تحت رايتها الشهداء وتعذب من أجلها الصالحون، وطرد لها الأنبياء، لأنها تحرير للإسنان من كل عبودية في الأرض، وجعل هذه العبودية لله وحده... وهي إعلاء لكرامة الإنسان ومشعل يحمله في يده يجوب به مسالك الحياة... إنها دعوة التوحيد لأكمل صورة.)) (1).

إن العلاقات الإنسانية سواء كانت في مجال الإجتماع أو الإقتصاد أو السياسة تحكمها مكارم الأخلاق التي جاء بها القرآن الكريم، وحرص الأنبياء والرسل عليها، ودعوا قومهم إلى التمسك بها، ((ولا يكاد ينتظم أمر الإجتماع كما إنتظامه، ولا ترى الأمة عقدها مأمونا من إنفصامه ما لم تكن مكارم الأخلاق غالبة على جمهورها، وسائدة في معظم تصاريفها وأمورها، لأن ملاك مكارم الأخلاق هو تزكية النفس الإنسانية أعني إرتياض العقل على إدراك الفضائل وتمييزها عن الرذائل االملتبسة بها، وارتياضه أيضا على إرادة التحلي بتلك الفضائل وعدم التفريط في شيئ منها لإعتقاده أن بلوغ أوج الكمال لا يحصل إلا بذلك التحلي، وارتياضه على العزم على تسيير آلات العمل الإنسانية على

---

(1)- منهج القرآن في تربية المجتمع: عبد الفتاح عاشور، مكتبة الخانجي بمصر، ط1، 1979م، ص 118.

مقتضيات ذلك الإدراك وتلك الإرادة وذلك العزم، وعلى أن يأمر تلك الآلات المسماة بالجوارح فتكون إندفاعاتها إلى وظائفها العملية على نحو ذلك الإدراك وتلك الإرادة وذلك العزم...، وهذه الفضائل غايتها بلوغ النفس الإنسانية إلى أرقى ما خلقت له.)) (1)

قال تعالى ﴿ونفس وما سواه فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾(2).

﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ (3)

إن مجال الدعوة بعد المجال العقيدي الذي نجده في القرآن الكريم يشمل ثلاث مجالات:

أ) *المجال الإجتماعي.*

ب) *المجل الإقتصادي.*

ج) *المجال السياسي.*

أ) المجال الإجتماعي:

لقد ذكر القرآن الكريم ألوانا من الفساد الإجتماعي، فذكر في قصة لوط مثلا قضية خطيرة تتمثل في إنحراف الإنسان عن فطرته الجنسية في إتيان النساء إلى إتيان الرجال كما ذكر في قصته قضية التعدي على الناس والتجار والمارة، حيث أنهم كانوا يقطعون السبيل، وفي قصة هود وصالح ذكر الله عز وجل الإسراف والعبث في اتخاذ المساكن وبناء القصور عبثا وتمتعا، ولعله لم يكن هناك عدل إجتماعي، وكان الظلم مستحكما، وكانوا يتخذون مصانعا ظنا منهم أنهم سيكونون من الخالدين، قال هود لقومه: ﴿أتبنون بكل ريع* آية ** تعبثون

(1) أصول النظام الإجتماعي في الإسلام: محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، الدار العربية للكتاب 1979م، ص 123 - 124.

(2) الشمس 7 - 8 - 9 - 10.

(3) النازعات 40 - 41.

* ريع: المكان المرتفع.

** أية: قال النقاش وغيره: القصور الطوال، وقال مجاهد: أبراج الحمام، وقال بن عباس : أية:علما، (تفسير البحر المحيط: لإبن حيان، دار الفكر، ط2، 1982م، ج7، ص 32.)

وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون، وإذا بطشتم بطشتهم جبارين فاتقوا الله وأطيعون، واتقوا الذي أمدكم بما تعملون، أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون، إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم.≻ (1)

((والريع المرتفع من الأرض، والظاهر أنهم كانوا يبنون فوق المرتفعات بنيانا يبدو للناظر من بعد كأنه علامة، وأن القصد من ذلك كان هو التفاخر والتطاول بالمقدرة والمهارة، ومن ثم سماه عبثا، ولو كان لهداية المارة ومعرفة الإتجاه ما قال لهم "تعبثون"، فهو توجيه إلى أن ينفق الجهد وتنفق البراعة وينفق المال في ما هو ضروري ونافع، لا في الترف والزينة، ومجرد إظهار البراعة والمهارة، ويبدو كذلك من قوله "وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون" أن "عاد" كانت قد بلغت من الحضارة الصناعية مبلغا يذكر، حتى لا تتخذ المصانع لنحت الجبال وبناء القصور وتشييد العلامات على المرتفعات، وحتى لا يجول في خاطر القوم أن هذه المصانع وما ينشؤونه بواسطتها من البنيان كافية لحمايتهم من الموت ووقايتهم من مؤثرا الجو ومن غارات الأعداء.)) (2)

≺وإذا بطشتم بطشتم جبارين≻ (3).

"يمضي هود في استنكار ما عليه قومه، فهم عثاة غلاظ يتجبرون حين يبطشون ولا يتحرجون من القسوة في البطش، شأن المتجبرين المعتزين بالقوة المادية التي يملكون، وهنا يردهم هود إلى تقوى الله وطاعة رسوله لينهاهم عن هذه البطشة المتجبرة الغادرة." (4)

---

(1)- الشعراء 128 - 135.

(2)- في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، ط12، 1986، ج5، ص 2609.

(3)- الشعراء 130.

(4)- المرجع السابق، ج5، ص 2610.

"وأما ثمود، فقد أسرفوا في اللذات الحسية من مأكل ومشرب ومساكن فخمة، وكانوا لا يشكرون الله على هذه النعم الكثيرة وهم ظلمة فجرة، يطيعون أمر المسرفين، فقال لهم أخوهم صالح ﴿كذبت ثمود المرسلين، إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون، إني لكم رسول أمين، فاتقوا الله وأطيعون، وما أسألكم عليه من أجر، إن أجري إلا رب العالمين، أتتركون فيما هنا آمنين في جنات وعيون وزرع ونخل طلعها هظيم، وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون الأرض و لا يصلحون﴾ (1)

((وإنهم ليعيشون بين هذا المتاع الذي يصوره لهم أخوهم صالح، ولكنهم يعيشون في غفلة عنه، لا يفكرون فيمن وهبهم إياه، ولا يتدبرون منشأه ومأتاه، ولا يشكرون المنعم الذي أعطاهم هذا النعيم، فيأخذ رسولهم في تصوير هذا المتاع لهم ليتدبروه ويعرفوا قيمتهم ومخاف زواله... أتتركون في هذا كله من جنات وعيون وزروع متنوعات ونخل جيدة الطلع سهلة الهضم، حتى كأن جناها مهضوم لا يحتج إلى جه في البطون، وتتركون في البيوت تنتحونها في الصخور بمهارة وبراعة وفي أناقة وفراهة)) (2).

وهكذا نرى أن هود وصالح قد دعوا قومهم وحاولا إصلاح فسادهم مركزين في ذلك على المجال الإجتماعي والجانب السكني والحياتي، وأنتقل الآن إلى جانب آخر في المجال الإجتماعي، إنه جانب العلاقات الجنسية من خلال قصة لوط (3) عليه السلام ، ولقد عالجت دعوة لوط عليه السلام لونا ومجالا فريدا من مجالات الدعوة وقضاياها، إنها قضية تحول المودة والرحمة بين الذكر والأنثى إلى إنفصام كبير، فإذا الذكر للذكر يميل، والأنثى للأنثى أميل، فأصبحت القضية إليهم عادية وأمرا مألوفا مستساغا، لا يستدعي إنكارا و لايستجلب عارا.

---

(1)- الشعراء 141 - 152.

(2)- في ظلال القرآن: سيد قطب، ج5، ص 2611.

(3)- لوط عليه السلام هو إبن هاران بن تارخ إبن أخ إبراهيم، فإبراهيم خليل الرحمن هو عم لوط عليه السلام، أرسله الله إلى أهل سدوم وكانوا أهل كفر بالله وركوب الفاحشة، (تاريخ الأمم والملوك: محمد بن جريري الطبري، مؤسسة عز الدين، بيروت، لبنان، 1987، ج1، ص 149 - 150.)

والقرآن الكريم أخذ يعالج هذه القضية في مسلك إجتماعي من خلال دعوة لوط وهو يبرز بذلك مكانة النظام الإجتماعي في الإسلام وأهميته، وهذه المسألة تطرق إليها القرآن الكريم في ثنايا السور المكية غالبا، وبعض السور المدنية بطريقة محكمة هادفة، بعد أو عقب ذكر قصص الأنبياء أو مفاهيم إيمانية أو مبادئ أخلاقية، أو سنن وقوانين كونية، وهو بهذا يلفت الأنظار يوجه الدعاة إلى الإلتفات والإعتناء والدعوة والتربية في المجال الإجتماعي.

وقوم لوط كما ذكر القرآن الكريم اشتهروا بإتيانهم الرجال شهوة، وبكونهم أول من فعل ذلك من العالمين، وباتفاقهم جميعا على ذلك المنكر، وبالإعلان عنه جهرة، التفاخر به إلى جانب أعمال أخرى وفواحش كانوا يأتونها في ناديهم، قال تعالى: ﴿ولوط إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة مع سبقكم بها من أحد من العالمين، إنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر، فما كان جواب قومه إلا أن قالوا إيتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين، قال رب أنصرني على القوم المفسدين﴾ (1)

يقول لهم لوط ((إنكم لتأتون الفاحشة" أي الخصلة القبيحة وهي إتيان الذكران وتقطعون السبيل أي إعتدائهم على المارة في السبيل، فامتنع الناس من المرور خوفا منهم، و"تأتون في ناديكم المنكر" أي ما ليس أحاديثكم تأتون المنكر كالضراط وحل الإزار والفاحشة في اللواط... ثم يواصل لوط إنكارع وشنيعه عليهم: "أئنكم لتأتون الرجال في الأدبار"أئنكم" علامة الإستفها للإنكار والتوبيخ والتقرير على جريمتهم التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين، وتقطعون السبيل ذلك أنهم كانوا يعتدون على المارة بعمل الفاحشة معهم قصرا وسلب أموالهم، وبذلك إمتنع الناس من المرور، فانقطعت السبيل كما أنهم بإتيانهم الذكران عطلوا النسل بقطع سبيل الولادة، وزاد لوط في تأنيبه والإنكار عليهم والتوبيخ لهم فقال:

---

(1)- العنكبوت 28 - 30.

"وتأتون في ناديكم المنكر"، والنـادي محل إجتماعهم وتحدثهم وإتيان المنكر فيه بارتكاب الفاحشة مع بعضهم البعض بالتضارط فيه وحل الإزار والقضف بالحصى، وما إلى ذلك أنهم كانوا يتناطحون بين الكباش ويناقرون بين الديوك، والصفير وتطريف الصابع بالحناء، وفرقعتها مما يؤثر عنهم من سوء وقبح، وهنا كذلك التحذير من العبث والباطل قولا وعملا.)) (1).

ب) المجال الإقتصادي.

مجال الإقتصاد مجال واحد، ومن أهم جوانبه جانب التجارة والمال، والبيع والشراء، والإنسان بطبعه يحب المال حبا كثيرا، قال تعالى:﴿وإنه لحب الخير لشديد.﴾(2)

﴿وتحبون المال حبا جما﴾ (3)

لذلك نجد القرآن الكريم قد إعتنى بالمال وبالكيل والميزان، فوعد المطففين بالويل والعذاب الشديد، وأنزل في ذلك سورة سماها "سورة المطففين" قال تعالى ﴿ ويل للمطففين الذين إذا إكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون، ألا يظنوا أولائك أنهم مبعوثون ليوم عظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين.﴾ (4)

"ونزلت هذه السورة والأيات في المدينة، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة وجد أهلها يطففون ويخسرون الميزان بالزيادة والنقصان، وكانوا من أخبث الناس كيلا، فنزلت هذه الأيايات فحسنوا الكيل بعد ذلك." (5)

---

(1)ـ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: أبي بكر جابر الجزائري، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 1992، مجلد 4، ص 127 ـ 128.

2)ـ العاديات 8.

(3)ـ الفجر 20.

(4)ـ المطففون 1 ـ 6.

(5)ـ مختصر تفسير إبن كثير: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط7، 1981م، ج3، ص 613 بتصرف

وشعيب عليه السلام (1) وهو نبي من أنبياء الله ورسله وداعية إلى الله عز وجل، دعا قومه إلى عبادة الله وتوحيده أولا، ثم دعاهم إلى الإيفاء في المكيال والميزان بالقسط والعدل، وألا يبخسوا الناس اشياءهم ولا يعثوا في الأرض مفسدين، قال تعالى: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره، ولا تنقصوا المكيال والميزان، إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط، ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين، بقيه الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ.﴾

وكان شعيب ضرير البصر، وبعث إلى مدين "كان أهل مدين يعيشون في رغد من العيش وفي بحبوحة من الحياة، وكانوا يشتغلون بالتجارة، يشترون الحنطة والشعير وغير ذلك من الحبوب، ويخزنونها عندهم فيتربصون بها الغلاء، وكان لهم مكيالان... مكيال واف يشترون به، ومكيال ناقص يبيعون به، وميزانان كذلك، فكانوا يطففون المكيال والميزان حين يكتالون ويزنون على الناس ويخسرونها إذا كالوهم أو وزنوهم ويماكسون الناس ويبخسونهم أثمان اشيائهم وسلعهم إذا أرادوا شراءها." (2)

فخرج إليهم شعيب يريد إصلاح فسادهم الإقتصادي، وهو يقول إني أريد إلا الإصلاح ما ستطعت، وما توفيقي إلا بالله أحذرهم من التطفيف ومن الإثم والعدوان والفساد والفوضاى وعدم النظام، قال تعالى: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره، قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل

---

(1)- شعيب عليه السلام قيل أنه من ولد إبراهيم أو من آمن بإبراهيم، وقد هاجر معه إلى الشام، وهو إبن بنت لوط، فجدة شعيب إبنة لوط، وكان ضرير البصر وأرسل إلى مدين (الكامل في التاريخ: إبن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ط5، 1985، ج1، ص 88.)

(2)- حياة وأخلاق الأنبياء: أحمد الصباحي عوض الله، دار إقرأ، بيروت، ط3، 1985م، ص 165.

والميزان و لا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾(1)

((وقد ثني بالأمر بإيقاء الكيل والميزان إذا باعوا ونهى عن البخس بخسر الناس اشيائهم إذا اشتروا بعد أن أمرهم بتوحيد الله لأن ذلك كان فاشيا فيهم أكثر من سائر المعاصي، ومن ثم إهتم به كما اهتم لوط بنهي قومه عن الفاحشة التي كانت فاشية فيهم، فقد كان من المطففين الذين إذا اكتالوا على الناس أو وزنوا عليهم لأنفسهم ما يشترون من مكيلات والموزونات ويستوفون حقهم، وإذا كالوهم أو وزنوهم ما يبيعون لهم يخسرون الكيل والميزان أي ينقصونه، فيبخسونهم أشياءهم و ينقصونهم حقوقهم، والبخس يشمل نقص المكيال والميزان وغيرهما من المبيعات كالمواشي والأشياء المعدودة، ويشمل البخس في المساومة والغش والحيل التي تنقص بها الحقوق، وفي الحقو المعنوية كالعلوم والفضائل...عليكم ألا تفسدوا فيها ببغي ولا عدوان على الأنفس والأعراض والأخلاق بارتكاب الإثم بالفواحش ولا تفسدوا فيها بالفوضى وعدم النظام وبث الخرافات والجهالات التي تعوض نظام المجتمع، وقد كانوا من المفسدين للدين والدنيا.)) (2)

ج)- المجال السياسي.

المقصود بالمجال السياسي مجال الحكم والإمارة، وتولي المناصب العليا في الدولة، وللسياسة علاقة وطيدة بالإجتماع والإقتصاد والمال، والداعية إلى الله إنما يدخل هذا المجال من أجل غرض وهدف، وهو إصلاح ما فيه من فساد والمحافظة ورعاية مصالح الخلق والعباد.

---

(1)- الأعراف 85

(2)- تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي، دار الفكر، 1974، ط3، ج7، مجلد 4، ص 209 - 210.

ويعتقد كثير من الدعاة والمصلحين أنَ مجال السياسة مجال بعيد عن الدعوة والإصلاح، وأنَ لهذا المجال رجال آخرون إختصوا فيه، وهذا صحيح من جانب أن لكل مجال رجاله، وخطأ من جانب أن مجال السياسة بعيد عن الدعوة والإصلاح، فينبغي أن تندب فئة من الدعاة إلى الله لدراسة التخصصات السياسية بعد الدراسة الشرعية والتعمق في أمور الدين.

والنظام السياسي الإسلامي يقوم على دعائم ثلاث، التوحيد، الرسالة والخلافة، توحيده لسبحانه وتعالى في كل شيئ، وليس الحكم والسلطان والأمر والنهي إلا لله وحده، وهو مستاثر بالطاعة والعبودية التي لايشاركه فيها أحد سواه... أما الرسالة فهي الوسيلة التي يصل بها إلينا القانون الإلهي، والذي تلقيناه بواسطتها هو الكتاب والسنة... أما الخلافة فهي أن الإنسان في هذا الكون نائب عن الله في مملكته لا يتصرف فيها إلا طبقا لحق الإستخلاف والتصرف الذي وهبه الله إياه." (1)

وإذا كانت تلك هي دعائم النظام السياسي الإسلامي، فينبغي على الدعاة دخول هذا المجال بقوة وإخلاص، وإننا نجد في قصص القرآن الكريم أن الأنبياء والرسل بعد دعوة قومهم إلى التوحيد والإيمان، راحوا يحاولون إصلاح الحكم والحاكم، مثل ما حدث لإبراهيم خليل الرحمان عليه السلام مع النمرود، وما حدث لموسى عليه السلام مع فرعون، وكذلك شأن أغلب الأنبياء فقد توجهوا إلى حكامهم بالدعوة والنصح ومواجهتهم بكل جرأة وشجاعة.

- وأريد أن أذكر في هذا المقام نموذجا قرأنيا للأنبياء والرسل في دخول مجال الإمارة والحكم والسلطان، إنه مثل يوسف عليه السلام الذي قال ﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم. ﴾(2)

(1)- نظام الحياة في الإسلام: أبو الأعلى المودودي، مؤسسة الرسالة بيروت 1983م، ص 21 - 22 - 23 - 24 بتصرف.

(2)- يوسف 55.

فيوسف عليه السلام طلب الإمارة ودخل مجال السايسة والحكم على خزائن الأرض من أجل أن يرعى مصالح الخلق، وهو صادق في ذلك وقادر على تحقيق ما طلب من الملك، ((وليس من الرياء إذا طلب صرف وجوه الناس إليه بإظهار علمه وفضله ما دام لم يقصد الشرف والرئاسة، وإنما أراد أن يقصده الناس لينتفعوا بعلمه ويستنيروا بنوره، فهذا قصد حسن... وكذلك إذا كان في منزلة دون منزلته التي يستحقها مثله، فله أن يظهر علمه وفضله طلبا لحقه في التشريف، وحتى لا ينزله الناس منزلة من هو دونه، وفي الحديث "لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه"(1))) (2)

وقد ذكر الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير، مسألة فصل فيها تفسير قوله تعالى: ﴿ إجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم.﴾ (3)، بعد أن أنقلها كاملة كما جاءت في كتابه، وهي لائقة ومنسجمة مع ما نريد تأكيد من وجوب دخول المجال السياسي في الدعوة إلى الله.

((لقائل أن يقول لما طلب يوسف الإمارة والنبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمان بن سمرة ((لا تسأل الإمارة)) (4)، وأيضا فكيف طلب الإمارة من سلطان كافر، وأيضا لما لم يصبر مدة، وأيضا لما أظهر الرغبة في طلب الإمارة في الحال، وأيضا طلب أمر الخزائن في أول الأمر مع أن هذا يورث نوع تهمة،

---

(1)- رواه الترميذي وقال حديث حسن غريب، كتاب الفتن الباب 66، (356/3)، وابن ماجة في كتاب الفتن، باب قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم" (1332/2)، وأحمد بلفظ لا ينبغي للمسلم في مسنده (405/5).

(2)- دعوة الإسلام: السيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت ص 181.

(3)- يوسف 55.

(4)- حديث متفق عليه، رواه البخاري في كتاب الأحكام، باب من يسأل الإمارة وكل إليها (106/8)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها (5/6)، والرجل الذي خاطبه الرسول صلى الله عليه وسلم هو عبد الرحمان بن سمرة.

وأيضا كيف جوز من نفسه مدح نفسه بقوله "إني حفيظ عليم" مع أنه تعالى يقول:﴿ فلا تزكوا أنفسكم﴾ (1) وأيضا فما الفائدة في قوله إني حفيظ عليم، وأيضا لما ترك الإستثناء في هذا فإن الأحسن أن يقول إني حفيظ إن شاء الله بدليل قوله تعالى ﴿ولا تقولن لشيئ إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله﴾ (2)

فهذه أسئلة سبعة لا بد من جوابها.

فنقول الأصل في جواب هذه المسائل أن التصرف في أمور الخلق كان واجبا عليه لوجه:

الأول: أنه كان رسولا حقا من الله تعالى إلى الخلق والرسول يجب عليه حماية مصالح الأمة بقدر الإمكان.

الثاني: هو أنه عليه السلام علم بالوحي أنه سيحصل القحط والضيق الشديد الذي ربما أفضى إلى هلاك الخلق العظيم، فلعله تعالى أمره بأن يدبر في ذلك ويأتي بطريق لأجله يقل ضرر ذلك القحط في حق الخلق.

الثالث: أن السعي في إيصال النفع إلى المستحقين ودفع الضرر عنهم أمر مستحسن في العقول.

وإذا ثبت هذا القول: إنه عليه السلام كان مكلفا برعاية مصالح الخلق من هذه الوجوه وما كان يمكنه رعايتها إلا بهذا الطريق، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فكان هذا الطريق واجبا عليه، ولما كان واجبا سقطت الأسئلة بالكلية وأما ترك الإستثناء، قال الواحدي "كان ذلك من خطيئة أوجبت عقوبة وهي أنه تعالى أخر عنه حصول ذلك المقصود سنة، وأقول لعل السبب فيه أنه لو ذكر هذا الإستثناء لأعتقد فيه الملك أنه إنما ذكره لعلمه بأنه لا قدرة له على ضبط هذه المصلحة كما ينبغي، فلأجل هذا المعنى ترك الإستثناء.

---

(1)- النجم 32.

(2)- الكهف 23.

وأما قوله لما مدح نفسه، فجوابه من وجوه: لا نسلم أنه مدح لنفسه لسكنه دون غيره موصوف بهاتين الصفتين النافعتين في حصول هذا المطلوب، وبين البابين فرق، وكأنه غلب على ظنه أنه يحتاج إلى ذكر هذا الوصف لأن الملك وإن علم كماله في علوم الدين، لكنه ما كان عالما بأنه يعي بهذا الأمر، ثم نقول هب أنه مدح نفسه إي أن مدح النفس إنما يكون مذموما إذا قصد الرجل به التطاول والتفاخر والتوصل إلى غير ما يحل، فأما على غير هذا الوجه فلا نسلم أنه محرم، فقوله تعالى "فلا تزكوا أنفسكم" المراد منه تظكية النفس حينما يعلم أنها غير متزكية والدليل عليه قوله تعالى بعد هذه الأية "هو أعلم بمن إتقى"، أما إذا كان الإنسان عالما بأنه صدق وحق، فهذا غير ممنوع منه والله أعلم.

وقوله ما الفائدة في وصف نفسه بأنه حفيظ عليم، قلنا إنه جاز مجرى أن يقول:

1- حفيظ يجمع الوجوه التي منها يمكن تحقيق الدخل والمال عليه بالجهات التي تصلح لأن يعرف المال إليها.

2- حفيظ عليم: حفيظ بجميع مصالح الناس، عليم بجهات حاجاتهم.

حفيظ لوجوه أياديك وكرمك، عليم بوجوب مقابلتها بالطاعة والخضوع، وهذا باب واسع يمكن تكثيره لمن أراد.)) (1)

---

(1)- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، دار اللفكر بيروت لبنان، 1985، ط3، م9، ج18، ص 164 - 165.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: الأهداف الرئيسية للدعوة في القرآن الكريم.

الأهداف الرئيسية للدعوة هي الأهداف الكبرى والبعيدة المدى التي جاء من أجلها الرسل وبعثوا في أقوامهم وأوحى الله إليهم، فهي ليست أهدافا مرحلية تتعلق بمرحلة معينة من مراحل الدعوة إلى الله، فلكل مرحلة من مراحل الدعوة أهداف قصيرة المدى تنتهي بانتهاء تلك المرحلة. أما الأهداف الرئيسية فهي كليات الدعوة إذا صح التعبير، وهي كذلك أسسها لأنها تتعلق في أغلبيتها بأركان الإيمان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والفساد وهي خمسة:

1) الدعوة إلى الإيمان بالله وتوحيده وعبادته.
2) الدعوة إلى الإيمان بالرسل وتصديقهم وطاعتهم.
3) الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر.
4) الدعوة إلى الإيمان بالقضاء والقدر.
5) الدعوة إلى الإصلاح وعدم الفساد في الأرض.

وهذه الأهداف نستخلصها ونستخرجها من قصص الأنبياء والرسل في دعوتهم لقومهم في القرآن الكريم.

1) الدعوة إلى الإيمان بالله وتوحيده وعبادته.

ما من نبي من أنبياء الله ورسله إلا ودعا قومه إلى توحيد الله والإيمان به وعبادته والخضوع له.

- فهود قال لقومه وهم أول من عبد الصنام مباشرة من بعد نوح.

﴿وإلى عاد أخاهم هودا، قال ياقوم أعبدوا الله ما لكم من إليه غيره أفلا تتقون.﴾ (1)

﴿واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم.﴾ (2)

﴿وإلى عاد أخاهم هودا، قال: ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم تفترون.﴾ (3)

---

(1)- الأعراف 65.

(2)- الأحقاف 21.

(3)- هود 50.

- وصالح عليه السلام ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا قال: ياقوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه، إن ربي قريب مجيب.﴾ (1)

وهكذا سائر الأنبياء، نوح وشعيب ولوط وغيرهم دعوا قومهم إلى الأصل الأول من أصول الدين والهدف الأول من أهداف الدعوة إلى الله وهو عبادة الله وتوحيده.

- وهذا جلي وواضح كذلك في قوله تعالى لموسى عليه السلام عند الطور ﴿إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري﴾ (2)

﴿ يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾ (3)

فراح موسى يبين لقومه أن الله هو الخالق والهادي والعزيز الحكيم، وهو رب السموات والأرض ومن فيهن.

﴿ربنا الذي أعطى كل شيئ خلقه ثم هدى﴾ (4)

﴿رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾ (5)

- وحتى المسيح عيسى بن مريم (6) الذي رفعه قومه إلى مرتبة الألوهية لم يستكبر عن عبادة الله وتوحيده، ولما سأله الله عما نسبوه إليه وافتروا عليه، فإنه أجاب بعبودية تامة لله وخضوع له، قال تعالى:

---

(1)- هود 51.

(2)- طه 14.

(3)- النمل 9.

(4)- طه 50.

(5)- الشعراء 24.

(6)- عيسى بن مريم عليه السلام، كانت ولادته أيام ملوك الطوائف، وقالت النصارى أن ولادته كانت لمضي 363 سنة من غلبة الإسكندر على أرض بابل...وأن مريم عليها السلام حملت بعيسى ولها ثلاث عشر سنة وقيل خمس عشر سنة وقيل عشرون سنة، وأن عيسى عاش إلى أن رفع إثنتين وثلاثين سنة وأياما وأن مريم عاشت بعده ست سنوات، فكان جميع عمرها إحدى وخمسين سنة، والقول بأنها وضعته وولدته بأرض قومها هو الأصح، ثم حملته إلى مصر بعد ولادته، ومعها يوسف النجار، ومصر هي الربوة التي جاء ذكرها في القرآن، وقيل هي دمشق، وقيل بيت المقدس، وقيل غير ذلك (الكامل في التاريخ: لإبن الأثير، ج1، ص 175 إلى 180 بتصرف).

﴿وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟ قال سبحانك أنَا يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب، ماقلت لهم إلا ما أمرتني به، أن أعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليكم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيئ شهيد﴾ (1)

- وبين سبحانه وتعالى في اية أخرى بصريح العبارة أن عيسى عليه السلام لن يستكبر أن يكون عبد الله وعابدا إياه فقال ﴿ لن يستنكف * المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فيحشرهم إليه جميعا، فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله، وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما و لايجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا﴾ (2)

- والناس قديما كانوا يعرفون الله أو الألوهية معرفة ناقصة أو مشوهة، لذلك كانوا غالبا ما يضمون إلى عبادة الله عبادة آلهة أخرى صنعوها هم أو توهموا أنها هي الإله الحق وتعصبوا لعبادتها، لذلك عندما جاء الرسل يفردون الله بالعبودية ويخاصمون الشرك والإتجاه إلى الوثنية قوبلوا بحرب شعواء وكان ردهم عنيفا وقويا، فراحوا يطلبون من أنبياء الله أن يأتوهم بالعذاب إن كانوا من الصادقين، فقد رد قوم هود عليه بقولهم ﴿أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا، فاتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾ (3)

---

(1)- المائدة 116 - 117.

* يستنكف: يستكبر، فالإستنكاف والإستكبار واحد (لسان العرب: إبن منظور، ج6، ص 4543).

(2)- النساء 172 - 173.

(3)- الأعراف 70.

- لاشك أن القوم كانوا يدركون أن عبادة الله وحده لاشريك لـه تقتضـي تحكيمـه فـي كـل شيئ وهذا من الأسباب التي جعلتهم يتمسكون بدين آبائهم كما يزعمـون، وإننـا نلاحـظ كيـف أن فرعون الذي كان طاغية وحاكما أعمى البصيرة كان يسأل موسى ويقول له وما رب العـالمين؟ ويقول من ربكما ياموسى؟ وهو يريـد بسـؤاله هـذا أن يبتعـد عـن عبـادة اللـه وعـن التسـليم للـه بالحكم، قال تعالى ﴿قال فرعون وما رب العالمين، قال رب السموات والأرض ومـا بينهمـا إن كنتم موقنين، قال لمن حوله ألا تستمعون، قال ربكم ورب آبائكم الأولين، قال إن رسـولكم الـذي أرسل إليكم لمجنون، قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون.﴾ (1)

((هذا هو التوحيد وهو ينبغي كما نرى ما شأنه فكرة حاكمية البشر ويريد القضاء عليهـا قضاء مبرما وسواء أكانت هذه الحاكمية لفرد من الأفراد أو طبقـة مـن الطبقـات أو بيـت مـن البيوتات أو أمة من الأمم أو لجميع من على الأرض أو على ظهر هذه الأرض من أبناء البشر، الحاكمية لا يستحقها إلا الله وحده عز وجل، فلا حاكم إلا الله ولا حكم إلا حكمـه ولا قـانون إل قانونه)) (2)

وهذه هي حقيقة الدعوة إلى التوحيد والإيمان بالله.

2) **الدعوة إلى الإيمان بالرسل وتصديقهم وطاعتهم.**

((رسالة كل الأنبياء تدل على كل خير وتحذر من كل شر لكن من أين تنطلق وبماذا تبـدأ وعلـى أي شـيئ تركـز؟ إن هنـاك دعـائم وقواعـد وأصـولا تركـز عليهـا دعواتهـم وتكـون أول منطلقاتهم في دعوة الناس إلى الله.

تلك الأسس والقواعد هي:

- التوحيد.
- النبوات.
- المعاد.

---

(1)- الشعراء 23 - 28.

(2)- نظام الحياة في الإسلام: أبو الأعلى المودودي، مؤسسة الرسالة بيروت 1983 م، ص 22 - 23.

هذه الأسس الثلاثة هي ملتقى دعواتهم وأصولها وقد اهتم بها القرآن غاية الإهتمام وبينها غاية البيان وهي أهم مقاصده التي يدور عليها ويكررها، ويورد الأدلة العقلية والحسية عليها في جميع سوره وفي غالب قصصه وأمثاله، يعرف ذلك من له كمال فهم وحسن تدبر، وجودة تصور، وقد عنيت بها كتب الله بأجمعها واتفقت عليها الشرائع السماوية بأسرها.)) (1)

فالأنبياء جميعا دعوا قومهم إلى الإيمان بهم وإقرار رسالتهم بعد دعوتهم إلى التوحيد، فهذا نبي الله صالح عليه السلام يتودد إلى قومه ويحاول أن يبين لهم أنه منهم وهم منه، وهو رؤوف بهم حريص على مصالحهم ومنفعتهم فيقول:

"يا قوم..."، فرغم إصرارهم وعنادهم وكفرهم فهو يتقرب منهم ويتودد إليهم، ويبين لهم أنهم جاءوا بعد قوم عاد الذين بعث فيهم هود، فقال لهم صالح ﴿واذكروا إذ جعلكم من بعد عاد بوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا ألاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ (2)

وقد شهد له القوم بسيرته الحسنة وسريرته المحمودة فيهم قبل الرسالة حين قالوا "قد كنت فينا مرجوا قبل هذا﴾ (3)

وهو يقول لهم ليدفعهم وليوجههم إلى الإيمان والتصديق به وبنبوته ورسالته ﴿إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون﴾ (4)

ولوط عليه السلام كذلك دعا قومه إلى التقوى وإلى الإيمان برسالته وطاعته فقال، قال تعالى ﴿كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط: ألا تتقون؟ إني لكم رسول أمين، فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم من أجر إن أجري إلا على الله رب العالمين﴾ (5)

---

(1)- منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله: بن هادي المدخلي، دار المعارف العلمية، ط1 1986، ط2 1993، الجزائر، ص 38 - 39.

(2)- الأعراف 74.

(3)- هود 62.

(4)- الشعراء 141- 143.

(5)- الشعراء 160 - 165.

والأنبياء حين يدعون قومهم إلى طاعتهم فإنما يريدون وراء ذلك هدايتهم إلى صراط الله المستقيم لأنه لايمكن للناس أن يعرفوا هدى الله إلا باتباع الأنبياء والرسل ولتصديقهم والإقتداء بهم، فمحبة الرسل والأنبياء هي التي توصلنا إلى محبة الله عز وجل، لذلك قال الله تعالى على لسان رسوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ (1)

وطاعة الرسل هي طاعة لله عز وجل ﴿ومن يطع الرسول فقذ أطاع الله...﴾ (2)

﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ (3)

فالوحي الذي يوحيه الله إلى أنبيائه وحي عام يحتاج إلى تفصيل وشرح وبيان وإيضاح وهذا هو دور الأنبياء والرسل وكذلك هو دور الدعاة والمخلصين من عباده الصالحين، "القرآن ليس هو كتاب الجزيئات بل هو كتاب المبادئ والقواعد الكلية ومهمته الحقيقة أن يعرض الأسس الفكرية والخلقية للنظام الإسلامي بوضوح ثم يثبتها تثبيتا قويا بكلا الطريقيتين: التدبير العقلي والتحريض العاطفي، أما ما يتعلق بالصورة العملية للحياة الإسلامية فإنه لايرشد الإنسان إليها بوضع قوانين وأنظمة تفصيلية عن كل ناحية من واحي الحياة فهذا دور المختصين والعلماء والمصلحين والدعاة، بل إنه حدد الحدود الأساسية لكل شعبة من شعب الحياة، ونصب معالم جلية بعض النواحي تشير إلى خطوط عريضة يجب أن تؤسس عليها هذه النواحي وفق مرضاة الله" (4)

- والقرآن الكريم في كثير من آياته وفي سياقه العام للقصص عموما وقصص الأنبياء خصوصا يقرر نبوة النبيين وصلاح الصالحين، فيأمر موسى وهارون أن يبينا لفرعون أنهما رسولان من رب العالمين، قال تعالى ﴿إذهب أنت وأخوك بأياتي ولا تيافي في ذكري إذهب إلى فرعون إنه طغى... فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم، قد جئناك بأية من ربك والسلام على من اتبع الهدى﴾ (5).

---

(1)- آل عمران 31.

(2)- النساء 80.

(3)- التغابن 12.

(4)- مبادئ أساسية لفهم القرآن: أبو الأعلى المودودي، دار الراية للنشر، ط4، ص62

(5)- طه 42 - 47.

وفي أيات أخرى، تقرر أن موسى هو صاحب الرسالة الأول، وأن الله قد شد إزره بأخيه، قال تعالى ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخوه هارون وزيرا﴾ (1).

﴿ولقد أرسلنا موسى بأياتنا إلى فرعون وملإيه فقال إني رسول رب العالمين﴾ (2)

- والأنبياء إلى جانب دعوة قومهم إلى تصديقهم والإيمان بهم فهم ينفون على أنفسهم علم الغيب، فمن الغلو والباطل أن يعتقد الإنسان أن الرسل والصالحين يعلمون الغيب، قال تعالى "عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيئ عدد﴾ (3) ﴿ولا يحيطون بشيئ من علمه إلا بما شاء﴾ (4)

- وأمر الله عز وجل النبي صلى الله عليه وسلم بأن يقول أنه لا يعلم الغيب و انه لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا إن هو إلا نذير وبشير، قال تعالى ﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا شرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾ (5) وتقول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ((من زعم أنه يخبر بما يكون في الغد فقد أعظم على الله الغرية والله يقول: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض إلا الله﴾ (6))) (7)

- بل إن لنا في قصة سليمان مع الهدهد عبرة في كون الهدهد أحاط بما لم يحط به نبي الله سليمان وهو دليل على عدم علمه بالغيب، فقال الهدهد ﴿أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بخبر يقين، إني وجدت إمرأة تملكهم وأوتيت من كل شيئ ولها عرش عظيم﴾ (8)

---

(1)- الفرقان 35.

(2)- الزخرف 46.

(3)- الجن 26 - 28.

(4)- البقرة 255.

(5)- الأعراف 188.

(6)- النمل 65.

(7)- رواه مسلم عن عائشة: كتاب الإيمان، باب معنى قوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى، وهل رأى النبي (ص) ليلة الإسراء (110/1).

(8)- النمل 22 - 23.

3- الدعوة إلى الإيمان باليوم الأخر.

((قل أكثر القرآن الكريم حديث عن الدار الآخرة وحسالها الدقيق ونعيمها المقيم وعذابها الدائم وأكد للبشر أن حياتهم فوق التراب فترة صغيرة، وأن إستغراقهم في الأحزان والأفراح خدعة كبيرة، وأن المسلك الوحيد الرشيد هو الإيمان بالله واليوم الآخر... وعندما كان الجدال المر يشتد بين الرسول ومعارضيه ينزل الله عليه قوله ﴿إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنك يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ (1)

إن الجدال سوف يستأنف هناك بين قسمين إختصموا في ربهم ولكن في استئنافه شقوة للقوم وسعد الأخرين)) (2)

إننا لا نكاد نجد صورة إلا وذكرت اليوم الآخر والمتتبع للأيات يجد أنه وضع لهذا اليوم أسماء كثيرة وكل إسم يدل على معنى من معان ما سيحدث بذلك اليوم، فقد أطلق عليه مثلا البعث، الآخرة، يوم التناد، الساعة، الحساب، وتارة تأتي الإشارة إليه عن طريق الإشارة إلى الجنة والنار، قال تعالى ﴿وقال لذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث، فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾ (3) ﴿واقتربت الساعة وانشق القمر﴾ (4)

﴿إن زلزلة الساعة شيئ عظيم﴾ (5)، ﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى﴾ (6)

﴿إني عدت بربي، ربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب﴾ (7)

﴿ياقوم إني أخاف عليكم يوم التناد﴾ (8)

---

(1)- الزمر 30 - 31.

(2)- المحاور الخمسة للقرآن الكريم: محمد الغزالي، دار الهداية للطباعة والنشر الجزائر، ص 152 -153.

(3)- الروم 56.

(4)- القمر 1.

(5)- الحج 1.

(6)- الأعلى 16 - 17.

(7) غافر 27.

(8)- غافر 32.

وأنبياء الله ورسله قد دعوا قومهم إلى الإيمان باليوم الآخر، وأكثرهم أطلق عليه الأسماء السالفة الذكر وهي موجودة بكثرة في القرآن الكريم.

- فموسى عليه السلام قال له سبحانه وتعالى ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بمتا تسعى، فلا يصدنك عنها من لايؤمن بها واتبع هواه فتردى﴾ (1)

وقوله ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ (2)

وموسى عليه السلام هو الذي قال للطغاة لما هددوه ووعدوه ﴿إني عدت بربي وربكم من كل متكبر لايؤمن بيوم الحساب﴾ (3)

وقد آمن السحرة بموسى ودعوته وآمنوا باليوم الأخر، فقالوا ﴿إنه من يأتي ربه مجرما فإن له جهنم لايموت فيها ولا يحي ومن يأتيه مؤمنا قد عمل الصالحات وأولائك لهم الدرجات العلى، جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى﴾ (4)

- ونجد كذلك في قصة مؤمن آل فرعون كيف دعا قومه إلى الإيمان بيوم التنتد وبالأخرة دار القرار فقال: ﴿... ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاص ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ (5)

﴿يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولائك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب﴾ (6)

- إن أقواما كثيرة كذبت باليوم الآخر مثل قوم ثمود وعاد قال تعالى ﴿كذبت ثمود وعاد بالقارعة﴾ (7).

---

(1)- طه 16.

(2)- طه 55.

(3)- غافر 27.

(4)- طه 74 - 76.

(5)- غافر 32 - 33.

(6)- غافر 40.

(7)- الحاقة 4.

فحذرهم صالح من هذا التكذيب ودعاهم إلى الإيمان وذكر أنهم عائشون إلى أجل محدد يأتي من بعده حساب وعقاب، فقال ﴿ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب﴾ (1)

﴿وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعو حتى حين.﴾ (2)

- وقرر لوط في دعوته الإيمان باليوم الأخر وكذا غيره من الأنبياء حين قالوا "ألا تتقون" ، فيدخل في متناول التقوى الخوف من الله ومن عذاب اليوم الأخر، وقوله ﴿ولقد أنذرناهم بطشنا فقامروا بالندر﴾ (3)

فالبطشة هي بطشة الآخرة وقوله ﴿أإنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون﴾ (4)، أي تجهلون القيامة وعاقبة العصيان وهكذا فسره إبن عباس.

- وخلاصة القول في هذه النقطة أن الدعوة إلى الله والإيمان به تقتضي الدعوة باليوم الآخر، ذلك أن الإيمان بالله يحقق المعرفة بالمصدر الأول الذي صدر عنه كل شيئ أما الإيمان باليوم الآخر فهو يعرف الإنسان بمصيره الذي سينتهي إليه وسينتهي إليه كل الوجود، لطلك نجد أنه غالبا ما يقترن الإيمان بالله بالإيمان باليوم الأخر، وفي القرآن الكريم قال تعالى ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر﴾ (5)، ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾ (6) صدق الله العظيم.

---

(1)- هود 64.

(2)- الذاريات 34.

(3)- البقرة 36.

(4)- النمل 55.

(5)- البقرة 177.

(6)- الروم 56.

4- الدعوة إلى الإيمان بالقضاء والقدر.

إن النفع والضر، والخير والشر والغنى والفقر أمور بيد الله يتصرف فيها بمقتضى مشيئته وحكمته وهذا التصرف يجزى وفق المشيئة التي وضعها في الكون وجعل لها سننا وقوانين تتحكم فيها وتسير وفقها منسجمة إنسجاما كليا، وهذه المشيئة وهذا التحكم وما ينتج عنهما من أعمال وتصرفات تدخل ضمن قضاء الله وقدره الذي هو من مستلزمات الإيمان بالله وتوحيده في أولهته وربوبته وصفته، قال تعالى ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيئ قدير، تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب﴾ (1)

﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾ (2)

﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾ (3)

((فإن قيل كيف الجمع بين قوله "كل من عند الله وبين قوله "فمن نفسك" قيل قوله "كل من عند الله" أي خصب وجدب والنصر والهزيمة كلها من عند الله، "فمن نفسك" أي ما أصابك من سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة لك، كما قال ﴿وما أصابك من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ (4)))(5)، فحين رد صالح على قومه بقوله "طائر عند الله بل أنتم قوم تفتنون" فهو يريد أن يردهم إلى الإيمان بالقضاء والقدر ويبعدهم عن الطيرة والتشاؤم، وعادة التشاؤم والتطير وجدت في مشركي العرب إبان بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كانوا يتشاءمون برأية الطائر يمر عليهم عند سيرهم، فيغيرون الطريق وهذا ما نجده في تفسير قوله تعالى على لسان قوم صالح ﴿أطيرنا بك وبمن معك، قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفترون﴾ (6)

---

(1)- آل عمران 8.

(2)- يونس 107.

(3)- فاطر 2

(4)- الشورى 30.

(5)- شرح العقيدة الطحاوية: علي بن علي بن محمد الدفمشقي، مؤسسة الرسالة بيروت ط3 1991، ج2، ص515، 516.

(6)- النمل 48.

- "ثم إنَ صالحا لما قرر هذا الكلام الحق أجابوه بكلام فاسد وهو قولهم أطرينا بكم" أي تشاؤمنا بك لأنَ الذي يصيبنا من شدة وقحط فهو يشومك، ويشوم من معك، قال صاحب الكشاف كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بالطائر فيزجره فإن مر سانحا تيمن وإن مر بارحا تشاءم.

والسانح ما أتاك يمينك من ظبي، أو طائر أو غير ذلك والبارح ما أتاك من ذلك على يسارك" (1)

- فما نسبوا الخير والشر إلى الطائر السقير لما كان للخير والشر وهو قدر وقسمته، أجاب صالح عليه السلام بقوله "طائركم عند الله" أي السبب الذي منه يجيئ خيركم وشركم عند الله وهو قضؤه وقدره إن شاء رزقكم وإن شاء حرمكم وقيل بل المراد أن جزاء الطير منكم عند الله وهو العقاب والأقرب الوجه الأول.

- أي معنى قضاء الله وقدره - لأن القوم اشاروا إلى الأمل الحاصل فيجب في جوابه أن يكون فيه لا في غيره" (2)، وهذا التفسير يبين لنا مدى إهتمام الأنبياء في دعوة قومهم إلى ركن من أركان الإيمان وهو الإيمان بقضاء الله وقدره، وكيف كان رد صالح على قومه حين تشاءموا به، وبمن معه، فلفت قلوبهم إلى الله عز وجل مبينا لهم أن كل شيئ بيد الله خيرا كان أم شرا ولكنهم قوم تفتنون بوساوس الشيطان.

5- الدعوة إلى الإصلاح وعدم الفساد في الأرض.

من أكبر أهداف الأنبياء والرسل في الدعوة إلى الله الدعوة إلى الإصلاح فالأمر بالمعروف دعوة إلى الإصلاح، والنهي عن المنكر وعن الفساد والإسراف دعوة إلى الإصلاح، والدعوة إلى التقوى وإلفى توحيد الله دعوة إلى الإصلاح، وكل أمر أو نهي فيه مصلحة العباد عاجلة وأجلة دنيوية أو أخروية هو صلاح وإصلاح ونجد في قصة شعيب عليه السلام في القرآن الكريم كيف قال لقومه ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما نهاكم عنه إني أريد إلا إصلاح ماستطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنبت﴾ (3)

---

(1)- لسان العرب: إبن منظور، ج3، ص 2112.

(2)- مفاتيح الغيب: محمد فخر الدين الرازي، مجلد 12، ج 24، ص 202 - 203.

(3)- هود 88.

فهو لايريد إلا الإصلاح فكل ما يأمرهم به أو ينهاهم عنه هو إصلاح لهم وصلاح لحالهم وأوضاعهم ((فرغبة شعيب في الإصلاح هي رغبة مجردة لوجه الله بعيدة عن أي غرض مادي أو منفعة ذاتية وهكذا كانت أهداف الأنبياء في مراحل التاريخ وهذا ما جعل الفوز حليفهم وهذه هي الطريق التي يجب أن يسلكها المصلح ليصل إلى النجاح وإرضائ ما يؤمن به من مثل عليا، فالإصلاح مجرد من أي غاية وهوى النفس، هو الذي يكتب له في النهاية النجاح والفوز لأن ذلك هو رسالة الحق والحق دائما هو المنتصر، فالإصلاح يبنى على التجرد والإخلاص التام لله وأما الغايات والأهواء الخاصة فكثيرا ما تفضح نفسها.... وكيف لا تنتصر الحقيقة وهي التي مصدرها خالق الكون ومدبره وهذا ما اشارت إليه الية في ختامها، "وتوفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.)) (1)

إن الدعوة إلى الإصلاح والنهي عن الفساد هدف يرتبط مباشرة بأصول الدين إرتباطا وثيقا، فالفساد عموما هو عكس التقوى والإيمان، فالأنبياء والرسل أكدوا لأقوامهم هذه القضية فقالوا ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين.﴾ (2)

ونهوهم عن اتباع أصحاب السوء بقولهم ﴿ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض و لا يصلحون.﴾ (3)

وإذ نقول أن الفساد هو عكس التقوى هذا ما يدل عليه السياق القرآني حين يذكر مهلك الكافرين والفاسقين والمسرفين، يعقب بعده مباشرة بقوله ﴿وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ (4)

---

(1)- مع الأنبياء في القرآن الكريم: عفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلم للملايين، بيروت بنان، ط14 1985، ص 205 - 206.

(2)- الأعراف 74.

(3)- الشعراء 151 - 152.

(4)- النمل 53.

- إن المعصية والشرك والدعوة إلى غير الله هو أعظم الفساد فوق الأرض، فالله عز وجل بعث رسله ليصلحوا ما حصل من فساد في عقيدة العباد والأخلاق وفي الجوانب الأخرى من الحياة وإصلاحهم للفساد يكون ببيان وحي الله وتوضيح شريعته، فالبعد عن شرع الله والخوض في الدنيا بالهوى يؤدي إلى معصية الله التي تؤدي إلى هلك الحرث والنسل بإمساك المطر وإصابة الناس بالفتن عقوبة لهم على معاصيهم، فكل صلاح في الأرض سببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسله وإنهيعجبني في هذا ما ذهب إليه الإمام إبن القيم في تفسير قوله تعالى ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ﴾ (1)

حيث يقول ((لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل وبيان الشريعة، والدعاء إلى طاعة الله فإن عبادة غير الله والدعوة إلى غيره والشرك به هو أعظم الفساد في الأرض، بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو بالشرك ومخالفة أمره، قال تعالى ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس﴾ (2)

وقال عطية في الأية ولا تعصوا فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم غير واحد من السلف إذ قحط المطر فإن الدواب تلعن عصاة بني آدم وتقول: "اللهم العنهم فبسببهم اجدبت الأرض وقحط المطر" وبالجملة فالشرك والدعوة إلى غير الله وإقامة معبود غيره ومطاع متبع غير الرسول صلى الله عليه وسلم هو أعظم الفساد في الأرض ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا ب، يكون الله وحده هو المعبود والدعوة له لا لغيره والطاعة والإتباع لرسوله ليس إلا وغيره إنما تجب طاعته إذ أمر بطاعة الرسول، فإذ أمر بمعصية وخلاف شريعته فلا سمع ولا طاعة، فإن الله أصلح الأرض برسوله ودينه وبالأمر بتوحيده ونهى عن إفسادها بالشرك به وبمخالفة رسوله ومن تدبر أحوال العالم وجد كل الصلاح في الأرض سببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط العدو وغير ذلك فسببه مخالفة رسوله والدعوة إلى غير الله ورسوله، ومن تدبر هذا حق تدبر وتأمل أحوال العالم منذ قام إلى الآن وإلى أن يرث الله الأرض وما فيها وهو خير الوارثين وجد هذا الأمر كذلك في خاصة النفس وفي حق غيره عموما وخصوصا ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)) (1)

---

(1)- الأعراف 56.

(2)- الروم 41.

(3)- التفسير القيم: إبن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، جمعه محمد أويش الندوي، وحققه محمد حامد الفر، ص 255.

المبحث الثالث: خصائصها من خلال بعض خصائص القرآن الكريم.

1) الدعوة إلى الله والإعجاز القرآني:

إن موضوع الدعوة إلى الله هو الإسلام عقيدة وشريعة، عملا وسلوكا ومنهج حياة، وكل هذا لاسبيل إلى معرفته جملة وتفصيلا بغير القرآن وبغير وحي الله، الذي أوحاه إلى صفوة خلقه عليهم الصلاة والسلام، وهم الأنبياء والرسل، وكل أفعال وأعمال وأقوال العباد مرجعها إلى الوحي، فالناس في أمس الحاجة إلى معرفة الوحي وإلى معرفة شرع الله، وأحكامه أكثر من حاجتهم إلى علم الطب مثلا، ولاسبيل إلى معرفة الوحي إلا الدعوة والتبليغ من طرف الدعاة والمصلحين، وهذا الفهم الشامل للدعوة يعطي للدعاة قوة معنوية كبرى برجوعهم إلى كتاب الله المعجز، وإلى وحه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، يقول إبن القيم:

"حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية فوق حاجتهم إلى كل شيئ، ولا نسبة لحاجتهم إلى علم الطب إليها، ألا ترى أن أكثر العالم يعيشون بدون طبيب ولا يكون الطبيب إلا في بعض المدن الجامعة، وأما أهل البدو كلهم وأهل الكفور كلهم وعامة بني آدم فلا يحتاجون إلى طبيب وهم أصح أبدان وأقوى طبيعة ممن هو متقيد بالطبيب ولعل أعمارهم متقاربة، وقد فطر الله بني آدم على تناول ما ينفعهم واجتناب ما يضرهم، وجعل لكل قوم عادة وعرف في إستخراج ما يهج عليهم من الأدواء، حتى أن كثير من أصول الطب إنما أخذت عن عوائد الناس وعرفهم وتجاربهم، وأما الشريعة فبناها على تعريف مواقع رضى الله وسخطه في حركات العباد الإختيارية فمبناها على الوحي المحض والحاجة إلى التنفس، فضلا عن الطعام والشراب لأن غاية ما يقدر في عدم التنفس والطعام والشراب موت البدن وتعطل الروح عنه، وأما ما يقدر عند عدم الشريعة ففساد الروح والقلب جملة وهلاك الأبد وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت، فليس الناس قط إلى شيئ أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والقيام به والدعوة إليه والصبر عليه." (1)

---

(1)- مفتاح دار السعادة: إبن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية ببيروت لبنان، ج2، ص 2.

فالقرآن الكريم ووحي الله مصدر الدعوة، فمنه يستمد الدعاة زادهم وبه يرسمون مناهجه ويضعون أساليبه وعلى ضوئه ينشدون هداية الناس بما يلائم طبيعتهم ونفسيتهم، والإعجاز القرآني بشتى جوانبه اللغوي أو الغيبي، أو التشريعي أو العلمي أو النفسي، وجه من وجوه الدعوة إلى الله.

أ) فالإعجاز القرآني بذكر الغيب باب واسع من أبواب الدعوة إلى الله، ولاسيما دعوة أهل الكتاب، قال تعالى ﴿إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون.﴾(1)

والإعجاز بذكر الغيب يأتي في القرآن الكريم على ثلاثة أصناف:

1ـ مما وقع وأخبر به القرآن الكريم كقصص الغابرين من أنبياء ورسل، فقد قال الله تعالى بعد قصة نوح ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا.﴾ (2) وقال بعد قصة يوسف: ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم ينكرون﴾ (3)

وقال عقب قصة مريم: ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾ (4)

ومن هذا الباب ذكر كذلك قصة موسى وغيره من الأنبياء في كثير من صور القرآن الكريم.

2ـ ما أخبر به القرآن الكريم مما سيقع إلى يوم الدين، وقد تحقق بعض ذلك كانهزام المشركين في غزوة بدر ووعده المؤمنين بإحدى الطائفتين، قال تعالى ﴿وإذ يعدهم الله إحدى الطائفتين أنها لكم﴾ (5)، وقال ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ (6) وإخباره كذلك عن غلبة الروم، وأنه يوافق إنتصار المسلمين، قال تعالى: ﴿ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين، لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ (7)

---

(1)ـ النمل 76.

(2)ـ هود 49.

(3)ـ يوسف 102.

(4)ـ آل عمران 44.

(5)ـ الأنفال 7.

(6)ـ القمر 45

(7)ـ الروم 1 ـ 5.

وقد تحقق ذلك وكان سببا في إسلام كثير منهم ومن غيرهم، وتحقق مع إنتصار المؤمنين على المشركين في بدر.

3ـ ذكر الغيب مما سيقع ما بعد الموت من أهوال القيامة ووعدا ووعيد وجنة ونار، وذكر أهوال الساعة وأشراطها وهو عميق التاثير في نفوس المؤمنين والمترددين والمتشككين، وهو باب واسع لا داعي للإستفاضة فيه.

ب)ـ الإعجاز التشريعي: فقد إستنبط العلماء كثير من الأحكام من قصص الأنبياء مثل إستئجار موسى في قصة العبد الصالح الذي قيل أنه شعيب وقصة يوسف وغيرها من القصص التي نستطيع أن نستنبط منها أحكاما، ويستطيع كذلك الداعية أن يضع أحكام المواريث كإعجاز تشريعي في الوقت الراهن، وقد أخذ به الغرب في توزيع المواريث وكذا أحكام الزواج والطلاق والرضاعة وغيرها، والقرآن الكريم جمع في آياته بين التوجيه والتشريع في وقت واحد، وبث التشريع بأنواعه الخمسة أو أقسامه الخمسة من واجب ومندوب، مباح ومكروه وحرام باسليب متنوعة وضروب مختلفة.

ج) الإعجاز العلمي: وهو من أوسع وجوه الإعجاز في الدعوة إلى الله وخاصة في العصر الحديث الذي كثرت وتنوعت فيه العلوم الطبيعية والكونية، وأصبح الكثير من الناس لا يؤمنون إلا بهذه العلوم التي ابهرتهم واستحوذت على عقولهم باسم العلم والتقدم والتكنولوجيا.
وقد حوى القرآن الكريم إستشارات علمية وحقائق كونية، ظهر بعضها ولازال أكثرها في إطار البحث والتنقيب والتحقيق، ومما ذكره القرآن الكريم أطوار الإنسان في رحم أمه، فقد حددها القرآن تحديدا دقيقا وكاملا في سورة الحج، وفي سورة المؤمنين وأشار إليها في سور أخرى، كما ذكر بعض الحقائق الكونية المتعلقة ببدء خلق الكون وما نتج عنها من مواد وأجرام ومجموعات وكواكب وصخور وبحار، لا أريد أن أذكرها مفصلة بل يجب على الدعاة أن يعتنوا بتفاصيلها ومن أجل تقديمها للمهتمين والمختصين والمنبهرين بهذه الإكتشافات والحقائق العلمية، ونستطيع أن نقول أنه يمكن أن يكون هناك منهج للدعوة نسميه (المنهج العلمي) يبحث في الكونيات وظواهرها والنفس وخفاياها، وهو منهج من المناهج الأكثر إنتاجا وتأثير في نفوس الناس في العصر الحاضر بالذات.

د) الإعجاز بالتاثير النفسي والسلوكي للقرآن الكريم سلطان وقوة على العقل والقلب والوجدان، ويستوي في ذلك المؤمن والمعاند والكافر، قال تعالى: ﴿تقشعر من جلود الذين يخشون ربهم﴾ (1)، وقال الخطابي "قلت في إعجاز القرآن وجها آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لاتسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منشورا إذ قرع السمع خلص له إلا القلب من اللذة والحلاوة في حال ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق وتغشاها الخوف والفرق وعقائدها الراسخة فيها، فكم من عدو للرسول صلى الله عليه وسلم من الرجال العرب أقبلوا يريدون إغتياله فسمعوا آيات من القرآن فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رايهم الأول وأن يركن إلى مسالمته ويدخل في دينه، وصارت عداوتهم موالاة وكفرهم إيمانا" (2)، وصدق الله العظيم القائل: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق.﴾ (3).

ومن أمثلة تأثيره في المؤمنين ونفوسهم ما حدث إثر وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم للناس من ذهول وحيرة، حتى تلا أبو بكر الصديق رضي الله عنه قوله تعالى ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل إنقلتم على أعقابكم﴾ (4)
فيقول الرواة أن الناس كأنهم لم يعلموا نزول هذه الأية الت يتلاها عليهم أبو بكر الصديق يومئذ.

---

(1)- الزمر 23.

(2)- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: الخطابي والرماني وعبد القادر الجرجاني، حققها وعلق عليها محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف القاهرة 1991، ط4، ص70.

(3)- المائدة 83.

(4)- آل عمران 44.

ومن أمثلة تأثيره في نفوس المعاندين والكافرين والمشركين ما جاء في سيرة إبن هشام حين أسلم عم الرسول صلى الله عليه وسلم حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وأصبح عدد المسلمين في تزايد، فجاء عتبة بن ربيعة وكان سيدا ـ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ـ يعرض عليه الملك والجاه والمنصب والمال والشرف، حتى إذا فرغ عتبة قال له الرسول صلى الله عليه وسلم: "قد فرغت يا أبا الوليد؟ فقال: نعم، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: فاستمع مني، ثم تلا عليه آيات من القرآن الكريم، فاستمع له عتبة وأنصحت، فلما رجع إلى أصحابه المشركين وقد تأثر بما سمع من قرأن، قال لهم: "إني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولابالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم: فإن تصبه العرب كفيتفوه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزة عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأي فيه فاصنعوا ما بدا لكم." (1)

وجاء كذلك في سيرة إبن كثير، أن أبا جهل وأبا سفيان و.....والأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بالليل في بيته، فأخذ كل رجل منه مجلسا ليستمع إليه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لاتعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا، ثم إنصرفوا، ثم حتى إذا كانت الليلة الثانية، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه يستمع إلى القرآن، ثم كان نفس لبشيئ في الليلة الثالثة حتى طلع الفجر تفرقوا، فلما جمعهم الطريق قالوا:لانبرح حتى نتعاهد ألا نعود، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا... وقد تأثر كل واحد بما سمع حتى قال أبو جهل:والله إني لا أعلم أن ما يقوله حق ولكحن يمنعني شيء..."(2) وصدق الله العظيم الذي أخبرنا عن الجن في كتابه العزيز الحكيم حين سمعوا القرآن فقالوا: ﴿إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فأمنا به ولن نشرك بربنا أحد﴾ (3)

---

(1)- سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: لإبن هاشم، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر 1981، ج1، ص 313 - 314.

(2)- السيرة النبوية: أبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار الرائد العربي بيروت لبنان، ط3 1987، المجلد 1 ص 505 - 507.

(3)- الجن 1 - 2.

2ـ الخصائص الكبرى للقرآن الكريم ودلالاتها الدعوية.

للقرآن الكريم خصائص إنفرد بها على الكتب السماوية الأخرى، ونستطيع أن نستخلص من هذه الخصائص بعض الدلالات و الأبعاد الدعوية التي ينبغي على المسلمين والدعاة خاصة أن يعرفوها ويدركوها لأنها سمة من سمات هذا الدين الذي أراده الله عز وجل أن يكون خاتم الديانات وتتلخص هذه الخصائص الكبرى في خمسة أمور:

1ـ خلود القرآن وحفظه من التحريف والضياع.

2ـ نزوله منجما.

3ـ نزوله بلغة العرب أو اللغة العربية.

4ـ كونه خاتم الكتب وهيمنته على جميع الكتب السابقة.

5ـ شموليته وعموم دعوته.

1ـ خلود القرآن وحفظه من التحريف والضياع.

لقد سمي القرآنا قرآنا، كما أطلق عليه إسم الكتاب، وفي هاتين التسميتين الكريمتين مغزى، فتسميته بالقرآن فيها معنى القراءة والتلاوة بالألسن، وفي تسميته بالكتاب فيها معنى الكتابة والتدوين بالأقلام، وهذه إشارة إلى وجوب وإمكانية حفظ القرآن الكريم في الصدور والسطور، قال تعالى:

﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بأياتنا إلا الظالمون.﴾ (1)

ولم تكن الكتب السابقة تحفظ إلا في الكتب والألواح، وأشار القرآن الكريم في عدة آيات إلى حفظه في السطور والكتاب والألواح فقال ﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾(2)

وذلك قبل نزوله على الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾ (3)

لقد تكفل الله عز وجل بحفظ القرآن الكريم في جميع مراحل تنزيله وعلى مر الأزمنة والأجيال فقال ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾(4)

---

(1)ـ العنكبوت 49.

(2)ـ البروج 21 ـ 22.

(3)ـ الإسراء 105.

(4)ـ الحجر 9.

قال إبن الجوزي: (1)

"الذكر هو القرآن الكريم في قول جميع المفسرين، وفي "هاء" له قولان:

أحدهما أنها ترجع إلى الذكر، قاله الأكثرون.

والثاني: أنها ترجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فالمعنى وإنا له لحافظون من الشياطين والأعداء لقولهم "إنك لمجنون".

وفي القول الثاني إشارة إلى حفظ السنة المطهرة، والسنة محفوظة فعلا بحفظ القرآن الكريم، فهي داخلة في الذكر الذي تكفل الله بحفظه، لأنها شارحة ومبينة للكتاب.

إن خلود القرآن الكريم وحفظه من التحريف والياع هو خلود الدعوة الإسلامية وحفظ للأمة الإسلامية التي لا تتجتمع أبدا على ضلال، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الله يبعث على رأس كل قرن لهذه الأمة من يجادلها أمر دينها وإن الدعاة باقون ابدا يدعون إلى الحق ويأمرون بالمعروف وينهون على المنكر، وهم ورثة الأنبياء، قال الرسول صلى الله عليه سلم: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون" (2)، "إن الله يبعث لهذه الأمة على راس كل قرن من يجادلها أمر دينها." (3)

والأحكام الإسلامية والشريعة الإسلامية تملك الخصائص التي تجعلها صالحة لكل مكان وزمان صالحة للحياة الإنسانية مهما تطورت وتغيرت.

---

(1)- زاد المسير في علم التفسير: لإبن الجوزي، دار الفكر، ط1، 1987م لبنان، ج4، ص 281-282.

(2)- أخرجه البخاري في كتاب الإعتصام باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق (149/8)

وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق (52/6).

(3)- رواه الحاكم في المستدرك (522/4).

وأبو داود: كتاب الملاحم، باب ما يذكر في القرن المائة (109/4)

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم.

2- نزوله منجما.

من خصائص القرآن الكريم أنه نزل منجما أي مفرقا بخلاف الكتب السماوية الأخرى التي نزلت جملة واحدة، لذلك قال الذين كفروا للرسول صلى الله عليه وسلم: لولا نزل عليه جملة واحدة، قال تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا﴾ (1)، فبين لهم سبب نزوله مفرقا وأجاب عن تساؤلهم، قال إبن الجوزي (2): لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة" أي كما أنزلت التوراة والإنجيل والزبور، "كذلك لنثبت به فؤادك" لنقوي به قلبك فتزداد بصيرة، "ورتلناه ترتيلا" أي أنزلناه على ترتيل وهو التمكث الذي يضاد العجلة.

وفي نزول القرآن الكريم منجما حكما دعوية كبيرة، فقد نزل حسب متطلبات الدعوة وحاجاتها ومراحلها وأولوياتها، ومن أكبر حكم التنجيم وأسراره:

"إستغلال الحوادث والوقائع للرد على المشركين وفضح المنافقين، وهذه حكمة عظيمة من حكم التنجيم، فقد كانت الآيات القرآنية النازلة في حادثة معينة ترد على المشركين وتفحمهم وتفضح المنافقين وتكشف خفاياهم، مما يجعلهم يتخوفون أبدا أن يكشفوا، كما قال تعالى ﴿يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم، قل إستهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون.﴾ (3) ..... إن ربط الأية بالحادثة والواقعة أدعى إلى أن يتذكر الناس جميعا هذه الأية وأعمق تأثيرا في النفس البشرية لأن الآية عندئذ تعالج جانبا من حياة الناس عاشوا ومثل ذلك من البعيد أن ينسى، ومن أمثلة على ذلك ربط أية القذف بحادثة الإفك، والأمثلة على ذلك كثيرة." (4)

---

(1)- الفرقان 32.

(2)- السيرة النبوية لإبن كثير، ج6- ص 14.

(3)- التوبة 64.

(4)- لمحات في علوم وإتجاهات التفسير: محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ص 35.

ومن حكم نزول القرآن منجما وعلاقة ذلك بالدعوة حكمة التدرج في تشريع الأحكام "فقد كانت جلية واضحة حيث، سلك القرآن الكريم مع العرب والبشرية طريق الحكمة، ففطمهم عن الشرك وأحي قلوبهم بنور الإيمان، وغرس في نفوسهم حب الله ورسله، والإيمان بالبعث والجزاء، ثم إنتقل بهم بعد هذه المرحلة مرحلة تثبيت دعائم الإيمان إلى العبادات، فبدأهم بالصلاة قبل الهجرة، ثم ثنى بالصوم والزكاة في السنة الثانية من الهجرة، ثم ختم بالحج في السنة السادسة منها، وكذلك فعل في العبادات المتوارثة زجرهم أولا عن الكبائر، ثم نهى عن الصغائر في شيئ من الرفق والتدرج في تحريمها كان مستاصلا في نفوسهم كالخمر والميسر والربا تدريجا حكيما، إستطاع بذلك أن يقتلع الشر والفساد من جذوره إقتلاعا كاملا." (1)

ومن أمثلة التدرج في التشريع والدعوة إلى الحق وإلى الحلال والطيب ومعالجة الأمراض الإجتماعية تحريم الخمر، الذي كان مرضا منتشرا عند العرب، فلقد إنتهج القرآن الكريم في تحريمه أربعة مراحل (2)

1- التنفير منه بطريق غير مباشر، فنزل قوله تعالى ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا﴾ (3)، فقد أخبر تعالى أنه قد أنعم على الناس بهاتين الشجرتين، النخيل والأعناب يستخرجون منه السكر أي الخمر الذي سكر والرزق الحسن الذي ينتفع منه الناس من مأكول ومشروب، فمدح الثاني ووصفه بأنه رزق حسن، وأخبر عن الأول أنه سكر، أي شيئ يسكر ويذهب بعقل الإنسان، وبهذه المباينة في الوصف يتضح لكل عاقل الفارق الكبير بين الأمرين المذكورين.

وهذه الأية نزلت قبل تحريم الخمر بدليل أن الله إمتن عليهم به، كما ذكر ذلك إبن كثير (4)، فأضاف قائلا في هذه الأية "ومن ثمرات النخيل والأعناب" دل على إباحته قبل تحريمه، ودل على التسوية بين المسكر المتخذ من النخل والمتخذ من العنب كما هو مذهب مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء، وكذا حكم سائر الأشربة المتخذة من الحنطة والشعير والذرة والعسل.

---

(1)- البيان في علوم القرآن: محمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي، دمشق، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، ط2 1981م، ص 35.

(2)- المرجع السابق ص 35 ـ 36 ـ 37.

(3)- النحل 67.

(4)- تفسير إبن كثير: ج4، ص204.

2- وفي المرحلة الثانية جاء التنفير المباشر عن طريق المقارنة العملية بين شيئين: شيئ فيه نفع مادي ضئيل، وشيئ فيه ضرر جسمي وصحي وعقلي وفيه كذلك زيادة على الأضرار العظيمة مهلكة للإنسان عن طريق وقوعه في الإثم الكبير، قال تعالى ﴿ويسألونك عن الخمر والميسر، قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكثر من نفعهما﴾ (1)

وقد روى في سبب نزول هذه الأية أن جماعة من المسلمين فيهم عمر بن الخطاب، جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا يا رسول الله أخبرنا عن الخمر؟، فإنها مذهبة للعقل مضيعة للمال منهكة للجسم، فأنزل الله عز وجل "يسألونك عن الخمر والميسر..." وقد ذهب الإمام القرطبي وابن كثير إلى أن هذه الأيو هي أول ما نزل في أمر الخمر، قال الإمام القرطبي (2): "وهذه الأية يسألونك عن الخمر والميسر أول ما نزل في أمر الخمر، ثم بعده "لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى"، ثم قوله "إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء"، ثم قوله "إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه..."

وقال إبن كثير (3) "

"وهذه الأية "يسالونك عن الخمر والميسر..." أول اية نزلت في أمر الخمر، ونقل أقوالا للعلماء من بينهم إبن عمر والشبعي ومجاهد وقتادة وغيرهم أن هذه أول أية نزلت في الخمر، ثم نزلت الأية التي في سورة النساء، ثم الأية التي في سورة المائدة فحرمت الخمر."

---

(1)- البقرة 219 - 220.

(2)- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، ج3، ص 2.

(3)- تفسير إبن كثير، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ج1، ص 453.

3- في المرحلة الثالث كان التحريم للخمر تحريما جزئيا، قال تعالى ﴿يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾(1)، فقد حرم عليهم الخمر وقت الصلاة حتى يصحوا من سكرهم، فكان المسلمون يشربونها ليلا وفي غير أوقات الصلاة، وقد روى في سبب نزول هذه الأية أن عبد الرحمن بن عوف، صنع وليمة فدعا إليها بعض الصحابة، قال علي بن أبي طالب فدعنا وسقانا الخمر، فأخذت الخمر وحضرت صلاة فقدموني لأصلي بهم إماما فقرأت "قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما عبدتم" إلى غير ذلك أي أنه لسكره غير فيها فنزلت الأية الكريمة "يا أيها الناس لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى..."

4- وفي المرحلة الرابعة، وهي المرحلة الرابعة كان التحريم الكلي القاطع المانع، حيث نزل قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون.﴾ (2)

وسبب نزول هذه الأيات على ما ذكره المفسرون أن بعض الصحابة صلوا العشاء ثم شربوا الخمر وجلسوا يتسامرون فلعبت الخمر برؤوسهم، وكان فيهم حمزة بن المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت جارية صغيرة تنشدهم وتغنيهم فتهيج حمزة فقام فجب أسنمة ناقتي علي وبقر خاصرتيها - وهو في حالة سكر - فلما سمع علي تألم أشد الألم وذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو إليه ما فعل عمه حمزة، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى حمزة يعاتبه ويلومه على الصنيعة، فجعل حمزة ينظر إليه نظرة غريبة، ويقول للرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه: وهل أنتم إلا عبيدا لأبي؟ فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمه سكران، فلم يؤاخذه فقال عمر عندئذ اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا، فنزل قوله تعالى ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه...﴾

وهكذا نرى كيف أن القرآن الكريم تدرج في تحريم الخمر فكان في ذلك حكمة دعوية جليلة، يستفيد منها الدعاة اليوم، في العودة إلى الأحكام القرآنية.

---

(1)- النساء 43.

(2)- المائدة 90 - 91.

فالداعية المصلح اليوم يعلم الحكم النهائي في كل القضايا إبتداء، لكن ينبغي عليه أن يتدرج في الوصل إلى هذا الحكم النهائي وهو يستصحب معه ضرورة الوصول إليه، فيبدأ مثلا في قضية الخمر بتعريف الناس باضرارها فيهيئهم لتقبل الحكم النهائي بأسلوب من الترغيب والترهيب وينبغي عليه أن لا يجعل بينه وبين المدعوين مهما كان صنعهم حاجزا فيصد عنه، فهو يعامل شارب الخمر بشيئ من اللين والحكمة، ولا يقسو عليه أبدا" (1)

فالتدرج سنة من سنن الله فخلقه، يجوز للداعية من الناحية التربوية والدعوية أن ستخذم الحكم المرحلي من أجل الوصول إلى الحكم النهائي في نهاية المطاف، ولا حرج في ذلك، إنها التضحية بشيئ من الحاضر إللاى نتيجة في المستقبل، وهي حكمة أو سياسى دعوية لا يستطيع الدعاة فهمها والوصل إليها إلا بالفقه والتفقه العميق والكبير في الدين، فالمقصود هو التدرج في التطبيق وليس الإباحة (2)

وإننا نرى في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم كيف كان يتدرج حتى في العبادات، نرى ذلك في وصيته للصحابي الجليل معاذ بن جبل يث أرسله قاضيا يمن فقال له:

((إنك ستأتي قوما أهل كتاب فإذات جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لك فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم واتقي دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب.)) (3)

---

(1)- كيف تتعامل مع القرآن الكريم: محمد الغزالي، في مدارسة أجراها معه عمر عنيد حسنة، دار الإنتفاضة للنشر الجزائر بدون تاريخ، ص 96 - 97 - 98 - 99 بتصرف.

(2)- نفس المرجع والصفحات.

(3)- حديث متفق عليه، رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا (136/2).

ومسلم في كتاب الإيمان باب الأمر بالإيمان (37/1 - 38)

3- نزوله باللغة العربية:

شاءت حكمة الله عز وجل أن ينزل القرآن باللغة العربية قال تعالى :

﴿وكذلك أوحينا إليك القرآن عربيا﴾ (1)

﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا﴾ (2)

﴿قرآنا عربيا غير ذي عوج﴾ (3)

وقال سبحانه وتعالى في آية أخرى ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون.﴾ (4)

يقول إبن كثير في تفسير هذه الأية (5) :

"ذلك لأن لغة العرب افصح اللغات وابينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم في النفوس، فلهذا أنزل اشرف الكتب باشرف اللغات على اشرف الرسل بسفارة أشرف الملائكة وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتدأ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان، فكمل من كل الوجوه."

فاللغة العربية هي أفصح اللغات وابينها وأكثرها تاثيرا في نفوس المدعوين ولقد بينا ذلك سابقا بالتاثير في النفس والوجدان، ولقد بين الله سبحانع وتعالى في الأية الكريمة السابقة سببا من أسباب نزول القرآن باللغة العربية.

---

(1)- الشورى 7.

(2)- الزخرف 3.

(3)- الزمر 23.

(4)- يوسف 2.

(5)- تفسير إبن كثير، دار الأندلس، ج4، ص 6.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يقول حسن محمد باحودة (1) "والواضح أن هذه الأية الكريمة في سورة يوسف "إن أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون" فتبين السبب الذي من أجله نزل القرأن الكريم على النبي العربي بلغة العرب، وهو أن يعقله المخاطبون به أولا 'يستفيذ الدعاة من ذلك أن يخاطبوا الناس المدعوين بلغتهم أو باللغة التي يفهمونها" ومعروف أن بعض العرب عقلوه وبعضهم الآخر لم يعقلوه، ومن هنا جاء في الية التعقيبية من نفس السورة ما يوافق هذا وذلك في قوله تعالى مثلا ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ (2)، وكا جاء على لسان يوسف عليه السلام خطابا للفتيين في السجن ﴿وما كان لنا أن نشرك بالله من شيئ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون.﴾ (3)

فاللغة العربية تمتاز بخصائص كثيرة قد لا نجدها في اللغات الأخرى، ومن ثم "إقتضت حكمة الله تعالى أن تكون اللغة العربية هي لغة الدعوة الإسلامية وأن تكون هي المباشرة الأولى لترجمة كلام الله عز وجل وإبلاغه إيانا ولعلنا لو أمعنا في خصائص اللغات وقارنا بهم لوجدنا أن اللغة العربية تمتاز بكثير من الخصائص التي يعز وجودها في اللغات الأخرى، فالأجدر بها أن تكون لغة المسلمين الأولى في مختلف ربوعهم وبلادهم." (4)، وإنه لمن الحكمة الدعوية أن يختار الله عز وجل رسول أمي عربي من "البقعة الجغرافية للجزيرة العربية بترشيحها للقيام بعبئ مثل هذه الدعوة، بسبب أنها تقع في نقطة الوسط بين الأمم المختلفة التي حولها، وهذا مما يجعل إشعاعات الدعوة الإسلامية تنتشر بين جميع الشعوب والدول المحيطة بها في سهولة ويسر وإذا أعدت النظر إلى سير الدعوة الإسلامية في صدر الإسلام وعصر الخلفاء الراشدين وجدت مصداق ذلك جليا واضحا" (5)

---

(1)- الوحدة الموضوعية في سورة يوسف: حسن محمد باحودة، الناشر تهامة، ط2، جدة المملكة العربية السعودية 1983م، ص 487.

(2)- يوسف 103.

(3)- يوسف 130.

(4)- فقه السيرة النبيوية: محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، دار الفكر دمشق سوريا، ط11 1991، ص 33.

(5)- نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.

إنه ينبغي أن تكون اللغة العربية هي اللغة الأولى للأمة الإسلامية "إننا عجزنا عن جعل اللغة العربية لغة أولى بين الألف مليون مسلم الذين يعتنقون الإسلام، وهذا وحده فشل ذريع تؤاخذ عليه يوم الحساب، ويرجع هذا الفشل إلى أن العرب أنفسهم لا يجلون لغتهم، بل إستطاع الإستعمار الثقافي أن يكرهها لهم أو يحقرها لديهم، فأي بلاء هذا" (1)

إن الدعوة إلى نشر اللغة العربية دعوة إلى الإسلام وتمهيد لنشر دين الله، ونحن نلاحظ أن المسلمين الأوائل قاموا بنشر اللغة العربية بكل الوسائل، ولا تكاد تجد مدرسة أو جامعة تخذم الدين الإسلامي وعلوم الشريعة إلا وكانت اللغة العربية بين أو ضمن علومها مقررة في برامجها.

إن الدعوة إلى تعلم اللغة العربية هو كذلك من الوجهة الدعوية مدعاة إلى توحيد الأمة، حتى أنه ((لا يجوز قراءة القرآن بغير اللغة العربية أو أداء العبادات فهو المتعبد بتلاوته وقد جاء أن ابا حنيفة أجاز ذلك للأعجام والفرس في بداية إسلامهم، واشترط لجواز ذلك أن يكون الشخص مبتدعا بهذا العمل أي يترك القراءة بالعربية والقدرة على النطق الصحيح بها، وقد روى أن إبن حنيفة قد رجع عن هذا الرأي ،فالقرأن بلفظه ومعناه عربي ولايصح أن يقال عن كتابه بعض معانيه أنها قرأن ، قال تعالى ﴿كتاب فصلت أياته قرأن عربيا لقوم يعلمون﴾ (2)))(3)

4ـ كونه خاتم الكتب وهيمنته على جميع الكتب السماوية

قال الله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت الإسلام لكم دينا.﴾ (4)

وانطلاقا من هذه الأية يعلم الداعية المصلح أنه لاسبيل إلى الفوز بالآخرة والفلاح في الحياة الدنيا إلا الإستمساك بالدين الإسلامي الذي إكتملت عقائده وشرائعه وأحكامه ونظمه ثم الدعوة إليه بكل إخلاص واجتهاد، فليس هناك دين بعد الدين الإسلامي ولا كتاب بعد القرآن الكريم.

---

(1)ـ الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر: محمد الغزالي، دار الهدى، الجزائر ص 158.

(2)ـ فصلت 35.

(3)ـ المعجزة الكبرى: محمد أو زهرة، دار الفكر العربي القاهرة، ص 583 ـ 588، ص 583 ـ 586.

(4)ـ المائدة 3.

جاء في تفسير هذه الأية في كتاب التحرير والتوير (1) "الدين ما كلف به الله الأمة من مجموع العقائد والأعمال والشرائع والنظم، فإكمال الدين هو إكمال البيان المراد لله تعالى الذي إقتضت الحكمة تنجيمه... وليس في ذلك ما يشعر بأن الدين كان ناقصا، ولكن أحوال الأمة في الأممية غير مستوفاة فلما توفرت كمل الدين له، فلا إشكال على الأية... وفي هذه الأية دليل على وقوع تأخير البيان إلى وقت الحاجة، وإذ كانت الآيات النازلة يوم فتح مكة كما يروى عن مجاهد فإكما الدين إكمال بقية ما كانوا محرومين منه من قواعد الإسلام.

وقوله 'وأتممت عليكم نعمتي' إتمام النعمة هو خلوصها مما يخالطها من الحرج والثعب، وقله 'ورضيت لكم الإسلام دينا" يدل على أن هذا الدين دين ابدي لأن الشيئ المختار مدخر لايكون إلا أنفس ما أظهر من الأديان، والأنفس لا يبطله شيئ، إذ ليس بعده غاية فتكون الأية مشيرة إلى أن نسخ الأحكام قد إنتهى.

وحين يعلم الدعاة أن القرآك الكريم قد هيمن على جميع الكتب السماوية السابقة، فهذا يعني أنه ينبغي عليهم تبليغ الدعوة الإسلامية إلى أهل الكتاب الذين بدلوا وحرفوا واختلفوا، قال تعالى ﴿إن هذا القرآن يقص على بني إسرائي أكثر الذي هم فيه يختلفون﴾ (2)

والقرآن الكريم يمتاز بالتصديق للكتب السابقة والهيمنة عليها في نفس الوقت، قال الله تعالى 'وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه﴾ (3)

"أي إتماما لترتيب نزول الكتب السماوية وتمهيدا لقوله تعالى ﴿فاحكم بينهم بما أنزل الله﴾ (4)، والمهيمن الأظهر أن هاؤه أصلية وإن فعله يوزن، فيقل كسيقطن ولكن لم يسمع له فعل مجرد، قلم يسمع له همن، وقال أهل اللغة لا نظير لهذا الفعل إلا هيلم إذا دعا أو قرأ وبيقر إذا خرج من الحجاز إلى الشام وسيطر إذا قهر وقيل المهيمن مشتق من أءمن، فأصله مؤأمن، فقلبوا الهمزة الثانية ياءا وقلبوا الهمزة الثانية ها، وفسر المهيمن بالعالي والرقيب ـ فهو رقيب على الكتب السماوية التي سبقته وحافظ لها ومؤتمن ومصدق وشاهد كذلك عليها." (5)

---

(1)ـ تفسير التحرير والتنوير: محمدالطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984، ج6، ص 102 - 103 - 105 - 106 - 108.

(2)ـ النمل 76.

(3)ـ المائدة 48.

(4)ـ المائدة 48.

(5)ـ التحرير والتنوير: محمدالطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984، ج6، ص 220 - 221.

"فهو أيات مبينات لا تدع مجالا للغموض والتأويل والإنحراف عن النهج القويم، وهو عرض لمصائر الغابرين الذين إنحرفوا عن نهج الله، فكان مصيرهم النكاد، وهو موعظة للمتقين الذين تقشعر أو تستشعر قلوبهم رقابة الله، فتخشى وتستقيم." (1)

أما عموم دعوته فمعناه ان الرسالة والدعوة والإسلامية عالمية، فهي ليست مخصوصة بأمة أو شعب معين فلا فرق بين عربي وعجمي ولا أبيض وأسود إلا بالتقوى، في حين نجد أن الكتب السابقة أو الأنبياء الذين سبقوا محمد صلى الله عليه وسلم "محليون رسالتهم محدودة الزمان والمكان إبتداء من أدم إلى عيسى عليهم السلام، والنصارى يرون أن رسالة عيسى عليه السلام عالمية وينطلقون بها في كل مكان ليبلغوها وينشروها ونحن نحب نبي الله عيسى عليه السلام ونعتقد أنه رسول حق إلى بني إسرائيل خاصة، قال تعالى ﴿وإذ قال عيسى بن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة والإنجيل ومبشرا برسول يأتي من بعدي إسمه أحمد﴾(2)))(3)

في حين نجد القرآن الكريم يقول للرسول صلى الله عليه وسلم: قل وبين أنك رسول الله إليهم جميعا في عدة آيات في بداية الدعوة أي في العهد المكي، قال الله تعالى ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا﴾ (4)، ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (5)، وسنرجع إلى عالمية الدعوة الإسلامية بشيئ من التفصيل في المطلب القادم كسمة من أكبر السمات القرآن المكي.

3- سمات القرآن المكي والمدني والدعوة إلى الله.

سأحاول في هذا المطلب بشيئ من الإيجاز أن ابرز أهم سمات القرأن المكي والمدني ومعانيها أو مقاصدها الدعوية قبل التطرق لذلك أود أن أعرف بالقرآن المكي والمدني.

---

(1)- في ظلال القرآن: سيد قطب، ج4، ص 17.

(2)- الصف 6.

(3)- الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر: محمد الغزالي، ص 152.

(4)- الأعراف 158.

(5)- الأنبياء 107.

"فهو أيات مبينات لا تدع مجالا للغموض والتأويل والإنحراف عن النهج القويم، وهو عرض لمصائر الغابرين الذين إنحرفوا عن نهج الله، فكان مصيرهم النكاد، وهو موعظة للمتقين الذين تقشعر أو تستشعر قلوبهم رقابة الله، فتخشى وتستقيم." (1)

أما عموم دعوته فمعناه ان الرسالة والدعوة والإسلامية عالمية، فهي ليست مخصوصة بأمة أو شعب معين فلا فرق بين عربي وعجمي ولا أبيض وأسود إلا بالتقوى، في حين نجد أن الكتب السابقة أو الأنبياء الذين سبقوا محمد صلى الله عليه وسلم "محليون رسالتهم محدودة الزمان والمكان إبتداء من أدم إلى عيسى عليهم السلام، والنصارى يرون أن رسالة عيسى عليه السلام عالمية وينطلقون بها في كل مكان ليبلغوها وينشروها ونحن نحب نبي الله عيسى عليه السلام ونعتقد أنه رسول حق إلى بني إسرائيل خاصة، قال تعالى ﴿وإذ قال عيسى بن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة والإنجيل ومبشرا برسول يأتي من بعدي إسمه أحمد﴾(2)))(3)

في حين نجد القرآن الكريم يقول للرسول صلى الله عليه وسلم: قل وبين أنك رسول الله إليهم جميعا في عدة آيات في بداية الدعوة أي في العهد المكي، قال الله تعالى ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا﴾ (4)، ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (5)، وسنرجع إلى عالمية الدعوة الإسلامية بشيئ من التفصيل في المطلب القادم كسمة من أكبر السمات القرآن المكي.

3- سمات القرآن المكي والمدني والدعوة إلى الله.

سأحاول في هذا المطلب بشيئ من الإيجاز أن ابرز أهم سمات القرأن المكي والمدني ومعانيها أو مقاصدها الدعوية قبل التطرق لذلك أود أن أعرف بالقرآن المكي والمدني.

---

(1)- في ظلال القرآن: سيد قطب، ج4، ص 17.

(2)- الصف 6.

(3)- الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر: محمد الغزالي، ص 152.

(4)- الأعراف 158.

(5)- الأنبياء 107.

أ)ـ تعريف المكي والمدني.

يقول الشيخ عبد العظيم الزرقاني :

""للعلماء في معنى المكي والمدني ثلاثة إصطلاحات" (1)

ونفس الإصطلاحات الثلاثة في معنى المكي والمدني ذكرها شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، فيقول:

"اعلم أن للناس في المكي والمدني إصطلاحات ثلاث: أشهرها:

أ) ـ المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني بعدها سواء نزل بمكة أو بالمدينة، عام الفتح أو عام حجة الوداع أو سفر من الأسفار... ما نزل بمكة وما نزل بطريق المدينة قبل أن يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فهو من المكي، وما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم في أسفاره بعدما قدم المدينة فهو من المدني، وهذا أثر لطيف يؤخذ منه أن ما نزل في سفر الهجرة مكي."

ب) إن المكي ما نزل بمكة، ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة وعلى هذا نثبت الواسطة فما نزل بالأسفار لا يطلق عليه مكي و لا مدني، وقد أخرج الطبراني في الكبير من طريق الوليد بن مسلم عن عفيرة بن معدان عن سليم بن عامر عن الحسن أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أنزل القرآن في ثلاثة أماكن مكة والمدينة والشام"، قال الوليد يعني بيت المقدس، وقال الشيخ عماد الدين بن كثير بل تفسيره تبوك أحسن، قلت ويلحن بمكة ضواحيها كمنزل بمنى وعرفات وحيبية وبالمدينة وضواحيها كمنزل ببدر وأحد ونسلع.

ج) إن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة، ويرجع في معرفة المكي والمدني لحفظ الصحابة والتابعين. (2)

---

(1)ـ مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقالي، دار الفكر للنشر والتوزيع بيروت، لبنان 1988م، ج 1، ص 193 ـ 194 ـ 195.

(2)ـ الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار المعرفة بيروت لبنان، ج1، ص 11 ـ 12، بدون سنة.

ب) سمات القرآن المكي والدعوة إلى الله.

للقرآن المكي سمات كثيرة تربطه بالدعوة إلى الله، وأريد هنا أن أشير إلى أبرز ما فيها من معاني دعوية بشيئ من الإختصار والإيجاز، ولعل أبرز سمة في القرآن المكي هي:

أ) عموم الخطاب الموجه لجميع الناس (يا أيها الناس..."، "يا بني أدم...."، وهذا يدل منذ بداية الوحي على أن الدعوة الإسلامية عالمية "ومعنى عالمية الإسلام أنه دين مفتوح لكل البشر من جميع الأجناس دون قيد أو حدود، وليس دين خاص لقوم أو قبيلة أو طائفة من الناس... وقد عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم متنبئا من أن بلال أول ثمار الحبشة، وأن صهيبا هو أول ثمار الروم، وأن سلمانا أو ثمار الفرس، وهذا يدل دلالة واضحة بأن الإسلام ليس مقصورا على العرب وحدهم كما يزعم بعض المستشرقين... كما أمر الله ورسوله بأن يوضح للناس دعوته ويتدرج في نشرها لا تعني أنها خاصة بالقريشين والقبائل العربية الأخرى، وإنما هي دعوة للناس كافة، والأيات القرآنية التي تؤكد عالمية الدعوة الإسلامية كثيرة" (1)، وفي الأيات المكية قال سبحانه وتعالى:

﴿فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم.﴾ (2)

﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون أنه لمجنون وما هو إلا ذكر للعالمين﴾ (3)

﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (4)

﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عباده ليكون للعالمين نذيرا﴾ (5)

﴿ومأأرسلنك إلا رحمة للعالمين ﴾ (6)

---

(1)- الدعوة الإسلامية في إفريقيا الواقع والأفاق: عبد الرحمن عمر الماصي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1992م، ص 22 - 23 - 27.

(2)- التكوير 26 - 27.

(3)- القلم 51 - 52.

(4)- سبأ 28.

(5)- الفرقان 1.

(6)- الأنبياء 107.

﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ،وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين ﴾(1)

﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم إقتضاه قل لا أسألكم عليه أجرا منه إن هو إلا ذكرة للعالمين.﴾ (2)

(ولم تنزل بالمدينة أية تتحدث عن العاملية إكتفاء بما تمهد في صدر الدعوة إلا أية واحدة من سورة الأحزاب هي قوله تعالى ﴿ما كان محمدا أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ (3)

((وختم النبوة تقرير هذه العالمية فإن القارات الخمس إلى قيام الساعة لن يطرقها من السماء طارق ولن يجيئها من عند الله رسول، وسيبقى كتاب محمد صلى الله عليه وسلم وحده صوت السماء بين الناس إلى أن يحشد للحساب.)) (4)

وقد جاء كذلك في السنة النبوية ما يدل على عالمية الدعوة الإسلامية وإنه في ذلك تفضيل للرسول صلى الله عليه وسلم على غيره من الأنبياء، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ((أعطيت خمسا لم يعطيهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلي وأحلت لي المعالم ولم تحل لأحد من قبلي، وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة)) (5)، وقال كذلك "فضلت على الأنبياء بست، فعدها والفضيلة الخامسة منها ((وأرسلت إلى الخلق كافة)) (6)

---

(1)- يوسف 103 - 104.

(2)- الأنعام 40.

(3)- الأحزاب 40.

(4)- الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر: محمد الغزالي، ص 150 - 151.

(5)- متفق عليه عن جابر رواه البخاري في كتاب التيمم، باب قوله تعالى فلم تجدوا ماء فتيمموا (85/1)
ورواه مسلم في كتاب المساجد، باب مواضع الصلاة (63/2)

(6)- رواه مسلم عن أبي هريرة في كتاب المساجد، باب مواضع الصلاة (64/2).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن الداعية الحقيقي وهو خليفة الأنبياء والرسل في مهمتهم وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع في مقدمات الإنطلاق في الدعوة أنها ينبغي أن تكون عالمية، موجهة إلى كل الناس مهما كان دينهم ومهما فسدت عقيدتهم، أن ينظر إلى كل أصناف المدعوين وأنه من بين العوامل التي ساعدت إنتشار الدعوة الإسلامية بالسرعة المعروفة عالميتها، وبساطة ويسر هذا الدين وحسن معاملة شعوب البلاد المفتوحة، ودعوة الإسلام الأولى لم تقم على الأرض التي نزل فيها الوحي، ولم تفتح مكة المكرمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بسنتين فقط قبل وفاته، وكان أهلها قد أخرجوه وطردوه وحاولوا قتله، إن عالمية الدعوة تفرض على المسلم التعارف بالآخرين ودعوتهم ومحاولة توحيدهم على الحق وتحت راية الإسلام "فالجماعة الإنسانية فوق ظهر الكرة الأرضية وحدة وحيدة، وهذه التقاسيم في الجماعة الإنسانية حيث تقسم إلى شعوب وقبائل وهذا الإختلاف في الأشكال والألوان والأجناس، الغرض منه أن يعرف الناس بعضهم بعض ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾(1)

فالخصائص الإنسانية لدى البشر واحدة على الرغم من إختلاف الألوان والأشكال والأجناس، يومكن للناس أن يحققوا وحدى الإنسانية على ظهر هذه الأرض، ولكن هذه الوحدة لا تتم إلا إذا أقام البشر الهدف الذي خلقوا من أجله وهو عبادة الله وحده، ﴿وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون﴾ (2)، وتحقيق ذلك يكون باتباع الدين الذي أنزله الله تعالى والإحتكام إلى الشريعة التي أرادها الله أن تكون قانونا عالميا للناس كلهم، ألا وهي شريعة الإسلام" (3)

---

(1)- الحجرات 13.

(2)- الذاريات 56.

(3)- خصائص الشريعة الإسلامية: عمر سليمان الأشقر، قصر الكتاب البليدة الجزائر، بدون تاريخ ص 47.

و لانستطيع أن نصل إلى هذا المستوى العالمي إلا إذا تعايشنا مع كل الناس، وكنا لهم قدوة حسنة، ولو لم يكونوا مسلمين، لأن "المجتمع الإسلامي مجتمعا عالميا، وهذا معناه أنه مجتمعا غير عنصريا ولا قوميا ولا قائما على تعصب ولو كان دينيا، فهو مفتوح لجميع البشر دون النظر إلى الجنس أو إلى الدين، ويستطيع الإسلام أن يجمع كل الناس حول نظامه الإجتماعي حتى الذين يخالفونه في العقيدة، مادام المخالفون له في العقيدة لا يحاربون الله ورسوله، ولايخرجون عن النظام الإسلامي، ولا يفسدون في الأرض، ولهم بعد ذلك كامل الحرية في عبادتهم، وعلى المسلمين حمايتهم من كل إعتداء، قال الله تعالى :

﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروا وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في ذينكم وأخرجوكم من دياركم وظهروا على إخراجكم أو تولوا ومن يتولاهم فأولائك هم الظالمون.﴾ (1)، ﴿ولا يجرمنكم شنأن قوم على أن لا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ (2)

وهذه هي الخصائص التي تهيئ النظام الإسلامي أن يكون نظاما عالميا ومجتمعا غير عنصريا ولا مذهبي." (3)

ب) قصر الأيات وهو أسلوب يؤدي إلى إيقاظ الناس من نومهم وغفلتهم بأوجز وأيسر لفظ وعبارة، كذلك ورود القسم في السور المكية وهذا القسم يكون بمظاهر الكون من السماوات والأرض والشمس والقمر والليل والنهار، وفيه إثارة للعواطف والنفس، ودعوة إلى تحريك الفكر والعقل من أجل الوصول إلى معرفة وتوحيد الله.

ج) وجود السجدة في السور المكية وهو منهج يأتي لتصحيح مفهوم الألوهية وإبطال الشرك بالله وعبادة غيره، نجده مثلا في سورة النمل، وهي مكية في قصة بلقيس مع سليمان، في قوله تعالى ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان عملهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون، ألا يسجدوا لله الذي سخر الخبء في السموات والأرض، ويعلم ما تخفون وما تعلمون الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم﴾ (4)

---

(1)- الممتحنة 8 - 9.

(2)- المائدة 8.

(3)- خصائص المجتمع الإسلامي: محمد عبد الله الخطيب، دار الصديقية الجزائر، بدون تاريخ ص 129 – 130 بتصرف.

(4)- النمل 24 - 25 - 26.

د) الدعوة إلى أصول الدين وتقريرها وترسيخها في نفوس المدعوين من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره، وفي نفس الوقت إبطال عقائد المشركين وتصحيح المفاهيم الخاطئة، وذلك بأساليب مختلفة ومناهج متعددة تخاطب العقول والأفهام، وتحرك النفوس والمشاعر، ومن أجل هذه الأساليب قصص الأنبياء وأخبار الناس والغابرين.

هـ) ثبت أصول الفضائل وأمهات المكارم وإرساء قواعد الأخلاق، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)) (1)، من صبر وصدق والأمانة والحلم والأخوة وسعة الصدر عن طريق التوجيه المباشر ترغيبا وترهيبا، وأبرز هذه الأخلاق والفضائل في سير السالفين والصالحين وهي كثيرة في القرآن الكريم "إن حصر مهمة الدين في التهذيب النفسي يستلزم بضرورة أن يكون له تاثير خارجي يثمثل في شكل سلوك وعمل، وإلا كان وجوده وعدمه سواء، إذ أن تزكية النفس هي المحرك إلى الأعمال الصالحة كما ورد في الحديث النبوي ((ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب.)) (2)، وطبق هذه القاعدة ((إن التهذيب الباطن يقتدي تهذيب الأعمال، وهذا يعني الخروج بالثر النفسي من دائرة الذات إلى دائرة الوسط الإجتماعي، وإلا لما كان للتهذيب أي معنى)) (3)، وفي القرآن المكي يلاحظ كذلك التدرج في الدعوة وعرضها، فلقد إنتقل الرسول صلى الله عليه وسلم من مرحلة السرية والأسلوب السري إلى الجهر بالدعوة والصدع بها بعد نزول قوله تعالى ﴿فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين إن كفيناك المستهزئين﴾ (4)

---

(1)- رواه الإمام مالك في الموطأ بلاغا، باب ما جاء في حسن الخلق، ص 651، وأحمد في المسند (381/2)، والبيهقي في كتاب الشهادات، باب مكارم الأخلاق (192/10)، عن أبي هريرة عن النبي صفلى الله عليه وسلم قوله "إنما...."

(2)- رواه البخاري كتاب الإيمان، باب فضل من إستبرأ بدينه (19/1)، ومسلم كتاب البيوع، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (50/5)، والدرامي كتاب البيوع باب الحلال بين والحرام بين (245/2)، وابن ماجة كتاب الفتن، باب الوقوف على الشبهات (1318/2)

كلهم عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم.

(3)- المجتمع الإنساني في القرآن الكريم: محمد القومي، الدار التونسية للنشر تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1986، ص 24.

(4)- الحجر 94 - 95.

والقرآن المكي يأتي بایاته في إطار تبيين وإبراز مرحلتين من مراحل الدعوة، وهي مرحلة التعريف أي التعريف الشامل بالإسلام كمرحلة أولى، ثم مرحلة التربية والتكوين، أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة التمكين فلا نجدها سوى في القرآن المدني، والمجتمع الإسلامي المدني الأول مجتمع دولة الإسلام الأولى.

3- سمات القرآن المدني والدعوة إلى الله.

أ) القرآن المدني يلاحظ فيه طول سوره واعتماده على التفصيل الذي يصل إلى الأحكام بدقة ويفرع المسائل تفريعا وهذا من الأساليب الدعوية التي تناسب مرحلة التشريع، فنجد تشريعا مفصلا للعبادات والمعاملات والحقوق، ونجد كذلك تنظيما للمجتمع والبيت المسلم في جميع شؤونه خاصة في سورة النور والأحزاب والمجادلة والتحريم.

ب) والقرآن المدني فيه كذلك مناهج دعوة المنافقين وكيفية معرفتهم ومعاملتهم وبيان سلوكهم وطبائعهم، وهذا نجده في سورة البقرة والتوبة والمنافقون، وفي القرآن المدني دعوة أهل الكتاب وطريقة إستمالتهم إلى الإسلام في سورة المائدة وآل عمران.

ج) وفي القرآن المدني نجد مرحلة وجود المجتمع الإسلامي وبناء دولة الإسلام أي مرحلة التمكين والمواجهة، ففي هذه المرحلة سنت فريضة الجهاد المقدسة بعدما بنيت النفوس وربيت على أعلى درجات الإيمان والصلة بالله عز وجل والثبات في سبيل نشر دعوته ونصرة دينه، وقد بين القرآن الكريم مبادئ وآداب وأحكام ومبررات الجهاد في سبيل الله، والتي لا ينبغي على الداعية أن يخرج عنها أو يبتعد عليها قيد شبر، نجد تلك المبادئ والأحكام من خلال غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم المعروضة في سورة آل عمران والأنفال والتوبة والأحزاب والحشر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الرابع: المناهج العامة للدعوة في القرآن الكريم.

تعريف المنهج:

أ) عرّف اللغويون المنهج أو النهج أنّه ((الطريق الواضح، ونهج وضح، وأوضح الطريق سلكه، واستنهج الطريق صار نهجا، وطريق نهرج طريق واسع)) (1)

وجاء في لسان العرب لإبن منظور (2)

- "نهج" طريق نهجٌ، بين، واضح، وهو النهج، قال أبو كبير فأجرته بأفل تحسب أثره نهجا أبان بدى فريغ مخرف، والجمه نهجات ونهج ونهوج، وسبيل منهج، كنهج، ومنهج الطريق وضحه.

- والمنهاج كامنهج وفي التنزيل ﴿ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾ (3)

وأنهج الطريق وضح وصار نهجا واضحا بينا واستبان قال يزيد بن الحداق العبدي:

ولقد أضاء لك الطريق وأنهجت سبل المكارم والهدى تعدي.

أي تعين وتقوي.

والمنهاج الطريق الواضح، ونجت الطريق، أبنته وأوضحته، يقال: إعمل على ما نهجته لك، ونهجت الطريق سلكته، وفلان يستنهج سبيل فلان، أي يسلك مسلكه، والنهج الطريق المستقيم.

ويتبين لنا من خلال التعريف السابق للفيروز أبادي وبن منظور أن المنهج والمنهاج والنهج هو الطريق الواضح البين المستقيم.

ب)- وأما في الإصطلاح.

فقد إصطلح العلماء والدعاة في العصر الأخير على أن يطلقوا "منهاج الدعوة" على الأساليب والوسائل التي يراد بها دعوة الناس عموما، وهدايتهم إلى الطريق المستقيم، ونقلهم من الظلمات إلى النور ومن المعصية إلى الطاعة، وتبصيرهم بأمور دينهم وأدابه، وتبيان أحكامه وشريعته، كما تطلق على الخطط التي يضعونها ويحددون معالمها وأهدافها وعلى طرق تصنيف المدعوين ومعرفة نفسيتهم وأحوالهم وطرق معاملتهم.

---

(1)- القاموس المحيط: الفيروز أبادي، دار الكتاب العربي، ج1، ص 210.

(2)- لسان العرب: إبن منظور، ج6، ص 4554 - 4555.

(3)- المائدة 48

وعندما نقول منهاج الدعوة في القرآن الكريم وما جاء فيه من قصص وأمثال وحكم وأحكام، وآداب وأخبار أجملت أو فصلت في الكتاب، ثم بينت وفصلت وشرحت من طرف الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين والسلف الصالح.

والحقيقة أن لكل مرحلة من مراحل الدعوة أساليب ووسائل وخطط وأهداف ومنهاج ينبغي إستبانتها وضبطها ضبطا دقيقا ثم تنفيدها تنفيذا محكما وموافقا لشريعة الله "وإذا مرت الدعوة الأولى بمراحل ثلاث خلال تاريخها المجيد: مرحلة كانت تتسم بالنشر والتبليغ، وأخرى إتسمت بالتربية والتكوين، وثالثة إتسمت بالمواجهة والتمكين، وإذا كان آخر الزمن لا يصلح إلا بما صلح به أوله، فإننا ينبغي كذلك أن نمر بنفس المراحل، فنستمد منها زادا من كتاب الله ومن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته... ثقة في الله أن الدعوة الإسلامية في عصرها الحاضر إذا مرت وتمر بالمرحلتين الأولتين، فإنها مقدمة على المرحلة الثالثة كذلك بمشيئة الله وهو ما يلزم منا الأخذ بالأسباب أو أسباب التخطيط ووضع المناهج" (1)

وهذه المنهاج والخطط نستطيع أن نأخذها من منهج الرسل والأنبياء في دعوة قومهم إلى عقيدة التوحيد والإصلاح في الأرض وعدم الإفساد، وفعل الخيرات وترك المنكرات، والإعتصام بالحق الوحي الإلهي من خلال قصصهم وأخبارهم في كتاب الله عز وجل ﴿فاقصص القصص لعلم يتفكرون﴾ (2)، وقوله ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ (3).

((وكانت الرسل تعرض على الناس هذه العقيدة عرضا كله سهولة وبساطة، والمنطق، فتلفت أنظارهم إلى ملكوت السموات والأرض، وتوقظ عقولهم إلى التفكير في ءيات الله وتنبه فطرهم إلى غرس فيها فيها من شعور بالتدين وإحساس بعالم وراء هذا العالم المادي، وعلى هذه السنن مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يغرس هذه العقيدة في نفوس أمته لافتا الأنظار موجها الأفكار، وموقظا العقول ومنبه الفطر، ومتعهد هذا الغرس بالتربية والتنمية حتى بلغ الغاية من النجاح واستطاع أن ينقل الأمة من الوثنية والشرك إلى عقيدة التوحيد، ويملأ

---

(1)- مناهج الدعوة وأساليبها: علي جريشة، مكتبة رحاب، ط2 1989م، الجزائر ص 22 - 21.

(2)- الأعراف 176.

(3)- يوسف 111.

قلوبها بالإيمان واليقين، كما إستطاع أن يجعل من أصحجابه قادة في الإصلاح وأئمة في الخير، وأن يخلق جيلا يعتز بالإيمان ويعتصم بالحق، فكان هذا الجيل كالشمس للدنيا والعافية للناس.)) (1)

ونستطيع أن نستخلص من القرآن الكريم وقصصه خمسة مناهج عامة للدعوة الإسلامية تنضوي تحت منهج أساليب فرعية لهذه المنهاج العامة نذكرها في فصول قادمة، وهذه المناهج هي:

1- المنهج الفطري.
2- المنهج العقلي والفكري والمعبر عنه كذلك بالعلمي.
3- المنهج العاطفي.
4- منهج القدوة والأخلاق.
5- منهج القوة.

وفيما يلي ملامح تلك المناهج العامة، وتعريفا بها نذكره بشيئ من الإقتضاب.

أولا - المنهج الفطري:

مما ميز الله عز وجل به الإنسان عن سائر مخلوقاته ميزه ميزة العقل والإدراك والتفكير، كما جعل له فطرة تبعثه على الرجوع إليه كلما إبتعد عنه وعن صراطه المستقيم، لكن هذه الفطرة الموجودة في كل إنسان لا تتحرك ولا تستيقظ إلا بمنبهات وبطرق يجب على علماء النفس والدعاة أن يبحثوا عليها، فسيجدون منهاجا يرجع الإنسان إلى فطرته السليمة التي فطره الله عليها، ((فإنه سبحانه فطر على أن ليس في محبوباتها ومراداتها ما تطمئن إليه وتنتهي إليه إلا الله، وإلا فكلما أحبه المحب يجد من نفسه أن قلبه يطلب سواه، ويحب أمرا غيره يتألهه ويصمد إليه ويطمئن إليه ويرى ما يشبهه من أجناسه، ولهذا قال تعالى ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (2)))(3)

والفطرة يحس الإنسان بأثارها لكنه لا يستطيع أن يعرف أو يدرك كنهها، وذهب كثير من الباحثين والمفسرين في تحديد ماهيتها مذاهب كثيرة، والأولى خاصة بالباحثين في مجال الدعوة إلى الله أن يبحثوا كما قلت سابقا عن كيفية إيقاضها.

---

(1)- الرعد 28.

(2)- الفتاوي : إبن تيمية، ج4، ص 249

(3)- العقائد الإسلامية: السيد سابق دار الكتاب العربي بيروت، لبنان ص 12.

والقرآن الكريم وخاصة سوره المكية تحتوي على أساليب متنوعة تخاطب فطر الناس وتبعثها من مرقدها وتثيرها، وتزيل عنها الأوهام والأهواء وتوجهها إلى النظر والتفكير في الخلق خلق السموات والأرض، وتدعوها إلى النظر في عظم صنع الله وبديع ودقة، وتناسب هذا الخلق مع قوانين وسنن الله في الطبيعة وما فيها مما يصل بها إلى أن لهذا الكون خالقا ومدبرا ومسيرا ليس كمثله شيئ وهو السميع العليم. وهذا المنهج أي المنهج الفطري من أنجح وأنجع المناهج في الدعوة إلى الله خاصة في عصرنا الحديث، وليس كما يدعي البعض أنه منهج خاص بالناس البدائيين، بل أنه منهج عام لكل المدعويين مهما كان مستواهم العلمي، ومهما كانت نيتهم، وحالهم النفسي، ذلك كما سنرى أن الفطرة شيئ خحلق عليه الإنسان، ولن تجد لسنة الله تبديلا، وهذا يدفع بنا لنبين على الأقل معنى الفطرة عند اللغوين ثم عند المفسرين وغيرهم من العلماء والمجتهدين، ففي اللغة العربية جاء في لسان العرب.

فطر الشيئ، يفطره، فطرا، فانفطر، وفطر شقه، وتفطر الشيئ تشقق، والفطر الشق، وجمعه فطور، وفي التنزيل ﴿هل ترى من فطور.﴾ (1)

وفطر الله الخلق يفطرهم خلقهم وبدأهم، وفي الكتاب والتنزيل ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض...﴾ (2)

قال بن عباس رضي الله عنه ماكنت أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني عربيان يختصمان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أي أنا بدأت حفرها، وذكر بن عباس أنه سمع إين الأعرابي يقول: أنا أول من فطرها، أي إبتدأه.

والفطرة ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به وقد فطره، يفطره بالضم فطرا أي خلقه، وقال أبو الهيثم في قوله تعالى ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾ (3)

---

(1)- الملك 3.

(2)- فاطر 1.

(3)- الروم 30.

الفطرة الخلقة التي يخلق عليها المولود في بطن أمه، وقول النبي صلى الله عليه وسلم ((كل مولود يولد على الفطرة))(1)، يعني الخلقة التي فطر عليها في الرحم من السعادة أو الشقاوة.

وقال ابو هيثم: ((وفطرة ثاني وهي شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله، جاء بالحق من عنده فتلك الفطرة للدين، والدليل على ذلك حديث البراء بن عارب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه علم رجلا أن يقول إذا نام وقال فإنك إن مت من ليلتك مت على الفطرة)) (2)

وخلاصة ما بينه إبن منظور لمعنى كلمة فطر هي:

- الفطر الإبتداء.
- فطره شقه، وتفطر تشقق.
- ومعناه الذي نريده والذي جاء به هو معرفة الله وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. ولو رجعنا إلى القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (3)

فنجد أن جل المفسرين قد ذهبوا إلى أن الفطرة هي الخلقة التي خلق الناس عليها وهي فطرة التوحيد توحيد الله عز وجل وعدم الإشراك به ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾، ((لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره)) (4)

"لا تبديل لخلق الله" قال بن عباس أي لدين الله

وحين ننظر في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم نجد أنه قد بين أن كل إنسان يولد على الفطرة والإيمان والإسلام ولا شك في ذلك ولا ريب، ولكن الشيطان هو الذي يبعد الإنسان عن الطريق المستقيم ويدعوهم إلى الحرام والشرك بالله، كما بين أن للتربية والتنشئة دور كبير في تغيير فطرة الإنسان، فعن جابر بن عبد الله قال "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عن لسانه، فإذا عبر عنه لسانه إما شاكرا وإنا كفورا" (5)

---

(1)- حديث متفق عليه رواه البخاري في ابواب العمل في الصلاة، باب في الجنائز (89/2)، ومسلم في كتاب القضاء باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (52/8).

(2)- لسان العبر: إبن منظور، ج5، ص 3432 - 3433.

(3)- الروم 30

(4)- مختصر تفسير إبن كثير: محمد علي الصابوني، ج3، ص 54.

(5)- رواه مسلم بلفظ "إما شكرا وإما كفرا في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (53/8)، وأحمد في مسنده مرتين (315/2)، و(346/2 - 347)، كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي - ص -

وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم قتل ولدان المشركين وحذر من ذلك وبين أنهم يولدون على الفطرة لأنهم من الخيار ومن المؤمنين، وحدث أن وقع الصحابة في قتل ولدان في غزوة من الغزوات فقال الرسول صلى الله عليه وسلم "ما بال أقوام جاوزهم القتل اليوم حتى قتلوا الذرية، فقال رجل: يا رسول الله أما هم أبناء المشركين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا إنما خياركم أبناء المشركين، " ثم قال "لا تقتلوا ذرية وقال: كل نسمة تولد على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها، وأبواها يهودانها أو ينصرانها" (1)

وقد نقل الأستاذ الدكتور محمد رشاد سالم (2) عن شيخ الإسلام بن تيمية فقال:

قد نشر إبن تيمية الأقوال المختلفة التي قالها العلماء في تفسير الفطرة تفسيرا يخالف ما ذهب إليه، وخصص لذلك مائات الصفحات في كتابه "درء تعارض القتل والنقل" وفي غيره من الكتب والرسائل ورأيه أن الفطرة في الإسلام، فكل مولود يولد على الفطرة.

يؤكد إبن تيمية رايه بحديث آخر ثبت في صحيح مسلم وغيره فيما يرويه رسول الله صلى الله وسلم عن ره عز وجل "... وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم انزل به سلطانا" (3)

ويذكر إبن تيمية أن هذا الحديث صرح في أن الله تعالى خلق عباده مسلمين حنفاء وأن الشياطين أزالتهم عما كانوا عليه وحولتهم إلى الكفر، ويستخلص من كلام شيخ افسلام إبن تيمية اصلها ما هو أن الإنسان يتبع فطرته المستقيمة فلا يمكن أن يقول أو يعتقد إلا ما هو موافق للحق والخير، ولكن إتباع الأهواء والشايطين هو الذي يحول الإنسان إلى الباطل والشر، ولذلك يذكر إبن تيمية في غير موضع أن الرسل يأتون بالشرائع التي ترد الناس إلى فطرهم الصحيحة، بحيث تقوي هذه الفطر وتبعد عنها ما يفسدها، فالرسل بعثوا بتقرير الفطرة وتكميلها لا بتغيير الفطرة وتحويلها والكمال يحصل بالفطرة المكملة بالشريعة المنزلة، والله عز وجل قال ﴿لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم، ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ (4)

---

(1)- رواه أحمد في المسند (435/3)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (323/2).

(2)- مدخل إلى الثقافة الإسلامية: محمد رشاد سالم، دار القلم للنشر والتوزيع ط9 1987م، ص 218 - 219.

(3)- رواه مسلم في كتاب صفة الجنة والنار، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة والنار (159/8).
وأحمد في مسنده (162/4)
كلاهما عن عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم.

(4)- الروم 30.

"لا تغيير للدين ولا ينبغي أن يفعل ذلك فهو الدين المستقيم الذي لاعوج فيه على الإستقامة، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الإسلام هو الدين الحق دون سائر الأديان" (1)

وفي قوله تعالى "فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله" ربط واضح بين الدين والفطرة "وبهذا يربط بين فطرة النفس البشرية وطبيعة هذا الدين، وكلاهما من صنع الله، وكلاهما موافق لناموس الوجود، وكلاهما متناسق مع الآخر في طبيعته واتجاهه والله الذي خلق القلب البشري هو الذي أنزل إليه هذا الدين ليحكمه ويصرفه ويصب له من المرض ويقومه من الأنحراف وهو الأعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير، والفطرة ثابتة والدين ثابت، فإذا انحرفت النفوس عن الفطرة لم يردها إليها إلا هذا الدين المتناسق مع الفطرة، فطرة البشر وفطرة الوجود" (2)

وإنه يتضح لنا جليا بعد هذا العرض لمعنى الفطرة في اللغة والقرآن والحديث أهميتها وأهمية المنهج الفطري في الدعوة إلى الله، وهو منهج يناسب كل اصناف المدعويين.

ثانيا: المنهج العقلي والفكري:

هذا المنهج عماده هو العقل والتفكير، والله عز وجل لم يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات إلا بالعقل، فكرمه وجعله خليفة في الأرض، بل إن تكليف الإنسان منوط بالعقل والإدراك.

وقد تتداخل معاني العقل والفكر والعلم، لذلك جعل كثير من الباحثين المنهج العقلي والفكري والعلمي منهجا واحدا لمسمى واحد، رغم الفرق الموجود والملاحظ بينهم، فالمنهج العقلي يناسب كل عاقل مدرك، وإن قلت ثقافته العلمية والفكرية، والمنهج العلمي يلائم العلماء في مختلف فروع العلم والمعرفة، أما المنهج الفكري فيتوافق أكثر مع أرباب القدرات الإبداعية، الذين يزنون كل شيئ، وكل ما يعرض عليهم بفكرهم وبالنظر والتمحيص "وأدلة الكتاب والسنة إنما هي أدلة عقلية مع كونها شرعية، والقاعدة التي ينبغي أن يؤمن بها كل مسلم هي أنه لا مجال للتعارض مطلقا بين الشرع والعقل، وكلما درس الإنسان أمور دينه أيقن بصحة هذه القاعدة" (3)

---

(1)- مختصر تفسير الطبري:جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق واختصار صالح أحمد رضا ومحمد علي الصابوني، مكتبة رحاب الجزائر 1991م، ج2، ص 181.

(2)- في ظلال القرآن: سيد قطب، ج5، ص 2767.

(3)- المدخل إلى الثقافة الإسلامية: محمد رشاد، ص 227 - 228.

وكان الشيخ محمد الغزالي رحمه الله يقول دائما "العقل الصحيح لا يتعارض مع الدين الصحيح"

"والواضح أن الإنسان إذا عرض عليه إعتناق منهاج ما فإن أول ما يفعله، أو يجب أن يفعله هو أن يستقبل هذا العرض بعقله ويحيل فيه فكره، فإما قبله وإما رفضه، وهذا ما طلبه القرآن الكريم من المشركين ﴿قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا﴾ (1)، والتفكير المطلوب هو تفكير الدارس الممحص الذي يقلب ما أمامه على وجوهه الممكنة ليكشف الحق من الباطل، وليميز الخبيث من الطيب، ومن ثم إستنكر القرآن على جمهور المشركين أن يجنحوا إلى الخرافات في تدينهم وأن يبتعدوا عن منهاج المعرفة الصحيحة" (2)

فالشيخ الغزالي رحمه الله يبين أن أول ما يفعله الإنسان أو يجب أن يفعله حين تعرض عليه الدعوة هو أن ينظر بعقله الممحص في الأدلة التي يراها أمامه، ثم بعد ذلك يصدر حكمه إما بالقبول أو بالرفض، وهذا يبين لنا أهمية هذا المنهج في الدعوة إلى الله والإسلام، دعا العقل إلى النظر والتفكير وجعل ذلك من العبادة، والرسول صلى الله عليه وسلم يبين لنا أن فكر ساعة في ملكوت السموات والأرض وفي خلق الله قد يصل بالإنسان إلى معرفة الله عز وجل، وإلى خشيته وطاعته والإبتعاد عن معصيته، بل قد يصل بالملحد والمشرك إلى الإيمان بالله وتوحيده وهذا نجده كذلك في أحاديث أخرى للرسول صلى الله عليه وسلم يبين لنا العلاقة الوثيقة بين العقل والتفكير، والذكر والعبادة.

قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: "إن الرسول صلى الله عليه وسلم قام ذات ليلة وتوضأ ودخل في الصلاة، وبقي يصلي ويبكي حتى أذنه بلال لصلاة الصبح، قالت: فقلت يا رسول الله على ما البكاء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: ياعائشة افلا أكون عبدا شكورا، ولما لا أفعل وقد أنزل الله في هذه الليلة "إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لأيات لأولي الألباب، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار" (3)،

---

(1)- سبأ 46.

(2)- في موكب الدعوة: محمد الغزالي، سلسلة الوعي الإسلامي، منشورات دار الكتب 1989، ص 4913 - 150.

(3)- آل عمران 190 - 191.

ثم قال: "ويل لمن قرآها ولم يفكر فيها" (1)

والإنسان حين يرفع راسه إلى السماء وينظر إلى النجوم يستطيع بفطرته السليمة وبإدراك العقل والفكر أن يعرف أن لهذه السماء وما فيها ربا وخالقا يبحانه وتعالى.

فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم "بينما رجل مستلقي على فراشه إذ رفع راسه فنظر إلى السماء والنجوم فقال: "أشهد أن لك ربا وخالقا اللهم اغفرلي، فنظر الله إليه فغفر له" (2)

وقد كتب الأستاذ عباس محمود العقاد تحت عنوان (التفكير فريضة إسلامية) يقول في مقدمته "القرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة ولا مقتضبة في سياق الاية، بل هي تأتي في كل موضع من مواضيعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة، وتتكرر في كل معرض من معارض الأمر والنهي التي يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله، وإيلام فيها المنكر، على إهمال عقله وقبوله الحجر عليه، ولا يأتي تكرار الإشارة إلى العقل بمعنى واحد من معانيه التي يشرحها النفسانيون من أصحاب العلوم الحديثة، بل هي تشمل وظائف الإنسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها، وتتعمد التفرقة بين هذه الوظائف والخصائص في مواطن الخطاب ومناسباته، فلا ينحصر خطاب العقل في العقل الوارع ولا في العقل المدرك ولا في العقل الذي يناط به التأمل الصادق، والحكم الصحيح، بل يعم الخطاب في الآيات القرآنية كل ما يتسع له الذهن الإنساني من خاصة أو وظيفة." (3)

وفي كتاب الله عز وجل ألفاظ كثيرة تؤدي معنى العقل، وآيات كثيرة تذكر لفظ العقل بمشتقاته مثل: أولوا الألباب - يعقلون - يتفكرون - يتدبرون - يذكرون - يعلمون - يفقهون.

---

(1)- رواه إبن حبان في صحيح كتاب الرقائق، باب التوبة (9/2) عن عائشة رضي الله عنها.
وذكره القرطبي في تفسيره (310/4)
وذكره السيوطي في الدر المنثور (116/2) في تفسيره (180/2)

(2)- ذكره القرطبي في تفسيره أحكام القرآن ج4، ص 314.
وذكره السيوطي في تفسيره الدر المنثور، ج2، ص 111.
ويقولان عن أبي هريرة مرفوعا.

(3)- التفكير فريضة إسلامية: عباس محمود العقاد، مكتبة رحاب مطبعة المعارف الجزائر، ص 5 - 6.

فالله عز وجل حلق الإنسان وخلق هذا الكون وجعل الإنسان خليفة وأشهده على نفسه "واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين..." (1)

"وأودعه قوى العالم والتفكير والإدراك وألهمه تمييز الخبيث من الطيب، وأعطاه حرية في الإدارة والإختيار ومنحه سلطة التصرف في الأمور كما يشاء، وخوله نوعا من الإستقلال "AUTONOMy" ... ثم قال له لاتكن في مملكة هذه حر طليق تركب رأسك ولا تكن عبدا لغيري، فلا أحد غيري يستحق أن تطيعه وتعبده وتخضع أمامه، وإن الحياة الدنيا التي أعطيت فيها نوعا من الإستقلال إنما هي إمتحان (2)

وهكذا نرى أهمية العقل وأهمية المنهج العقلي والفكري في الدعوة إلى الله، فهو يمس كل الناس وكل عاقل، فينبغي على الدعاة أن يستخدموا هذا المنهج وأن يحسنوا إستعمال أساليبه والإستدلال بالأدلة والبراهين العقلية وسنرى ذلك أكثر تفصيلا في المكان المناسب من البحث.

ثالثا: المنهج العاطفي.

هذا المنهج من أنجح المناهج وأنجعها في أوساط الشباب والمراهقين وينبغي على الداعية أن يحسن إستخذامه وإثلارة العواطف الوجدانية والنفوس، وإذا لم نحسن البناء الداخلي للنفوس ورفع الإيمان على دعائمه الفكرية والعاطفية كلها فإن الأجيال الناشئة لا تنجو من أثار هذا الزحف، وربما شعرت بنقص في كيانها الروحي تسعى لتستكمله في جهات أخرى، وهذا باب لو انفتح هبت منه شرور جائحة" (3)

---

(1)- الأعراف 172.

(2)- مبادئ اساسية لفهم القرآن: أبو الأعلى المودودي، دار الراية للنشر، ط4، ص 15 - 16.

(3)- الجانب العاطفي في الإسلام: محمد الغزالي، شركة الشهاب، الجزائر، 1990، ص 4.

والإنسان يقوم على جانبين كبيرين الجانب العاطفي والجانب العقلي، فالجانب العاطفي ينبغي أن لا ينفصل كليا عن الجانب العقلي والفطري "إثارة العواطف بجانب مناشدة العقول وعليه (أي على الداعية) أن يعمل ما تقتضيه دعوته وحركته في ظروف متباينة وأوضاع متضاربة، فمن إقرار الدعوة في سويداء القلوب إلى مخاطبة العقول بمختلف النظريات إلى إستثارة الفيض من المشاعر إلى كسر شوكة المعارضة، إلى تربية الإتباع وإصلاحهم إلى نفخ الحماس في نفوسهم، إلى تحويل الأعداء أصدقاء أوفياء، إلى إرغام المنكرين على الإقرار إلى دحض حجة الجاحدين وقطع دابر نفوذهم الأدبي، وما إلى ذلك من الأمور التي يجب على رائد الدعوة وقائد الحركة (وهو الداعية) أن يقوم بها على أكمل وجه وأوفق منهجا" (1)

فأوفق منهج في الدعوة إلى الله هو منهج المزج بين إثارة العواطف والمشاعر، ومخاطبة أو مناقشة العقول "ونظام القرآن كله جار على هذا النسق، يقدم بين يد المحاكمة العقلية تمهيدا وجدانيا مثيرا ومنبها، أو يعقب البحث العلمي والعقلي بخاتمة وجدانية تحضر النفس من عواقب عدم إقتيادها للعقل ومن هنا تعلم مدى خطورة تلك التربية التي تعتمد على العاطفة والوجدان غاية برأسها لا وسيلة إلى غيرها أي دون أن يكون ثمة مضمون عقلي يركن إليه الفكر ويؤمن به ويطمئن له" (2)

ونأخذ مثالين لذلك من القرآن الكريم في قوله تعالى﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه إن صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا، متاعا لكم ولأنعامكم، فإذا جاءت الصرخة يوم يمر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل إمرء منهم يومئذ شأن يغنيه، وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قطرة أولائك هم الكفرة الفجرة﴾ (3)

ففي الشطر الأول من هذا النص القرآني نلاحظ أن هناك أولا تنبيها للعقل على وجود الله ودلائل ذلك، ودفع الإنسان إلى الإيمان به ثم يأتي في الشطر الثاني من النص إثارة للنفس والوجدان عن طريق الترغيب والترهيب بذكر اليوم الآخر وبعض المشاهد من ذلك (4).

---

(1)- مبادئ اساسية لفهم القرآن: أبو الأعلى المودودي، ص 35.

(2)- منهج تربوي فريد في القرآن: محمد سعيد رمضان البوطي، دار الشهاب للطباعة والنشر، الجزائر ص 69.

(3)- عبس 24- 43

(4)- المرجع السابق ص 67 بتصرف.

ويقول الله عز وجل في سورة النساء ﴿يا أيها الناس إتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تسألون به والأرحام إن الله كان عليما رقيبا وآتوا اليتامى أموالهم ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا﴾ (1)

فهذه الأيات من المباحث الفكرية والعقلية لكن سبحانه تعالى يقذم لها بإثارة نفسية ووجدانية كي يجعل الإنسان متهيئ لتقبل هذه الأحكام والخضوع لها فقد حرك العاطفة الإنسانية عند السامع والقارئ والمستقبل لهذه الأحكام تجاه إخوانه من بني جنسه وأنار فيه دوافع حفظ الأخوة وحذره من عقاب الله إن هو ضيعها أو تهاون في أمرها (2)

إنه ينبغي على الداعية أن يلم بأحوال الناس وطبائعهم وأنماط سلوكهم، وأن يغوص في أعماق نفوسهم كي يستطيع أن يصل إلى التوافق معه، فقد أكد علم النفس أن كل إنسان يحتاج إلى الحب والعطف و"يرغب في أن يكون محبوبا من أسرته وأصدقائه ومن الناس عامة كما يرغب أن يعامله الغير بالعطف والمودة، وحرمان الإنسان من حبهم وعطفهم وانباههم وخاصة من أفراد أسرته المقربين إليه أمر مؤلم وغير محتمل" (3)

وخلاصة ما نقول في هذا المنهج، أنه ينبغي على الداعية أن يعلم " أن الكيان الإنساني ينهض على دعامتين عظيميتين هما: العقل والوجدان، فأما مبادئ الإسلام الإعتقادية فإنما تكون الدعوة إليها تنبيه العقل وإرشاده، وأما أحكامه وأدابه السلوكية فإنما تكون الدعوة إليها بإيقاظ مشاهر الرغبة والرهبة في طوايا الوجدان" (4)

---

(1)- النساء 1 - 2

(2)- المرجع السابق ص 68 بتصرف.

(3) علم النفس في حياتنا اليومية: محمد عثمان نجاتي، دار القلم الكويت، ط10، 1403 هـ 1983م، ص 368.

(4)- هكذا فلندع إلى الإسلام: سعيد رمضان البوطي، دار الشهاب للطباعة والنشر الجزائر، ص 72.

رابعا: منهج القدوة والأخلاق.

يظهر أن هذا المنهج هو أقرب إلى صفات الداعية منه إلى المانهج العامة للدعوة في القرآن وقد نفكر في صفل يتعلق بقواعد تخص صفات الداعية من الجانب الأخلاقي وأهميته في حياة الداعية كصفة، أما هنا فبين كذلك أنه يمكن أن يكون منهجا مستقلا، تستقي منه بعض الأساليب والوسائل تتعلق بمخاطبة المدعوين، وهذا المنهج هو منهج القدورة، فهو منهج عملي تطبيقي هو أن يكون الداعية صورة طبق الأصل الذي يدعو الناس إليه أن توافق أقواله وأعماله، فهو إذا دعا الناس لشيئ ينبغي أن يكون أول من يطبقه، وجدير به أن يطبق ويلتزم بكل تعاليم القرآن وأخلاقه، فيكون قدوة لغيره من الناس يقرأون فيه وفي أعماله الأداب والأحكام التي جاء بها الدين الحنيف، والمدعوون قد يتاثرون بأعمال الداعية أكبر من تأثرهم بأقواله، ونحن نرى في التاريخ الإسلامي كيف كان التجار المسلمون يفتحون البلدان بكريم أخلاقهم وعظيم خصلهم وحسن معاملتهم للآخرين.

"حين كان المسلمون يتعاملون مع الصليبون في الحروب الصليبية وخاصة في عهد القائد المسلم (صلاح الدين الأيوبي) فيوفون بوعودهم ويأبون أن ينقضوا مواثيقهم حتى حين تحضرهم الضرورة، وتكون المنفعة في نقض هذه المواثيق، حينئذ كانوا يضربون مثلا للأخلاق الحميدة، فهذه هي الأخلاق في سورتها الصلية المستمدة من منهج الله ﴿وإما تخافن من قوم خيانة فأنبذ إليهم على سواء، إن الله لايحب الخائنين﴾ (1)

فالميثاق لا ينقض غدرا حتى حين تخلق الخيانة.. وإنما يعلن العدو أن الميثاق قد إنتهى من جانب الخيانة من جانبه ويعلن أن العلاقة هي علاقة الحرب، فلا يؤخذ على عزة وهو عدو!!، وعلو في العقيدة أغلى ما يملكه المؤمنون" (2)

وحتى حين كن لصليبيون ينقضون الميثاق ويقتلون آلاف المسلمين ويدخلون عليهم لمسجد، ويقتلونهم دخل بيوت لله، ثم بعد ذلك ترتد لجولة للمسلمين ويتغلبون عليهم فإنهم يعاملونهم بمستوى عال من الأخلاق دون إنتقام، لأنهم كانوا يستوحون من منهج الله ويبشون لى هداه، وهذا هو سر نجاحهم في دعوتهم وانتصارهم على عدوهم (3)

---

(1)- الأنفال 58.

(2)- جاهلية القرن العشرين: محمد قطب، دار الشروق 1403، 1983م، ص 160

(3)- المرجع السابق ص 161 بتصرف.

ولقد شهد القرآن الكريم للرسول صلى الله عليه وسلم وللصحابة الكرام رضي الله عنهم جميعا بقدوتهم والتزامهم بالأخلاق القرآنية والمبادئ الإسلامية في أكثر من موضوع من كتاب الله.

﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾(1)

﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ (2)

﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا﴾ (3)

﴿... أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ (4)

وكما سئلت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن خلق الرسول صلى الله عليه وسلم، قالت: "كانت خلقه القرآن" .

فلا يتسع المجال هنا لنستفيض في هذه النقطة، ويكفينا أن الله عز وجل حذرنا من قول مالا نفعل فهو مقتا كبيرا عند الله، ومن أن نأمر الناس بالخير وننسى أنفسنا وهنا ينبهنا إلى منهج القدوة والأخلاق ويشير إليه.

﴿يا أيها الذين آمنوا لما تقولون ما لاتفلون، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ (5)

﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسوا أنفسكم، وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾ (6)

---

(1)- القلم 4.

(2)- الحشر 9.

(3)- الإنسان 8.

(4)- الفتح 59.

(5)- الصف 32.

(6)- البقرة 44.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

((إن آفة رجال الدين حين يصبح الدين حرفة وصناة لا عقيدة حارة دافعة، إنهم يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم يأمرون بالخير ولا يفعلونه، ويدعون إلى الله البر ويهملونه، ويحرفون الكلام عن مواضعه، يأولون النصوص القاطعة خذمة للغرض والهوى، ويجدون فتاوي وتأويلات قد تتفق في ظاهرها مع ظاهر النصوص ولكنها تختلف في حقيقتها عن حقيقة الدين لتبرير أغلاض وأهواء من يملكون المال والسلطان، كما كان يفعل أحبار اليهود، والدعوة إلى البر، والمخالفة عنه في سلوك الداعي إليه هي التي تصيب النفوس بالشك لا في الدعاة وحدهم ولكن في الدعوات ذاتها، وهي التي تبلبل قلوب الناس وأفكارهم، لأنهم يسمعون قولا جميلا ويشهدون قولا أو عملا قبيحا فتتملكهم الحيرة بين القول والفعل وتخبو في أرواحم الشعلة التي توقضها العقيدة وينطفئ في قلوبهم النور الذي يشعه الإيمان ولا يعودون يتقون في الدين بعدما فقدوا ثقتهم برجال الدين.... والمطابقة بين القول والفعل وبين العقيدة والسلوك ليست مع هذا أمرا هينا، ولا طريقا معبدا إنها في حاجة إلى رياضة وجهد ومحاولة، وإلى صلة بالله واستمداد منه واستعانة بهديه، فملابسات الحياة وضروریاتها واضطراراتها كثيرة وتنأى بالفرد في واقعه عما يعتقده في ضمير، أو عما يدعو إليه غيره، والفرد الفاني ما لم يتصل بالقوة الخالدة ضعيف مهما كانت قوته...)) (1)

والله عز وجل هدى رسله إلى صراطه المستقيم وأنزل عليهم الوحي، ثم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقتدي بهم وباثرهم وذلك من خلال ما يوحي إليه من أخبارهم وقصصهم مع أقوامهمخ، قال تعالى ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم أقتده﴾ (2)

"وفي قوله تعالى إقتده تعريف للمشركين بأن محمد صلى الله عليه وسلم ما جاء إلا على سنة الرسل كلهم، وأنه ما كان بدعا من الرسل وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإقتداء بهداهم يؤذن بأن الله روى إليه كل فضيلة من فضائله التي إختص كل واحد بها، سواء ماتفق منه واتحد أو اختلف وافترق، فإنما يقتدي بما أطله الله عليه من فضائل الرسل وسيرهم وهو الخلق الموصوف بالعظيم في قوله "وإنك لعلى خلق عظيم" (3)

---

(1)- في ظلال القرآن: سيد قطب، ج1، ص 68.

(2)- الأنعام 90.

(3)- تفسير التحرير والتنوير: طاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ج6، ص 366.

وإذا كن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخذ فضائل الأنبياء جميعهم واقتضى بهم جميعا فلهذا "يجعل الإسلام قدوته الدائمة هي شخصية رسوله، فهو يجعلها قدوة متجددة على مر الأجيال في واقع الناس، إنه لايعرض عليهم هذه القدوة للإعجاب السالب والتأمل التجريدي في سبحات الخيال، إنه يعرضها عليهم ليحققوها في ذوات أنفسهم كل بقدر ما يستطيع أن يقيس وكل ما بقدر ما يصبر على الصعود، ومن ثمة تظل حيويتها دافئة شاصة ولا تتحول إلى خيال مجرد تهيم في حبها الأرواح دون تأثر واقعي ولا اقتداء" (1)

ونبي الله شعيب عليه السلام قال ﴿يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا، وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ماستطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.﴾ (2)

"أي وإنني بينة ونعمة ما أريد أن أخالفكم في ذلك، مائلا إلى ما أنهاكم عنه مؤثرا لنفسي عليكم، بل أنا مستمسك به قبلكم"(3)

وهو بهذا يتبع منهج القدوة في دعوة قومه إذ لا يخالفهم فيما ينهاهم عنه، بل هو أول من يستمسك بما يأمرهم، وهو يريد الإصلاح زيطلب التوفيق من الله عليه يتوكل وإليه يرجع في كل أموره.

"والإسلام يرى أن القدوة هي أعظم وسائل التربية، فيقيم تربيته الدائمة على هذا الأساس لابد للطفل من قدوة في أسرته ووالديه لكي يتشرب منذ طفولته المبادئ الإسلامية وينهج عن نهجها الرفيع، ولابد للناس من قدوة في مجتمعهم تطبعهم بطابع الإسلام وتقاليده النظيفة، ي يحملوا الأمانة لمن يرونهم من الأجيال، ولابد للمجتمع من قدوة في قائدهم أو زعيمهم أو حاكمهم." (4)

---

(1)- منهج التربية الإسلامية: محمد قطب، دار الشروق، ط5 ــ 6 ـ 7، 1981 ـ 1982 ـ 1983، ج1، ص185 ـ 186.

(2)- هود 88.

(3)- تفسير المنار: محمد رشيد رضا، دار المعرفة بيروت، ج12، ص 144.

(4)- منهج التربية الإسلامية: محمد قطب، ج1، ص 185 ـ 186.

خامسا: منهج القوة.

هذا المنهج هو آخر منهج يستعمل بعد المناهج السالفة الذكر ولا يلجأ الدعاة والمصلحون إليه إلا لغرض إزالة العوائق وتخطي الحواجز التي تعترض ريق الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر والتميكن لدين الله، وإذا اعتبرنا هذا المنهج هو منهج الجهاد، فلا بد أن يعلم الدعاة أن للجهاد شروط وأحكام فصلها الفقهاء وشرحوها في كتبهم، ينبغي على المصلحين أن يعلموها ويربوا أتباعهم عليها، ولا يحيدوا عنها قدر شبر كي لايتحول مسار الدعوة والإصلاح إلى منكر وفساد فوق الأرض، والحقيقة أن منهج القوة لايعني بالدرجة الأولى الجهاد، ولايعني القوة والعنف والغلظة والشدة، فهذا يتنافى مع الدين والدعوة إليه، فالدين رحمة ولين، والقوة ينبغي أن تكون حكمة لا شدة في غير موضعها.

قوة الإيمان أولا، وقوة العلم والأخلاق ثانيا، بما فيهم من أخوة وترابط ووحدة ثم بعد ذلك قوة العدة وقوة الساعد من أجل حماية الدعوة ونشرها، لامن أجل أهواء وأغراض دنيوية ومتاع زائل.

"والإعداد أخذ بالأسباب، والأسباب صنفان، صنف معنوي وصنف مادي، ويحتل الإعداد المعنوي المكان الأول حتى أن النصر ليرتبط بالدرجة الأولى بمدى الأخذ بهذا الإعداد، وفي أيتين كريمتين جمع لنا القرآن هذا الإعداد المعنوي في خمسة أمور: الثبات، ذر الله، طاعة الله ورسوله، عدم التنازع والصبر." (1)

ذلك قول الله ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، واصبروا إن الله مع الصابرن.﴾ (2)

هذه هي مقومات وأسس النصر والوصول إلى الهدف، وهي كما نلاحظ معنوية وليست مادية، وحين ننظر في القرآن الكريم ونقرأ آياته نجده لم يشر إلى الجهاد والقتال ومواجهة العدو في العهد المكي، بل جعل الفترة المكية فترة إعداد وتربية وتعريف وتكوين، وأمر الرسول صلى الله عليه وسل أن يجاهد الكفار والمشركين بالقرآن، أي بالحجة والبيان وتبليغ مع يوحى إليه، قال تعالى ﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا.﴾ (3)

---

(1)- دعوة الله بين التكوين والتمكين: علي جريشة، شركة الشهاب الجزائر 1989، ص 131 - 132.

(2)- الأنفال 45 - 46.

(3)- الفرقان 51 - 52.

وهذه الأية مكية، والجهاد لم يفرض في مكة وهذا يجعلنا نفهم أن معنى الجهاد واسع، فالدعوة جهاد وقول الحق جهاد، فالرسول صلى الله عليه وسلم جعل أفضل جهاد كلمة حق عند سلطان جائر، "أفضل الجهاد كلمة علل عند سلطان جائر" (1)، كما بين لنا صلى الله عليه وسلم في أحاديث أخرى أن الجهاد جهاد النفس وتربيتها وتزكيتها، ﴿قد أفلح من زكها وقد خاب من دسها﴾ (2)، مقدم على جهاد العدو، أي أن الإعداد المعنوي مقدم تقديما كبيرا على الإعداد المادي "المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله والمهاجر من هاجر ما نهى الله عنه" (3)

فمنهج القوة والمنهج الجهاد ينبغي أن يفهم فهما إيجابيا، كما يبينه الرسول صلى الله عليه وسلم، لافهما سلبيا بمعنى العنف والغلظة على المدعوين، سواء كانوا مسلمين أو منافقين أوكتابيين، أو حتى محبوسين، والجهاد خمس أنواع:

"الجهاد باليد واللسان والمال والجهاد التعليمي والجهاد السياسي المشار إليه بكلمة حق عند سائر سلطان جائر، والجهاد بأنواعه كلها هو الطريق لبقاء الإسلام واستمراريته، ولإقامة وإعلاء كلمته، وأول مراتبه...إنكار القلب و'لاه القتال في سبيل الله وبين ذلك جهاد باللسان والقلم واليد، وكلمة الحق عند السلطان الجائر." (4)

يقول صاحب كتاب "فصول من السياسة الشرعية في الدعوة إلى الله" (5)، لاشك أن السلطان المشار إليه في الحديث مسلم ولكنه ظالم، فدعوته ونصحه بالقول من أفضل الجهاد عند الله سبحانه وتعالى، ونستطيع على ضوء هذا التعريف للجهاد أن نقسمه إلى ثلاثة أقسام:

---

(1)- رواه الترمذي في كتاب الفتن: باب ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر 318/3)، وأبو داود في كتاب الملاحم باب الأمر والنهي (120/4)، وإبن ماجة في كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (1329/2)، كلهم عن محمد بن محادة عن عطية عن أبي سعد الخدري مرفوعا، وقال الترمذي حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(2)- الشمس 9 - 10.

(3)- رواه الترمذي في كتاب الجهاد، باب من مات مرابطا (89/3)، ورواه الإمام أحمد (20/6).

عن فضالة بن عبيد عن النبي صلى الله عليه وسلم.

قال الترمذي حديث حسن صحيح.

(4)- في آفاق التعاليم: سعيد حوى، مكتبة رحاب الجزائر 1408 - 1989، ص 138.

(5)- فصول من السياسة الشرعية في الدعوة إلى الله: عبد الرحمن عبد الخالق، دار العلم، مصر دار القلم الكويت، ط1، 1404 هـ 84194م، ص 15.

في القرآن الكريم وقصص الأنبياء لم يذكر الله عز وجل أن نبيا من الأنبياء واجه قومه وحكامه بالقوة والقتل، ماعدا داود وطالوت اللذان قتلا جالوت في معركة فاصلة، سنذكر ذلك في فصل يتعلق بهذا الأسلوب في الدعوة إلى الله، وكذلك محاولة سليمان غزو سبأ وبلقيس التي اسلمت في الأخير بفضل حكمة سليمان ودعوته لها دون مواجهة، وسنراه كذلك في نفس الفصل، ونجد في المقابل أن منهج القوة في قصص الأنبياء يتلخص ويتركز في الإعداد المعنوي والنفسي والتربوي بكل أبعاده.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني

القصص القرآني و علاقته بالدّعوة إلى الله

المبحث الأول : تعريفه – عناصره و الدّعوة إلى اللّه

المبحث الثاني : أقسام القصص القرآني

المبحث الثالث : أهدافه و أغراضه

المبحث الرابع : خلاصة العلاقة بين القصص القرآني و الدّعوة إلى اللّه

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

القصص القرآني جزء من موضوعات و محاور القرآن الكريم، و هو غير يسير و لا قليل، نجده في السور المدنية و السور المكية، و إن كان في السور المكية أكثر و أظهر.

و القصص القرآني يحتوي على عدّة جوانب في العقيدة و الشريعة و الأحكام، كما يحتوي على عدّة قوانين و سنن تساعد الدّعاة على دعوة النّاس و معرفة القواعد و السنن في ذلك.

فالقصص القرآني له علاقة كبيرة بالدّعوة إلى اللّه من حيث عناصره و أقسامه و أغراضه و أهدافه، فهو ينقل لنا أخبار الأمم الماضية، و يقص علينا أنباء الرسل و الأنبياء و اتباعهم و معارضيهم، يبيّن لنا أهم الأساليب التي استعملها الرسل في دعوة أقوامهم، و كيف استخدموا الوسائل المختلفة من أجل الوصول إلى هداية قومهم.

فالقصص القرآني هو المادة الأولى للدّعوة الإسلامية و المصدر الأول لها، يأخذ منه الدعاة و المصلحون القواعد الأساسية لدعوتهم، معتبرين بما جرى بين كل نبي من الأنبياء و قومه من المدعوين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول : تعريفه – عناصره و الدّعوة إلى الله

1) تعريفه

أ) لغة : لكلمة قصص معان لغوية كثيرة

يقول ابن منظور (1)

– القَصُّ : فعل القاصّ إذا قصّ القصص و القصة معروفة.

و يقال : في رأسه قصة يعني الجملة من الكلام.

– قال تعالى : ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص...﴾(2) أي نبيّن لك أحسن البيان، و القاصُّ الذي يأتي بالقصة من قَصِّها.

– و يقال قصَصْتُ الشيء إذا تتبَّعْتُ أثره شيئا بعد شيء، و منه قوله تعالى : ﴿و قالت لأخته قُصّيه﴾(3) أي إتبعي أثره.

– و يجوز بالسين : أي قسست قسًّا.

و يقول صاحب ترتيب القاموس المحيط. (4)

– قصَّ أثره قصا و قصصا : تتبعه و الخبر أعلمه قال تعالى : ﴿فارتدّا على آثارهما قصصا﴾(5) أي رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر، و﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾(2) نبيّن لك أحسن البيان، و القاصُّ من يأتي بالقصة.

– و القصُّ و القَصَصُ : الصدرُ أو رأسه أو وسطه أو عظمه، و قصت الشاة أو الفرس أي إستبان حملها، و القصيصَةُ : البعير يقص أثر الرّكاب، و القِصَة : الطائفة المجتمعة في مكان.

– و رجل قُصَقُصٌ و قصقصة و قُصاقص و قَصقَاصٌ : غليظ أو قصير.

– و أقصه الموت و قصَّهُ : دنا منه، و ضربه حتّى أقصه الموت.

---

(1) – لسان العرب : ابن منظور، ج 5 ، ص : 3650

(2) – يوسف 3

(3) – القصص 11

(4) – ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير و أساس البلاغة : الطاهر أحمد الزاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1979 ، ج3، ص : 632 – 633

(5) – الكهف 64

و جاء في الصحاح (1)

- قصّ أثره : أي تتبعه، قال تعالى :﴿فارتدا على آثارهما قصصا﴾ (2) و كذلك اقتص أثره و تقصص أثره.

- و القصة : الأمر و الحديث، و قد اقتصصت الحديث أي رويته على وجهه، و قد اقتصصت الحديث أي رويته على وجهه.

- و يقال : ضربه حتّى أقصَّهُ من الموت، أي أدناه منه.

- و قصصت الشعر : قطعته.

- و القصيصة من الإبل، الزاملة يُحمَل عليها الطعام و المتاع لضعفها، و القصُّ : رأس الصدر.

- و القَصَّةُ : الجص، لغة حجازية، و قد قصَّصَ داره، أي جصّصها، و في الحديث ((الحائض لا تغتسل حتّى ترى القَصَّةَ البيضاء)) (3) أي حتى تخرج القطعة أو الخرقة التّي تحشي بها كأنّها قصَّةٌ لا يخالطها صفرة و لا تربة.

- و القُصَّةُ بالضم : شعر الناصية.

- و رجل قُصقُصة بالضم، أي قصير غليظ مع شدّة، و جمل قصاقص أي عظيم، و أسد قَصاقِصٌ و هو نعت له في صورته، و حيَّةٌ قَصاقِص و هو نعت لها في خبثها.

و هكذا نلاحظ أنّ لكلمة "قصص" معان لغوية كثيرة، و تكاد تشترك التعاريف اللغوية السابقة في معان ثلاثة لها أهمية من حيث علاقتها بموضوع الدّعوة إلى اللّه، هذه المعاني هي:

1) - تتبع الأثر

2) - الدنو و الإقتراب

3) - التبيين أحسن البيان

---

(1) - تاج اللّغة و صحاح العربية : إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ج3، ص : 1051 - 1052 - 1053.

(2) - الكهف 64.

(3) - حديث رواه البخاري في كتاب الحيض، باب إقبال الحيض و إدباره (82/1) و مالك في الموطإ، الحديث 127 ص 50.

كلاهما عن عائشة موقوفا (أي من قول عائشة رضي اللّه عنها)

فمفهوم القصة من الجانب اللّغوي هو تتبع لأثر السابقين و الدنو منهم و التنقيب عن أحداثهم و التبيّن منها أحسن البيان من أجل أخذ العبرة منها في شتى مجالات الحياة.

يقول الدكتور عبد الكريم الخطيب (1) :

"نحن حين ننظر في المعنى اللّغوي للقصة نرى أنّ أصل إشتقاقها يتلاقى مع المفهوم الذي قام عليه أصل التسمية للقصص القرآني... فالقصة مشتقة من القص و هو تتبع الأثر... و الإشتقاق اللّغوي للقصة أو القص هو كشف عن آثار، و تنقيب عن أحداث، نسيها النّاس أو غفلوا عنها، و غاية ما يراد بهذا الكشف هو إعادة عرضها من جديد، لتذكير النّاس بها و إلفاتهم إليها ليكون لهم منها عبرة و موعظة، هكذا كان القصص القرآني و لهذا جاء قوله تعالى ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى، و لكن تصديق الذي بين يديه، و تفصيل كل شيء، و هدى و رحمة لقوم يؤمنون﴾ (2).

"و كانت تسمية الأخبار التي جاء بها القرآن الكريم قصصا، مما يدخل في المعنى العام لكلمة خبر أو نبأ... و قد إستعمل القرآن الخبر و النبأ بمعنى التحدث عن الماضي، و إن كان قد فرّق بينهما في المجال الذي إستعملا فيه جَرْيًا على ما قام عليه نظمه من دقة و إحكام و إعجاز... فاستعمل النبأ و الأنباء في الإخْبَارِ عن الأحداث البعيدة زمانا أو مكانا... على حين أنّه إستعمل الخبر و الأخبار في الكشف عن الوقائع القريبة العهد بالوقوع أو التي لا تزال مشاهدها قائمة ماثلة للعيان" (3).

و نأخذ أمثلة من القرآن الكريم في معنى كلمة الخبر و النبأ و الإخبار و الإنباء.

- ففي النبأ و الأنباء يقول اللّه تعالى في أصحاب الكهف :

﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق﴾ (4)

- و يقول سبحانه و تعالى في الأمم السابقة و ما وقع فيها من مثلات

﴿ذلك من أنباء القرى نقصُهُ عليك منها قائم و حصيد﴾ (5)

---

(1) - القصص القرآني في منطوقه و مفهومه : عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص : 44 - 48

(2) - يوسف 111.

(3) - المرجع السابق ص 45.

(4) - الكهف 13

(5) - هود 100

﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت و لا قومك من قبل هذا﴾ (1).

- و في الخبر و الأخبار يقول سبحانه و تعالى مخاطبا المؤمنين :

﴿و لنبلونكم حتّى نعلم المجاهدين منكم و الصابرين و نبلو أخباركم﴾ (2)

- و يقول جلّ شأنه فيما يكون من أحداث يوم القيامة

﴿يومئذ تحدث أخبارها بأنّ ربك أوحى لها﴾ (3)

و التحديث بالأخبار إنّما يكون في هذا الوقت الذي تقوم فيه الساعة.

- و إذا نظرنا في قوله تعالى : ﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق﴾.

نجد أنّ القصص القرآني إنّما هو من قبيل الأنباء أي الأخبار التي بَعُدَ الزَمَنُ بها، و اندثرت أو كادت تندثر، و لهذا سمّاها القرآن الكريم : من أنباء الغيب.

- و أريد في الأخير أن أذكر الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر كلمة القصص و مشتقاته و هي لا تتجاوز عشر آيات.

- **كلمة القصص** :

﴿و إنّ هذا لهو القصص الحق و ما من إله إلاّ اللّه و إنّ اللّه لهو العزيز الحكيم﴾ (4).

﴿و لو شئنا لرفعناه بها و لكنّه أخلد إلى الأرض و اتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذّبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلّهم يتفكرون﴾ (5).

﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن و إن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ (6).

---

(1) - هود 49.

(2) - محمد 31

(3) - الزلزلة 04

(4) - آل عمران 62

(5) - الأعراف 176

(6) - يوسف 03

﴿فجاءته إحداهما تمشي على إستحياء قالت إنّ أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا، فلمّا جاءه و قصّ عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾ (1).

- **كلمة قَصَصًا** :

﴿قال ذلك ما كنّا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا﴾ (2)

- **كلمة قصصهم** :

﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى و لكن تصديق الذي بين يديه و تفصيل كل شيء و هدى و رحمة لقوم يؤمنون﴾ (3)

- **كلمة قصصنا** :

﴿و رسلا قد قصصناهم عليك من قبل و رسلا لم نقصصهم عليك و كلّم اللّه موسى تكليما﴾(4).

﴿و على الذين هادوا حرّمنا ما قصصنا عليك من قبل و ما ظلمناهم و لكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ (5).

﴿و لقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك و منهم من لم نقصص عليك و ما كان الرسول أن يأتي بآية إلاّ بإذن اللّه فإذا جاء أمر اللّه قُضِيَ بالحق و خسر هنالك المبطلون﴾ (6)

ب) إصطلاحا :

ليس هناك تعريف إصطلاحي يجتمع عليه الذين عرّفوا القصص و القصة، لكننا نجد تعريفات كثيرة، فكل واحد يعرّف القصص حسب إختصاصه و ميوله و إتجاهه، فمنهم من يميل في تعريفه إلى جعل القصة مجرد أحداث تاريخية نسيها النّاس، و منهم من يميل في تعريفه إلى الجانب الأدبي و الفني، و منهم من يميل إلى ما نحن بصدد دراسته و هم الأكثرون

---

(1) – القصص 25

(2) – الكهف 64

(3) – يوسف 111

(4) – النساء 164

(5) – النحل 110

(6) – غافر 78

خاصة الدعاة و المفسرين و أعني به الجانب الدعوي و التربوي و الوعظي.

و الحقيقة أنّ القصص القرآني جاء ليحرك العواطف و يؤثر في النفوس و الوجدان و يخاطب العقول و يقيم الحجة و البرهان ليصل في النهاية بالمستمع إلى الغاية الكبرى و هي العبرة و النجاة.

يقول الفخر الرّازي (1) :

((القصص هو مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين و يرشد إلى الحق و يأمر بطلب النجاة)).

و يقول الشيخ محمد الغزالي (2) :

((قصص القرآن قطع من الحياة الماضية، إسترجعها الوحي للتعليم و الإعتبار)).

و من تعاريف الذين اتجهوا اتجاها تاريخيا قولهم :

((القصص القرآني كله عرض لأحداث تاريخية مضى بها الزمن فهو وثيقة تاريخية من أوثق ما بين يدي التاريخ من وثائق، فيما جاء فيه من أشخاص و أحداث، و ما يتصل بالأشخاص و الأحداث من أمكنة و أزمنة...)) (3).

((قصص القرآن : إخباره عن أحوال الأمم الماضية، و النبوات السابقة و الحوادث الواقعة)) (4).

أمّا الذين حاولوا الجمع بين تعريف القصص في إتجاه أدبي فني و دعوي تربوي فقالوا :

((القصة وسيلة من وسائل التعبير الفني ينشرها الكاتب فيبرز بها ما يشغل الناس من أمور الحياة، و ما تتصف به نفوسهم من خلال و أخلاق لينصح أو يرشد أو يعظ أو ينقذ أو يلاحظ، و هي بهذا لوحة فنية جميلة، تتمد د على صفحتها ألوان حياة البشر و أنماط سلوكهم و صور أفعالهم بكل أنواعها المتقاطعة و المتوازية، المتطابقة و المتضادة، و مرآة صافية للحياة، إذا أحسن نصبها أعطت أفضل المناهج لتقويم الحياة و تخلها من الشوائب لتقويم الحياة

---

(1) – التفسير الكبير : الفخر الرّازي ، دار الفكر، ج4 ص 92

(2) – المحاور الخمسة للقرآن الكريم : محمد الغزالي، دار الهدى، الجزائر، ص 108

(3) – القصص القرآني في مفهومه و منطوقه : عبد الكريم الخطيب، ص : 39.

(4) – مباحث في علوم القرآن : منّاع خليل القطان، مؤسسة الرسالة، ط 8 ، 1981، ص : 306

و يوضح الدكتور محمد أحمد خلف اللّه هذا الكلام بضرب أمثلة من القرآن الكريم فيقول (1) فيمايلي كلامه السابق بشيء من التصرف "أريد أن أختار أقاصيص قرآنية تدور حول شخص واحد لنرى منها كيف كانت عملية توزيع العناصر في القصة تتبع الدّعوة الإسلامية في تقدمها و ترقيها، قال تعالى :

﴿كذبت ثمود بطغواها إذا انبعث أشقاها فقال لهم رسول اللّه ناقة الله و سقياها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها و لا يخاف عقباها﴾ (2)

و قال : ﴿كذبت ثمود بالنذر فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إنا إذًا لفي ضلال و سعر، أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذّابٌ أشر سيعلمون غدا من الكذّاب الأشر، إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم و اصطبر، و نبئهم أنّ الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر، فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابي و نذر، إنّا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر و لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر﴾ (3).

– ففي القصة الواردة في سورتي الشمس و القمر و هما من أوائل ما نزل من القصص حول ثمود و صالح نجد أنّ العنصر القصصي البارز هو تصوير الأحداث التي تلم بالأمم، و المصائب التي تنزل بالجماعات من بث الرعب و إشاعة الخوف ليَعْدِلَ الإنسانُ عن موقفه، و يترك العناد و التكذيب، و من هنا برز عنصرُ الأحداث و اختفى ما عداه من العناصر، و أختير لأنّه الملائم لحال النبي أول عهده بالدعوة و إعلانه أنّه رسول رب العالمين.

– و إذا انتقلنا إلى الأمام و قرأنا قصص الأعراف و الشعراء لاحظنا تطورا في فن البناء، فنلاحظ تعدد الشخصية فهنا صالح و ثمود، و هناك ثمود فقط، و نلاحظ الحوار بين النبي و قومه حينا، و بين بعضهم البعض أحيانا أخرى، و نلاحظ المسرفين الذين يصدون الناس عن الإيمان و يفسدون في الأرض و لا يصلحون، و نلاحظ إلى جانبهم الأحداث و تحديهم للنبي بطلب البينات.

---

(1) – المرجع نفسه، ص : 262 – 263 – 264 ، .

(2) – الشمس 14 – 15

(3) – القمر 23 – 32

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إننا نلاحظ تعدد العناصر و إن ظل بعضها مهملا كصور الأشخاص و نلاحظ أنّ العنصر الجديد القوي هو عنصر الحوار، و نلاحظ أن موضوع هذا الحوار هو الأمور التي كانت تشغل الذهن العربي وقت إرسال محمدﷺ، و نزول القرآن الكريم، كما نلاحظ أنّ الحالة الموصوفة من فرقة و إنقسام و صدّ الناس عن سبيل اللّه أو إتباع النبي إنّما هي بعينها التي تعانيها الجزيرة العربية في ذلك الوقت بالذات.

قال تعالى في سورة الأعراف :

﴿و إلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا اللّه ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة اللّه لكم آية فذروها تأكل في أرض اللّه و لا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم، و أذكروا إذا جعلكم خلفاء من بعد عاد و بوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا و تنحتون الجبال بيوتا، فاذكروا آلاء اللّه و لا تعثوا في الأرض مفسدين، قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أنّ صالحا مرسل من ربه قالوا إنّا بما أرسل به مؤمنون، قال الذين استكبروا إنّا بالذي آمنتم به كافرون فعقروا الناقة و عتو عن أمر ربهم و قالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين، فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم و قال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي و نصحت لكم و لكن لا تحبون الناصحين﴾ (1).

و في سورة الشعراء قال :

﴿كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون، إنّي لكم رسول أمين فاتقوا اللّه و أطيعون، و ما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتتركون فيما هاهنا آمنين في جنات و عيون و زروع و نخل طلعها هضيم و تنحتون من الجبال بيوتا فارهين فاتقوا اللّه و أطيعون و لا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض و لا يصلحون، قالوا إنّما أنت من المسحرين ما أنت إلا بشرا مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين قال هذه ناقة اللّه لها شرب و لكم شرب يوم معلوم و لا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فأصبحوا نادمين، فأخذهم العذاب إنّ في ذلك لآية و ما كان أكثرهم مؤمنين و إنّ ربك لهو العزيز الرحيم﴾ (2).

---

(1) – الأعراف 73 – 79

(2) – الشعراء 141 – 159

– و أمّا إذا نظرنا إلى نفس القصة في سورة النمل فإنّه يتبين لنا إلى أي حدّ كان القصص يجاري الدّعوة الإسلامية و يتغذى بلبانها، إذ نلاحظ في سورة النمل عنصرا جديدا هو عنصر الغرائز و العواطف و عنصر القضاء و القدر، فقد بلغ الضيق حدّه بعد إذ تجاوزت الخصومة منتهاها، و تَطَيَّرَا القَوْمُ برسولهم إذ أصبح نذير فرقة و إنقسام، و كذّب القوم الرسول و تحدوه، فلم تأتهم البيّنة و لم ينزل عليهم أو بهم العذاب، فلم يبقى هناك سوى طريقة واحدة هي الإغتيال، فكانت المؤامرة التي يراد بها القضاء على الرسول، و كان المتآمرون تسعة رهط يفسدون في الأرض و لا يصلحون، و هنا يتدخل القدر فينجو النبي و يَحِلُ بقومه العذاب قال تعالى :

﴿و لقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن أعبدوا اللّه فإذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون اللّه لعلكم ترحمون قالوا اطيرنا بك و بمن معك قال طائركم عند اللّه بل أنتم قوم تفتنون و كان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض و لا يصلحون قالوا تقاسموا باللّه لنبيتنه و أهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله و إنا لصادقون و مكروا مكرا و مكرنا مكرا و هم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم و قومهم أجميعن فتلك بيوتهم خاوية لما ظلموا إنّ في ذلك لآية لقوم يعلمون و أنجينا الذين آمنوا و كانوا يتقون﴾ (1).

و نكتفي بهذا القدر في التدليل على الصلة الكبيرة بين الدعوة الإسلامية و القصص القرآني أو بالأخص بين توزيع العناصر في القصة و علاقتها بجانب معين من جوانب و أحداث الدّعوة إلى اللّه.

و فيما يلي سأعرض كل عنصر من عناصر القصص القرآني الخمسة المذكورة في أول هذا المطلب.

1) – <u>الأشخاص</u> :

ليس المقصود بالأشخاص هنا أناس من رجال و نساء، و لكنّ المقصود بها هي كل شخصية وقعت منها أحداث و صدرت عنها عبارات و أفكار أدّت دورا إيجابيا في القصة سواء أكانت ملائمة أو جنا أو طيورا أو حشرات. (2)

---

(1) – النمل 45 – 53

(2) – الفن القصصي في القرآن : محمد أحمد خلف اللّه، ص 265.

و لهذا قسّم الباحثون أشخاص القصة القرآنية إلى :

أ) – أناس : رجالا و نساء، صالحين و طالحين، حكاما و محكومين رسلا و مرسل إليهم، أغنياء و فقراء، آباء و أمهات و أبناء.

ب) – شخصيات غيبية من جن و ملائكة.

جـ) طيور و حشرات و حيوان : كالكلب و الحمار و البقر و العجل و النحل و النمل و الهدهد.

د) و يمكن للشخصية أن تكون شخصية جماعية كبني إسرائيل و المقصود بالشخصية الجماعية ((الجماعة البشرية عندما تتفق أفكارها و أحاسيسها، و تتآلف خطواتها و أفعالها فتتحرك على مسرح القصة بمشاعر و عواطف فرد واحد و تكون في حركتها تلك كأنها شخصية واحدة)) (1).

أ) – شخصية الرجال شخصية واضحة، فغالبا ما يمدد القصص القرآني أسماءهم، و ما لهم من صفات جسدية أو نفسية أو عقلية أو أخلاقية و دعوية تجعل المستمع و القارىء للقصص يلاحظ صورا حقيقية و حية بإمكانه أن يعتبر منها بكل سهولة و يسر.

– فنجد مثلا شخصية الأنبياء و هم الدعاة إلى الله الذين يراد من وراء إبراز شخصيتهم التأسي بهم و الإقتداء بهم في منهج دعوتهم، تظهر أخلاقهم العالية من صبر و حلم و أناة و رأفة و رحمة، و قدراتهم العقلية من علم و حكمة مثل ما هو في قصة سليمان و قصة موسى مع العبد الصالح.

– و كما نجد شخصيات أخرى غير الأنبياء و هم أفراد عاديون، ملوك و وزراء كفرعون و هامان و آزر و لقمان و العزيز و ابن سفح، يستطيع الداعية أن يعرف من خلالهم أحوال المدعوين و نفسياتهم ليعامل كل حسب منصبه و أحواله و إتجاهه.

– أمّا شخصية المرأة في القصص القرآني فهي شخصية بارزة و واضحة، فنجد المرأة تشارك الرجل في جميع الحياة من أدنة مستوى إلى أعلى مستوى، تشاركه في العمل الدعوي و التربوي و التغييري، تشاركه في الإيمان و الكفر و الهدى و الضلال، و تشاركه كذلك بل تحكمه في شؤون تسيير الدولة و السياسة مثل ملكة سبأ.

---

(1) – الجانب الفني في القصة القرآنية : خالد أحمد أبو جندي، ص 201.

رغم أنّنا نجد المرأة في القرآن الكريم غالبا ما تكون تابعة للرجل و ليس في ذلك ما ينقص قدرها، فنجد عبارات منها (مريم ابنة عمران) (امرأة فلان، امرأة نوح، و امرأة لوط، و امرأة عمران، و امرأة العزيز و امرأة فرعون).

- يقول تعالى في شأن امرأتين كانتا زوجين لنبيين كريمين و هو يضرب مثلا للذين كفروا و للذين آمنوا مثل امرأة فرعون :

﴿ضرب الله مثلا للذين كفروا إمرأة نوح و امرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا و قيل أدخلا النّار مع الداخلين، و ضرب الله مثلا للذين آمنوا إمرأة فرعون إذ قالت ربّ ابن لي عندك بيتا في الجنة، و نجني من فرعون و عمله و نجني من القوم الظالمين﴾(1).

و نجد المرأة في القرآن الكريم و قصصه، المرأة مؤمنة تبحث عن الزوج الحلال، و نجدها كذلك إمرأة عاصية تبحث عن الحرام قال تعالى : ﴿فجاءته إحداها تمشي على استحياء قالت : إنّ أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾(2) فهي خرجت من البيت و راحت تمشي إلى موسى و لكن على إستحياء بعد أن طلبت من أبيها موسى الإستمساك بموسى و الحرص عليه لمّا قالت له : ﴿يا أبت استأجره إنّ خير من استأجرت القوي الأمين﴾ (3).

و تصل المرأة الطائعة و المؤمنة في الأخير بفضل حسن تدبيرها و حكمتها إلى غايتها و تتزوج بموسى.

في حين نجد امرأة العزيز يستبد بها الحب و يغلبها الهوى و النفس و الشيطان فتريد الفاحشة و الزنا مع رجل مؤمن و مخلص و داعية إلى الله.

- و المرأة حين تتحرك فيها العواطف و خاصة عاطفة الأمومة فهي تحمي كل طفل رضيع و هذا ما حدث لموسى مع امرأة فرعون ﴿و قالت امرأة فرعون : قرة عين لي و لك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا ﴾. (4)

---

(1) - التحريم 10 - 11

(2) - القصص 25

(3) - القصص 26

(4) - القصص 09

و نجد المرأة في القصص القرآني ملكة ذات قوة و سلطان و قد إكتسبت هذا المنصب بفضل عقلها و حكمتها و تدبيرها إنّها بلقيس ملكة سبأ و قد نرجع إليها أكثر تفصيلا في الفصول القادمة.

فينبغي على الداعية أن يعرف شخصية النساء معرفة جيدة و أن يميز بينهنّ، فإنهنّ يتفقن و يشتركن في صفات و يتميزن في أخرى.

ب) - الشخصيات الغيبية التي جاء ذكرها في القصص القرآني ملائكة و جن :

- فالملائكة تأتي في صورة إنسان و في زي بشر كما حدث ذلك لإبراهيم و لوط إذ تمثلت الملائكة في زي أضياف فأكرم إبراهيم ضيوفه، و أمّا لوطا فقد خاف منهم قال تعالى :

﴿و لقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ فلّما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم و أوجس منهم خيفة قالوا لا تخف..... و لما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم و ضاق بهم ذرعا و قال هذا يوم عصيب...﴾ (1).

و جاء ملك إلى مريم عليها السلام ليهب لها غلاما فجرى بينهما حوار قال تعالى :

﴿و اذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت إنّي أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا قال إنّما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا قالت أنّى يكون لي غلام و لم يمسسني بشر و لم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو عليّ هيّن و لنجعله آية للنّاس و رحمة منّا و كان أمرا مقضيا﴾(2).

- و أمّا الجن فهي مخلوقات من نار و دخان، و منهم المؤمنون و منهم الكافرون و الشياطين، فهم كالإنسان في الإيمان و الكفر لكنّ صورتهم صورة مبهمة لا ندري كيف يتعاملون أو يتصلون بالبشر.

قال تعالى :

﴿شياطين الجن و الإنس يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾ (3)

---

(1) - هود 77

(2) - مريم 16 - 21

(3) - الأنعام 112

﴿و أنا منّا المسلمون و منّا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا و أمّا القاسطون فكانوا لجهنّم حطبا و أن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه و من يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا﴾. (1)

و قد سخر اللّه سبحانه و تعالى الجن و الشياطين لسليمان عليه السلام فكان منهم البنّاء و الغوّاص و كانوا يعملون له ما يشاء من محاريب و تماثيل و قدور راسيات قال سبحانه و تعالى :

﴿فسخر له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب و الشياطين كل بناء و غواص و آخرين مقرنين في الأصفاد﴾ (2).

﴿و لسليمان الريح غدوها شهر و رواحها شهر و أسلنا له عين القطر و من الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه و من يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب و تماثيل و جفان كالجوارب و قدور راسيات اعملوا آل داود شكرا و قليل من عبادي الشكور فلمّا قضينا عليه الموت ما دلّهم على موته إلاّ دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرّ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾(3).

و صوّر القرآن الكريم شخصية أخرى في قصصه و هي شخصية إبليس لعنة اللّه عليه و بيّن لنا كيف استطاع أن يغوي آدم عليه السلام و يخرجه من الجنة بعد أن استكبر و تكبّر لم يرد أن يطيع أمر اللّه و يسجد لآدم، قال تعالى :

﴿و لقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار و خلقته من طين.... ﴾(4).

---

(1) – الجن 14 – 17

(2) – ص 36 – 38

(3) – سبأ 12 – 14

(4) – الأعراف 11 – 12

جـ) **طيور و حشرات و حيوان**

كل شيء في هذا الكون خلقه اللّه سبحانه و تعالى بقدر معلوم، فجعل لكل أصناف المخلوقات لغة يتصلون بها فيما بينهم، و لا يمكن للبشر أن يفقهوا هذه اللّغة إلاّ ما شاء اللّه قال اللّه تعالى :

﴿و ما من دابة في الأرض و لا طائر يطير بجناحيه إلاّ أمم أمثالكم...﴾ (1).

إنّ لها منطقا تتفاهم به و تتعامل بمقتضاه فليس أمرها فوضى بلا نظام كما يعتقد البعض.

- إنّ الحشرات و الطيور تتجاوب مع الكون و توحدّ اللّه سبحانه و تعالى و تسبحه قال تعالى : ﴿يسبح لله ما في السموات و ما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم﴾ (2) و هناك آيات كثير في كتاب اللّه تدل على أنّ كل شيء يسبح لله و يسجد له من شمس و قمر و نجوم و جبال و شجر.

- فلا غرابة أن نجد شخصية النمل و الهدهد بارزة في قصة سليمان عليه السلام الذي آتاه اللّه فقه لغة الحشرات و الطيور و الإتصال بالجن و الشياطين ﴿قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان و جنوده و هم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها﴾ (3) و قال سليمان عن نفسه ﴿عُلِمْنَا منطق الطير...﴾ (4)

- لقد سخّر سليمان كل ما يملك في سبيل خدمة الدعوة الإسلامية فهذا الهدهد يحط بما لم يحط به سليمان و يأتيه بنبأ يقين، إنّ الظاهر أنّ سليمان كلّفه بمهة صعبة لذلك تخلف الهدهد و لم يرجع إلاّ بعد أن اكتشف الملكة و قومها قال تعالى :

﴿و تفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين، لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنّه أو ليأتيّني بسلطان مبين، فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به و جئتك من سبأ بنبأ يقين، إنّي وجدت إمرأة تملكهم و أوتيت من كل شيء و لها عرش عظيم، وجدتها و قومها يسجدون للشمس من دون اللّه و زيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل فهم لا يهتدون، ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات و الأرض و يعلم ما تخفون و ما تعلنون، اللّه

---

(1) - الأنعام 38

(2) - الجمعة 01

(3) - النمل 18

(4) - النمل 16

لا إله إلا هو ربّ العرش العظيم﴾ (1).

فالهدهد بيّن لسليمان أنّه وجد إمرأة تملك قوما قد زين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل، فهم لا يعرفون سبيل الحق و هو إخلاص السجود لله دون ما خلق من كواكب، فالهدهد يعرف أنّ السجود للشمس من دون اللّه سفه و ضلال.

((و لقد نهى الرسول ﷺ عن قتل الهدهد لمّا كان داعيا إلى الخير و عبادة اللّه وحده و السجود له)) (2).

((عن ابن عباس رضي اللّه عنهما عن النبيﷺ أنّه نهىعن قتل أربع من الدواب : النملة و النحلة و الهدهد و الصرد)) (3).

جـ) - و أمّا الشخصية الجماعية التي تتفق أفكارها و أحاسيسها فتتحرك على مسرح القصة بمشاعر و عواطف فرد واحد فإنّنا نجدها خاصة في بني إسرائيل، و سنرجع إليهم في الفصل الأخير إن شاء اللّه حين نتطرق إلى أصناف المدعوين و أهم صفاتهم و كيفية التعامل معهم.

2) - <u>الموضوع و الحدث</u> :

"الصلة بين الحوادث و الشخصيات في القصة أقوى من أن يدلل عليها أو يلفت الذهن إليها، ذلك لأنّهما العنصران الرئيسيان في كل قصة، نحن لا نستطيع أن نتصور شخصا من غير أحداث تلم به أو تقع عليه، نعم نحن لا ننكر أنّ القصة في القرآن لقصرها قد تجعل العنصر البارز في تكوينها عنصر الحوادث، و قد تبهم عنصر الأشخاص و تجعله عاما غامضا، لكن ذلك لا يدفع إلى التسليم بخلو القصة من هذا العنصر مهما يبرز العنصر الآخر و يقف وحده في الميدان" (4).

* و بين الأشخاص و الحوادث يظهر الموضوع الذي تتطرق إليه كل قصة في القرآن الكريم بارزا و جليا و هو موضوع الدّعوة إلى اللّه عموما بكل مجالاتها و جوانبها و أسسها و

---

(1) - النمل 20 - 26

(2) - تفسير ابن كثير: ج 5 ، ص : 231

(3) - حديث رواه الإمام أحمد في المسند (1 / 332)، و ابن ماجة في سننه، كتاب الصيد، باب ما ينهى عن قتله، (1074/2) كلاهما عن ابن عبّاس عن النبي ﷺ أنّه نهى...."

(4) - الفن القصصي في القرآن الكريم : محمد أحمد خلف اللّه، ص : 290.

أهدافها، موضوع رسالات اللّه من توحيد اللّه، و تصحيح المفاهيم و العقائد الفاسدة و الخاطئة حول الألوهية و الربوبية و النبوة، و التأكيد على تقرير الإيمان باليوم الآخر و البعث و النشور و الحساب و الجزاء، ثم إصلاح المجتمع و تقويم سلوك و أخلاق النّاس من أجل الوصول إلى الهدى و الإبتعاد عن الضلال.

3) - <u>الحوار</u> :

الحوار عنصر مهم من عناصر القصص القرآني يرتبط بالموضوع و الحدث و يجري بين الأشخاص، و هو في نفس الوقت أسلوب من أهم أساليب الدّعوة إلى اللّه، فهو الجدل بالتي هي أحسن كما سنرى في الفصل الرابع إن شاء اللّه تعالى.

((فبالحوار تتبادل الشخصيات مواقفها، و تزايل أماكنها، و تبدل أحوالها و أشكالها، و الحوار هو وحده من بين أساليب القول، الذي يعتمد عليه الفن القصصي في خلق الحركة و تلوينها و تنويعها، و الحركة مع تلوينها و تنويعها هي الروح الذي يسري في كيان العمل القصصي، و يبعث فيه الحياة، و يجعل بينه و بين النّاس تجاذبا و تجاوبا... و إنّه تعير الحركة المتنوعة و المتلونة يفقد العمل القصصي حيويته، ثم حياته و يتحول إلى كتلة جامدة باردة من الكلمات، و الحركة هنا أعم من أن تكون حركة مادية ينتقل بها أشخاص القصة من مكان إلى مكان، أو أن تختفي شخصية لتحل مكانها أخرى.. و إنّما الحركة هنا تشمل تحركات الخواطر و الأفكار، و العواطف، و غيرها، مما يتصل بالحياة الإنسانية في ماديّاتها و معنوياتها جميعا)) (1).

إنّها حركة الإنسان الدّاعية إلى اللّه بعواطفه و مشاعره، و عقله و حكمته، حركة الدّعوة الإسلامية في كل إتجاه و في جميع ميادين و جوانب الحياة البشرية، إنها حركة يقتضيها الحال، و يَسيرُ بها الدّاعية بالمقال حسب كل مقام.

- و عنصر الحوار شائع في القصص القرآني يأتي بكلمة (قال) و مشتقاتها، و قد يكون الحوار بين إثنين كالحوار بين آدم و إبليس عليع لعنة اللّه، و بين إبراهيم و أبيه و بين موسى و فرعون و قد يكون بين إثنين و واحد كما حدث بين موسى و هارون من طرف و فرعون من طرف آخر، و قد يكون بين جماعة و فرد كما حدث غالبا في القرآن الكريم بين الأنبياء و

---

(1) - القصص القرآني في منطوقه و مفهومه : عبد الكريم الخطيب، ص : 119

أقوامهم (ال) و (قالوا).

و الحوار القصصي في القرآن الكريم قد يدور بين إنسان داعية و حيوان داعية إلى الخير كذلك، و الحوار بين بشر و حيوان في القصص الأدبي موجود ((لكنّ الحوار في القصص القرآني له سمة خاصة، لا نجد لها أثرا في القصص الأدبي على الإطلاق و هي تلك الذاتية التي يحتفظ بها هذا الحوار لشخصيات المتحاورين... ذلك أنّنا في القصص القرآني لا نجد فرصة انتقلت فيها من هذا الشعور الذي يستولي علينا من أنّنا إزاء شخصيات واقعية، لها وجودها الذاتي و لها منطقها و تفكيرها و لها إرادتها في الموقف الذي تقفه في الحدث، و في الأسلوب الذي تعبر به عن موقفها، دون أن تستشعر بأنّ ملقنًا من ورائها يلّقنها الكلمات التي تلقيها في المشهد، أو يحركها الحركة التي تؤديها فيه، على حين أنّنا نجد ذلك الشعور غامرا فياضا في أكثر مواقف القصص الأدبي، حيث نرى الأشخاص يتحدثون و يتحركون بما يضعه المؤلف على ألسنتهم من كلام، و ما يشير إليهم به من حركة... و لعلّ أوضح مثال لهذا...الحديث الذي حكاه القرآن على لسان الهدهد في موقفه مع سليمان، حيث لا يشعر القارىء أو السامع أنّه في مواجهة حيوان أعجم... و نشعر شعورا صادقا بأنّ هذا الحيوان قد نطق فعلا بهذه الكلمات، و أن ما نطق به إنّما كان تعبيرا صادقا و تصويرا صحيحا لمشاعره و مدركاته، و أنّ كل كلمة قالها إنّما هي منه عن علم و فهم و وعي)) (1).

قال تعالى : ﴿قل أحطت بما لم تحط به و جئتك من سبأ بنبأ يقين، إنّي وجدت إمرأة تملكهم و أوتيت من كل شيء، و لها عرش عظيم، وجدتها و قومها يسجدون للشمس من دون اللّه و زين لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل فهم لا يهتدون﴾ (2).

- ((و القصص القرآني لا يسجل كل مراحل الحوار تسجيلا كاملا كما تسجله أدوات التسجيل، ذلك ما لا تقبله بلاغة القرآن و لا يحتمله إيجازه و إعجازه، و إنّما يمسك القرآن من الموقف الحواري بالعناصر الحية منه، و بالمشاهد البارزة فيه، مما من شأنه أن يجلي الموقف و يحدد معالمه، و يكشف حقيقته، ثم يكون للناظر بعد ذلك أن يملأ الفراغات و يلونها، بما يسعفه به إدراكه، و يمله به خياله.

---

(1) - المرجع السابق ص 129 - 130

(2) - النمل 22 - 24

و في القرآن الكريم أمثلة كثيرة للحوار المركز و المضغوط الذي يحمل في كلمات قليلة عناصر قصة كاملة، يمكن أن يذهب بها الخيال مذاهب شتى، و لكن - مع ذلك - فإنّه مهما جنح الخيال و مهما بعد بصاحبه عن الحقيقة سيجد نفسه دائما مشدودا إلى نقطة الإنطلاق التي بدأ منها، و أنّه يطوف ما يطوف ثم يجيء آخر الأمر ليصف جناحي خياله أمام كلمات القرآن، حيث لا يجد السكن و الطمأنينة و الروح إلاّ في ظلالها)) (1).

و إنّنا نجد في قصة مريم عليها السلام هذا التركيز و الضغط في الكلمات و الوصول الفوري إلى النتيجة قال تعالى :

﴿و اذكر في الكتاب مريم إذ إنتبذت من أهلها مكانا شرقيا، فاتخذت من دونهم حجابا، فأرسلنا إليها روحنا، فتمثل لها بشرا سويا..

قالت : إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا

قال : إنّما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا..

قالت : أنى يكون لي غلام، و لم يمسسني بشر، و لم أك بغيا..؟

قال : كذلك قال ربك هو علي هين و لنجعله آية للناس، و رحمة منّا، و كان أمرا مقضيا، فحملته، فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة

قالت : يا ليتني مت قبل هذا و كنت نسيا منسيا﴾ (2).

فالداعية يتحاور مع كل النّاس و الأطراف بكل وعي و فهم و عن علم و هو يختار الكلمات المناسبة و الموجزة في كل حال و بما يناسب كل مقام.

و ينبغي على الداعية أن يحاور نفسه قبل الخروج إلى الناس، أن يركز الأفكار في ذهنه و أن يقتنع بها هو قبل غيره، فيجعل من نفسه طرفا في الحوار كما فعل ذلك إبراهيم عليه السلام قال تعالى : ﴿و كذلك نري إبراهيم ملكوت السموات و الأرض و ليكون من الموقنين، فلمّا جنّ عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلمّا أفل قال لا أحب الآفلين، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون، إني وجهت وجهي

---

(1) - المرجع السابق، ص : 140

(2) - مريم 16 - 23

للذي فطر السموات و الأرض حنيفا و ما أنا من المشركين﴾. (1).

4) – **<u>للزمان</u>** :

القرآن الكريم ليس كتاب تاريخ بالمفهوم الذي يعرف به هذا العلم، لذلك لا نجد في قصصه تحديدا دقيقا و واضحا للزمن الذي تجري فيه القصة، رغم أنّ عنصر الزمن مهم جدا في البناء القصصي، و هذا دليل على أنّ عنصر الزمن عنصر غير أساسيفي القصص القرآني إلاّ بالقدر الذي يتطلبه الهدف القرآني و الحاجة الدعوية، فالقصص القرآني يأتي في السورة الواحدة دون ترتيب زمني لمجيء و ظهور الأنبياء و الرسل عليهم السلام.

ففي سورة الشعراء مثلا وردت قصص كل من موسى و إبراهيم و نوح و هود و صالح و لوط و شعيب بهذا الترتيب و هو غير الترتيب الزمني لظهور هؤلاء الأنبياء و الرسل عليهم الصلاة و السلام، و في سورة النمل يلاحظ نفس الشيء، فلقد جاءت قصص موسى و داوود و سليمان و صالح و لوط على هذا الترتيب و هو كذلك ليس الترتيب الزمني لظهورهم.

– و إذا قلنا أنّ الزمن غير أساسي في القصص القرآني إلاّ بالقدر الذي يتطلبه الهدف القرآني و الحاجة الدعوية، فإنّ هذا يتضح في بعض قصص القرآن بتحديد جزء من اليوم كالليل و النّهار و الصباح و المساء و الشهر و السنة، فلقد قال نوح عليه السلام ﴿قال رب إنّي دعوت قومي ليلا و نهارا فلم يزدهم دعائي إلاّ فرارا...﴾ (2).

فالهدف من ذكر اللّيل و النّهار هو بيان إجتهاد نوح عليه السلام في دعوة قومه و النصح لهم و عدم التوقف و الإستمرار في العمل و الحركة و محاولة الإصلاح و إستغلال كل الأوقات للتأثير على المدعوين، ففي الليل سكن للنفوس، و للظلام تأثير على الأرواح و العواطف ﴿دعوت قومي ليلا و نهارا﴾ أي سرا و جهرا و قيل أي واصلت الدعاء. (3)

– و نجد في قصة يوسف عليه السلام تحديد جزء من السجن قال تعالى : ﴿فلبث في السجن بضع سنين﴾ (4).

---

(1) – الأنعام 75 إلى 79.

(2) – نوح 06

(3) – الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، ج 18 ، ص : 300

(4) – يوسف 32

((بضع سنين)) لها دلالتها العظيمة في الكشف عن قوة إيمان يوسف عليه السلام و صبره الكبير رغم أنّه كان مظلوما، فلم تتزعزع ثقته في ربّه و رضاه بحكمه و قضائه و قدره، فلقد راح يواصل الدّعوة إلى اللّه داخل السجن فيقول : ﴿يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم اللّه الواحد القهّار، ما تعبدون من دونه إلاّ أسماء سميتموها أنتم و آباءكم ما أنزل اللّه بها من سلطان إن الحكم إلاّ لله أمر ألا تعبدوا إلاّ إياه ذلك الدّين القيم و لكن أكثر النّاس لا يعلمون﴾. (1)

((و الضمير الأخير في لبث عائد على يوسف، و قد شاء ربه أن يعلّمه كيف يقطع الأسباب كلها و يستمسك بسببه وحده فلم يجعل قضاء حاجته على يد عبد و بسبب يرتبط بعبد و كان هذا من اصطفائه و إكرامه، إنّ عباد اللّه المخلصين ينبغي أن يخلصوا له سبحانه و تعالى، و أن يدعوا له وحده قيادهم، و يدعوا له سبحانه تقبل خطاهم، و حين يعجزون بضعفهم البشري في أول الأمر عن إختيار هذا السلوك، يتفضل اللّه سبحانه فيقهرهم عليه حتى يعرفوه و يتذوقوه و يلتزموه بعد ذلك طاعة و رضى و حبا و شوقا...فيتم عليهم فضله بهذاكله...(2)

5) - **المكان** :

المكان كالزمان في القصص القرآني فهو لا يحدد و لا يعيّن إلاّ لغرض دعوي أو حكمة يعلمها اللّه سبحانه و تعالى.

- فلقد حدّد مثلا اللّه سبحانه و تعالى في حادثة الإسراء المكان و الزمان الذي أسري به ﷺ فكان من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالقدس ذلك ليبيّن لنا سبحانه و تعالى قيمة هذين المسجدين في نفوس المسلمين و المكانة التي ينبغي أن تكون لهما عندهم قال تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنّه هو السّميع البصير﴾ (3).

و ذكر سبحانه و تعالى بعض الأمكنة بالتحديد كمصر، و مدين، فلقد خرج أو أخرج يوسف عليه السلام من الشام و إستقر في مصر بعيدا عن أهله فهناك غربة فصلت بين يوسف و أهله، و كذلك شعيب عليه السلام الذي توجه تلقاء مدين و ترك أهله و أقرباءه و قضى

---

(1) - يوسف 39 - 40

(2) - في ظلال القرآن : سيد قطب، ج 04 ، ص 1992

(3) - الإسراء : 01

سنوات طوال في مدين يخدمهم و يرعاهم، و هذا إظهار للتضحيات التي قدمها المرسلون في سبيل الدّعوة و الهجرة في سبيل اللّه و إلى اللّه قال تعالى على لسان لوط عليه السلام : ﴿إني مهاجر إلى ربي﴾ (1).

كما ذكر سبحانه و تعالى و حدّد جزء من مكان كبير و هو أقصى المدينة فقال : ﴿ و جاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين، اتبعوا من لا يسألكم أجرا و هم مهتدون﴾ (2).

هذا النص القرآني جاء في قصة أصحاب القرية ﴿ و اضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون﴾ (3).

فبعد أن كذّب أصحاب القرية المرسلين جاء هذا الرجل الدّاعية من أقصى المدينة، و لعلّ المدينة كانت ضخمة و كبيرة لذلك ذكر أنّه جاء من أقصى المدينة أي من مكان بعيد، و لعلّه تنقل من طرف المدينة إلى الطرف الآخر بمشقة كبرى من أجل أن ينصح قومه و يدعوهم إلى الحق و اتباع المرسلين.

- لكنّ الملاحظ في القرآن الكريم أنّه جاء تقديم من أقصى المدينة في سورة يس و العكس في سورة القصص حيث أخرت كلمة "أقصى" على الرجل الداعية فقال سبحانه و تعالى : ﴿و جاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إنّ الملأ يأتمرون عليك ليقتلوك﴾ (4).

معنى هذا أنّ تَحَمُّلُ المشقةِ في آية سورة يس قُدِّمَ، بينما تأخر في سورة القصص، لماذا ذلك ؟

((إنّه بمقدار أهمية المدعو إليه تُحتَمَلُ المشقة، و ينبغي احتمال المشقة و التعب أكثر في سبيل الدّعوة إلى اللّه، فالرجل في سورة يس يريد من قومه الكفار أن يؤمنوا و يتبعوا المرسلين، فهو يريد أن يهدي قوما إلى الإيمان، و لأهمية هذا الأمر على أمر إخبار موسى

---

(1) - العنكبوت : 26

(2) - يس : 20 - 21

(3) - يس 13

(4) - القصص : 20

بكيد القوم له، قدّم اللّه تحمل المشقة)) (1).

و هذا يدل كذلك أنّ الدعوة إلى اللّه أمر عظيم و ذا أهمية كبرى ينبغي على الداعية أن يقدمه على كل أمر في حياته اليومية، و يسعى جاهدا بكل ما يملك من قوة في سبيل تبليغ الدعوة و الحق و لو كلّفه ذلك تعبا و مشقة و سفرا و تحركا و قولا و خطابا.

و يقول سيد قطب في هذا الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى ((هذا رجل سمع الدّعوة فاستجاب لها بعدما رأى فيها من دلائل الحق و المنطق ما يتحدث عنه في مقالته لقومه. و حينما استشعر قلبه حقيقة الإيمان تحركت هذه الحقيقة في ضميره فلم يطق عليها سكوتا، و لم يقبع في داره بعقيدته و هو يرى الضلال من حوله و الجحود و الفجور، و لكنّه سعى بالحق اللذي استقر في ضميره و تحرك في شعوره سعى به إلى قومه و هم يكذبون و يجحدون و يتوعدون و يهددون. و جاء من أقصى المدينة ليقوم بواجبه في دعوة قومه إلى الحق، و في كفهم عن البغي، و في مقاومة اعتدائهم الأثيم الذي يوشكون أن يصبوه على المرسلين. و ظاهر أنّ الرجل لم يكن ذا جاه أو سلطان، و لم يكن في عُزوَةٍ من قومه أو منعة من عشيرته، و لكنها العقيدة الحية في ضميره تدفعه و تجيء به من أقصى المدينة إلى أقصاها)) (2).

<u>العلاقة العامة بين عناصر القصص و الدّعوة إلى اللّه</u> :

لكل عنصر من عناصر القصص القرآني علاقة جزئية بالدّعوة إلى اللّه و قد تبيّن لنا ذلك من خلال التطرق لكل عنصر من العناصر على حدى، و الذي أريد أن أتطرق إليه في هذا المطلب بكل إختصار لأنني قد أرجع إلى العلاقة بين القصص و الدّعوة في المبحث الرابع و الأخير من هذا الفصل هو العلاقة العامة التي تربط خاصة عنصر الحدث و الحوار بالدّعوة إلى اللّه. و تتمثل هذه العلاقة في طريقة القرآن في عرض قصصه فهو يأخذ طريقين أو أسلوبين، طريق عرض الأحداث و طريق الحوار، و قد بيّن هذا محمد حسين فضل اللّه (3) في أحد كتبه.

---

(1) – منهج الدّعوة في القرآن الكريم : ابراهيم خليفة، مسجد الأرقم، الحي الجامعي، بن باديس، الشريط01 الوجه 01

(2) – في ظلال القرآن : سيد قطب، ج 05 ، ص 2963

(3) – الحوار في القرآن الكريم : محمد حسين فضل اللّه، دار المنصوري للنشر، الجزائر، ج 02، ص : 17 – 18 – 19

فطريقة عرض الأحداث تأتي بشكل تقريري تنتقل فيه الحكاية أو القصة من مرحلة إلى مرحلة حتى تبلغ نهايتها و الإنتقال من مرحلة إلى أخرى يأتي أو يتطور بتطور الدعوة إلى اللّه، و حركة القصص القرآني تلاحق كل قضية من قضايا الدّعوة إلى اللّه، و هي ترشد الداعية إلى الأساليب التي يجب أت يتبعها و في نفس الوقت تثبته و تكشف له عن بعض السنن الكونية التي وضعها اللّه سبحانه و تعالى في الكون.

فالرسول ﷺ كان مهددا بالقتل من طرف كفار قريش و في تلك المرحلة نزلت عليه آيات و قصص تبيّن كيف أنّ الأنبياء من قبله قد هدّدوا بالقتل من قبله مثل صالح عليه السلام حين تآمر عليه تسعة رهط يفسدون في الأرض و لا يصلحون، و موسى عليه السلام الذي تآمر عليه القوم ﴿و جاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إنّ الملأ يأتمرون عليك ليقتلوك، فأخرج إني لك من الناصحين، فخرج منها خائفا يترقب قال ربي نجني من القوم الظالمين﴾ (1)، و الآية تبين كذلك للرسول ﷺ أنّه بإمكانه الخروج و الهجرة و هو الطريق الأمثل للنجاة من كيد الكافرين و هو ما نصح به الرجل موسى عليه السلام.

و أمّا طريقة الحوار فإنّ قيمتها الدعوية تتمثل في محاولة تبسيط الفكرة في كل مجالاتها و أبعادها، فلا يترك أي جانب خفي فيها، لأنّ كل طرف من أطراف الحوار يحاول أن يثير الجوانب التي يؤمن بها و يدافع عنها.

كما تتميز طريقة الحوار بتجسيدها للمواقف أمام الداعية و أمام القارىء و المتتبع للأحداث، فيشعر بالحياة متحركة أمامه تنتقل من موقف إلى موقف و من جو إلى جو و تعيش فيها الأحداث الماضية من خلال أبطالها الذين تشعر بهم و أنت مندمج في القصة، كما لو كان البطل يتحدث إليك حيث تندمج معه بالإيحاء مع الكلمة و الإحساس الخفي مع الحركة.

---

(1) – القصص : 21

المبحث الثاني : أقسام القصص القرآني

لقد اختلف الباحثون و الدّارسون للقرآن الكريم في أقسام قصصه و أنواعه، و قد يرجع ذلك إلى سعة هذا المحور في القرآن الكريم، كما يرجع إلى ميول و إتجاه و إختصاص كل باحث، فكل واحد ينظر إلى القصص من زاوية معينة تختلف على نظرة الآخر، فنجد الأستاذ الدكتور محمد أحمد خلف اللّه (1) و الذي ينظر إلى القصص القرآني من زاوية أدبية فنية قد قسّمه إلى :

أ) – القصة التاريخية

ب) – القصة التمثيلية

جـ) – القصة الأسطورية

د) – قصة الخطيئة

– فحين نجد محمد شديد (2) يقول ((في القرآن الكريم عدة ألوان من القصص ففيه من ناحية البناء الموضوعي القصة التاريخية و القصة الواقعية و القصة الغيبية، و فيه من ناحية طريقة العرض و أسلوب الأداء القصة القصيرة، و القصة الطويلة، و قصة المشاهد و الحوار، و قد جمعت هذه الألوان بين الخصائص الفنية و بين تحقيق الغرض الديني الذي سيقت القصة من أجله، بل إنّ الخصائص الفنية خاضعة خضوعا كاملا و مطوعة تماما لتحقيق هدف القصة في الدعوة و التربية)) (2)

– فمحمد شديد يشترك مع محمد أحمد خلف اللّه في قسم واحد من أقسام القصص القرآني و هو "القصة التاريخية"، و الحقيقة أنّ القرآن الكريم حين يعرض قصصه سواء أكان قصص أنبياء أو غيرهم يأخذ المادة الأولية من الأحداث و الوقائع من تاريخ الأمم و الشعوب و الأنبياء و الصالحين، فجل القصص القرآني يمكن أن يكون قصصا تاريخيا إذا نظرنا إليه بهذا الإعتبار، لكنّ القرآن الكريم يعرض هذا القصص يسوقه سياقا خاصا غالبا ما يكون عاطفيا يؤثر في النفوس و الوجدان، و في نفس الوقت يخاطب العقول و الألباب، و غرضه من وراء ذلك غرض دعوي تربوي ديني.

---

(1) – الفن القصصي في القرآن الكريم : محمد أحمد خلف اللّه، ص 121 – 184

(2) – منهج القصة في القرآن : محمد شديد، دار عكاظ للنشر و التوزيع، جدّة، ط1، 1984 م ، ص : 35.

إنّ تقسيم الدكتور محمد أحمد خلف اللّه القصص القرآني إلى قصص أسطوري و خيالي، جعل كثيرا من الباحثين و المهتمين بالقصص، بل العلماء يتهمونه بالكفر هو و مشرفه الذي أيده في ذلك و هو الأستاذ أمين الخولي، رغم أنّ الدكتور قد استدل في ذلك بما ذهب إليه بعض المفسرين الأقدمون، لكنّ الراجح فيما يبدو لو تعمق أكثر في البحث أنّ كلامه مخالف لصريح النقل، و صريح النقل لا يتعارض أبدا مع صريح العقل.

- لقد زعم محمد أحمد خلف اللّه في رسالته "الفن القصصي في القرآن الكريم" ((أنّ القرآن لا يخلو من الأساطير، و أنّ الأنبياء أبطال روايات غرامية، و أنّ الصحابة لم يكونوا على قدر من العلم فيرميهم بالجهل، يزعم أنّ القصص القرآني لا ينبغي أن نفهمه على أنّه حقائق ثابتة قصد القرآن إلى تقريرها، و إنّما هي أنماط من الخيال... و أنّ القرآن الكريم لم ينف على نفسه أن تكون فيه أساطير و إنّما الذي أنكره على العرب أنّهم لم يؤمنوا أنّه من عند اللّه)) (1).

- ((و حينما استفتي علماء الأزهر في شأن هذه و المشرف عليها أجمعوا على تكفيرهما و قد بنوا الحكم على مايلي :

(1) - أنّ الحرية الفنية تقتضي عدم القيد بالصدق العقلي و لا بتصوير الحقائق تصويرا صادقا، بل قد قد يتقول القرآن ما لم يحصل و لن يحصل.

(2) - أنّ تاريخ الأنبياء الوارد في القرآن لا ينبغي أن يؤخذ على أنّه حقائق.

(3) - أنّ القصص القرآني قد يكون لتصوير واقع نفسي لا لحوادث حصلت، و إنّه حرب أعصاب لا أقل و أكثر.

(4) - أنّ القرآن يشمل على الأساطير و ما فيها من حوادث ملصقة أو مكذوبة.

(5) - أنّ مصادر القصص القرآني هي كتب الأديان الأخرى، و الحكايات الشعبية، و الأفراد العاديون من النّاس، و الخلط، و المزج بين عناصر القصص الشائعة في عدة أمم)) (2)

---

(1) - القصص القرآني إيحاؤه و نفحاته : فضل حسن عبّاس، شركة الشهاب، الجزائر، 1989، ص : 427 - 428.

(2) - المرجع نفسه، ص : 429.

و قد قسّم الإمام الأكبر محمد شلتوت مناهج النّاس في فهم القصص القرآني إلى ثلاثة مناهج، منهج المؤولين للقصص، و منهج القائلين بالتخييل، و منهج المسرفين في قبول الروايات، فقال في أصحاب منهج التخييل أمثال الدكتور محمد أحمد خلف اللّه ((و منهم أهل الوهم و التخييل الذين يقولون : إنّ الأنبياء أخبروا عن اللّه و اليوم الآخر، و عن الجنة و النار و الملائكة بأمور غير مطابقة للأمر في نفسه، لكنّهم خاطبوهم بما يتخيلون و يتوهمون من أنّ الأبدان تعاد، و أنّ لهم نعيما محسوسا، و عقابا محسوسا، و إن كان الأمر ليس كذلك في نفس الأمر، لأنّ من مصلحة الجمهور أن يخاطبوا بما يتوهمون و يتخيلون من أنّ الأمر هكذا، و إن كان هذا كذبا فهو كذبٌ لمصلحة الجمهور، إذا كانت دعوتهم و مصلحتهم لا تمكن إلاّ بهذه الطريقة... و لا شك أنّ القرآن إذا أستُقْبِلَتْ دراسته على هذا النحو من الخلط و الخبط و الإدعاء، فقد اقتحمت قدسيته، و زالت عن النفوس روعة الحق فيه، و تزلزلت قضاياه في كل ما تناوله من عقائد و تشريع و أخبار)) (1).

و يختار الإمام الأكبر محمد شلتوت منهجا رابعا في فهم القصص القرآني فيقول ((هذه المناهج الثلاثة مترددة بين إفراط و تفريط في شأن القصص القرآني، و ما ينبغي أن يستقبل به حتى يحقق الغاية المقصودة من قصه على النّاس بالعبرة و الموعظة، و حتّى يحدث التسلية للدعاة و المصلحين، و حتّى يتبيّن للنّاس أنّه القصص الحق المطابق للواقع الذي لا مرية فيه و لا تزيد و لا تخييل.

و على أساس أنّ الحق وسط بين باطلين تقرر المنهج الرابع الذي يجب استقبال القصص القرآني على أساسه، و هو المنهج السليم و الصراط المستقيم إن شاء اللّه تعالى، و خلاصته : الوقوف عند ما ورد في القرآن الكريم، مع الإحتفاظ بدلالة الألفاظ اللّغوية على معانيها و إفادتها لواقع هي تعبير صحيح عنه، دون تزيد عليه بما لم يرد فيه إعتمادا على روايات لا سند لها كما صنع المفرِطون، و دون تحيف لمعانيها، باعتبار أنّ الكلام تخييل لا يعبر عن واقع كما فعل المفرّطون، و دون صرف للألفاظ عن معانيها الوضعية إلى معان أخرى، من غير صارف يمنع إجراء الكلام على ظاهره، كما فعل أهل التأويل، الذين حرّفوا كثيرا من القرآن

---

(1) – تفسير القرآن الكريم : محمد شلتوت، دار الشروق، بيروت، ط9، 1982، ط10، 1983، ط11 ، 1988، ص : 46 – 47.

عن مواضعه، و تتكبوا قانون العربية التي نزل بها)). (1)

و يمكن أن أقول أنّ أقسام القصص القرآني خمسة من حيث البناء الموضوعي و العرض و أسلوب الأداء :

(أ) – القصة التاريخية

(ب) – قصة السيرة النبوية

(جـ) – القصة الغيبية

(د) – القصة المركزة

(هـ) – القصة المفصلة

(أ) – **القصة التاريخية** :

قلنا فيما سبق أنّ القرآن الكريم حين يعرض قصصه سواء أكان قصص أنبياء أو غيرهم يأخذ المادة الأولية من الأحداث و الوقائع من تاريخ الأمم و الشعوب و الأنبياء، فهو بهذا قصص تاريخي، لكنّ سياقه و بعده و هدفه غالبا ما يكون دعويا تربويا دينيا.

و الملاحظ أنّ أغلب القصص القرآني يُغفِلُ مقومات التاريخ من زمان و مكان، و في بعض الأحيان يسقطها تماما، و سواء جاءت القصة بمقومات التاريخ أو جاءت غفلا عنها، فهي قصة تاريخية لأنّها مستمدة من صميم الواقع التاريخي، و هي ليست ضربا من الخيال و الأساطير.

يقول الأستاذ محمد رشيد رضا (2) ((إنّ كثيرا من أعداء القرآن يأخذون عليه عدم الترتيب في القصص... و الجواب عن هذه الشبهة يفهم مما قلناه مرارا في قصص الأنبياء و الأمم الواردة في القرآن، و هو أنّه لم يقصد بها التاريخ و سرد الوقائع مرتبة بحسب أزمنة وقوعها و إنما المراد بها الإعتبار و العظة... و متى كان هذا هو الغرض من السياق فالواجب أن يكون ترتيب الوقائع في الذكر على الوجه الذي يكون أبلغ في التذكير و أدعى إلى التأثير)).

---

(1) – المرجع السابق، ص : 50

(2) – تفسير المنار : محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، ص : 327

– فنجد القرآن الكريم قد أنزل سورة كاملة يذكر فيها مشركي قريش بحادثة و قصة تاريخية قد حدثت قبل البعثة بأربعين سنة و قريش ما تزال تتذكر هذه الحادثة و فضل اللّه العظيم عليهم، قال تعالى ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم في تضليل، و أرسل عليهم طيرا أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول﴾ (1).

"هذه من النعم التي امتنّ اللّه بها على قريش فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة، و محوا أثرها من الوجود فأبادهم اللّه و أرغم آنافهم و خيب سعيهم و أضل عملهم، و ردهم بشر خيبة، و كانوا قوما نصارى و كان دينهم إذ ذاك أقرب حالا مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان، و لكن كان هذا من باب الإرهاص و التوطئة لمبعث رسول الله ﷺ فإنّه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال و لسان حال القدر يقول : لم ننصركم يا معشر قريش على الحبشة لخيرتكم عليهم، و لكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه و نعظمه و نوقره ببعثة النبي الأمي محمد صلوات الله و سلامه عليه خاتم الأنبياء)) (2).

– لكن يتساءل الدّاعية إلى اللّه لماذا نزلت هذه السورة على محمد ﷺ و هي تذكره و تذكر قريشا بحادثة تاريخية مضى عنها أربعون سنة، فلبّد أن تكون لها دلالات و عبر يستفيد منها الذين أسلموا و اتبعوا محمد ﷺ، و يستفيد منها كذلك الذين أعرضوا عنه و أرادوا محاربته.

يقول سيد قطب رحمه اللّه في هذه القصة مبينا دلالاتها و ايحاءاتها : ((و أول ما توحي به أنّ اللّه – سبحانه – لم يرد أن يَكِلَ حماية بيته إلى المشركين، و لو أنّهم كانوا يعتزون بهذا البيت، و يحمونه و يحتمون به. فلمّا أراد أن يصونه و يحرسه و يعلن حمايته له و غيرته عليه ترك المشركين يهزمون أمام القوة المعتدية. و تدخلت القدرة سافرة لتدفع عن بيت اللّه الحرام، حتّى لا تكون للمشركين يدٌ على بيته و لا سابقة في حمايته، بحَمِيَتِهِمْ الجاهلية. و لعل هذه الملابسة ترجح ترجيحا قويّا أنّ الأمر جرى في إهلاك المعتدين مجرى السنة الخارقة – لا السنة المألوفة المعهودة – فهذا أنسب و أقرب... و لقد كان من مقتضى هذا التدخل السافر من القدرة الإلهية لحماية البيت الحرام أن تبادر قريش و يبادر العرب إلى الدخول في دين اللّه، و ألا

---

(1) – سورة الفيل

(2) – تفسير بن كثير، ج 7، ص : 369.

يكون اعتزازهم بالبيت و سدانته و ما صاغوا حوله من وثنية هو المانع لهم من الإسلام ! و هذا التذكير بالحادث على هذا النحو هو طرف من الحملة عليهم و التعجب من موقفهم العنيد !.

- كذلك توحي دلالة هذا الحادث بأنّ اللّه لم يقدر لأهل الكتاب - أبرهة و جنوده - أن يحطموا البيت الحرام أو يسيطروا على الأرض المقدسة، حتى و الشرك يدنسه، و المشركون هو سدنته، ليبقى هذا البيت عتيقا من سلطان المتسلطين، مصونا من كيد الكائدين، و ليحفظ لهذه الأرض حريتها حتى تنبت فيها العقيدة الجديدة حرة طليقة، لا يهيمن عليها سلطان، و لا يطغى فيها طاغية، و لا يهيمن على هذا الدين الذي جاء ليهمن على الأديان و على العباد، و يقود البشرية و لا يقاد، و كان هذا من تدبير اللّه لبيته و لدينه قبل أن يعلم أحد أنّ نبي هذا الدين قد ولد في هذا العام.

و نحن نستبشر بإيحاء هذه الدلالة اليوم و نطمئن، إزاء ما نعلمُه من أطماع فاجرة ماكرة ترِفُ حول الأماكن المقدسة من الصليبية و الصهيونية العالمية، و لا تهدأ في التمهيد الخفي لهذه الأطماع الماكرة، فاللّه الذي حمى بيته من أهل الكتاب، سيحفظه إن شاء اللّه، و يحفظ مدينة رسول اللّه من كيد الكائدين و مكر الماكرين !.

و الإيحاء الثالث هو أنّ العرب لم يكن لهم دور في الأرض، بل لم يكن لهم كيان قبل الإسلام، كانوا في اليمن تحت حكم الفرس أو الحبشة، و كأن دولتهم حين تقوم هناك أحيانا تقوم تحت حماية الفرس، و في الشمال كانت الشام تحت حكم الرّوم إمّا مباشرة و إما بقيام حكومة عربية تحت حماية الرومان، و لم ينج إلاّ قلب الجزيرة من تحكم الأجانب فيه، و لكنّه ظل في حالة بداوة أو في حالة تفكك لا تجعل منه قوة حقيقية في ميدان القوى العالمية، و كان يمكن أن تقوم الحروب بين القبائل أربعين سنة، و لكن لم تكن هذه القبائل متفرقة و لا مجتمعة ذات وزن عند الدول القوية المجاورة، و ما حدث في عام الفيل كان مقياسا لحقيقة هذه القوة حين تتعرض لغزو أجنبي، و تحت راية الأسلام و لأول مرة في تاريخ العرب أصبح لهم دور عالمي يؤدونه و أصبحت لهم قوة يحسب لها حساب... و لكن الذي هيأ للعرب هذا هو أنهم نسوا أنهم عرب و ذكروا أنهم مسلمون و مسلمون فقط و رفعوا راية الإسلام و راية الإسلام وحدها... و هذا ما يجب أن يذكره العرب جيدا إذا هم أرادوا الحياة و أرادوا القوة و أرادوا القيادة... و اللّه الهادي من الضلال...)) (1).

---

(1) - في ظلال القرآن : سيد قطب، ج6 ، ص : 3980 - 3981

ب) - قصة السيرة النبوية :

- هي القصة التي تروي بعض أحداث السيرة النبوية التّي جاء ذكرها في القرآن الكريم، و كانت تعالج واقع المسلمين خاصة في العهد المدني بالتوجيه و العظة و إبراز مواطن القوة و الضعف، و أسباب الهزيمة و النصر، و كانت القصة الواقعية تكشف عن خواطر النفوس و ما تخفي الصدور، و تبيّن الحقيقة و ترفع عنها الستار مثل ما حدث في حديث الإفك، و تفضح المنافقين و الكافرين و تتوعدهم بأشد العذاب يوم القيامة، و هي بهذا تزيد المؤمنين قوة إلى قوتهم، و تثبتهم على الإيمان و الدّعوة إلى اللّه.

- و قصة السيرة النبوية موجودة بكثرة في القرآن الكريم و أبرزها قصة معركة "بدر" في سورة الأنفال، و معركة أحد في سورة آل عمران، و الخندق في سورة الأحزاب، و حنين في التوبة، و نجد كذلك عدّة حوادث قد ذكرت مثل الإسراء و المعراج، أو حمّالة الحطب، فطعام الأثيم، و الفيل التي ذكرناها في القصة التاريخية.

- و لا شك أن لهذا النوع من القصص تأثير كبير في النفوس، يقوم أساسا على واقعية الأحداث و آنيتها، و هو في نفس الوقت نقلة من نظرية القصص في العهد المكي إلى واقعيته في العهد المدني، و هذا الكلام ينطبق على زمن الرسول ﷺ، زمن نزول الوحي.

- ففي العهد المكي جاء ذكر قصص نوح عليه السلام و كيف نصره اللّه بالطوفان و قصص إبراهيم و كيف نصره اللّه بأن جعل النار بردا و سلاما عليه، و قصص يوسف و موسى عليهما السلام، و نجاة يونس من الظلمات الثلاث، ثم ينتقل القرآن المدني إلى الواقعية الآنية ليذكر قصة معركة بدر مبينا للمؤمنين ما يؤخذ منها من عبر و عظات.

- و سأحاول عرض بعض النماذج من هذا القصص مستعينا في ذلك بكتب التفسير و السيرة النبوية.

قصة معركة بدر :

جاء ذكر هذه القصة مفصلا و مطولا في سورة الأنفال و في سيرة ابن هشام و ابن كثير، لذلك لا أريد أن أستعرض كل أحداثها و إنّما أشير إشارات إلى بعض مقاطع الأحداث فيها لعلّنا نأخذ منها عبرة في حياتنا اليومية و الدعوية، قال تعالى :

﴿و إذ يعدكم اللّه إحدى الطائفتين أنّها لكم و تودّون أنّ غير ذات الشوكة تكون لكم و يريد اللّه أن يحق الحق بكلماته و يقطع دابر الكافرين، ليحق الحق و يبطل الباطل و لو كره المجرمون﴾ (1).

فاللّه سبحانه و تعالى وعد المؤمنين من أول الأمر بإحدى الطائفتين و أشار إلى نصره، لكنّ بعض الناس ثقل لأنّه لم يكن يظن أن رسول ﷺ سيلقى حربا، ((لم يطل العهد بتلك العير العظيمة التي خرج لها عليه السلام و هي متوجهة إلى الشام فلم يدركها، و لم يزل مترقبا رجوعها، فلمّا سمع برجوعها ندب إليها أصحابه و قال : هذه عير قريش فاخرجوا إليها لعل اللّه أن ينفلكموها فأجاب قوم و ثَقُلَ آخرون لظنهم أنّ الرسول عليه السلام لم يُرِدْ حربا فإنه لم يحتفل بها بل قال : من كان ظهره حاضرا فليركب، و لم ينتظر من كان ظهره غائبا)) (2).

إن اللّه سبحانه و تعالى أمر المؤمنين بألا يولوا الأدبار إذا لقوا الذين كفروا زحفا فقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولّوهم الأدبار، و من يولّهم يومئذ دبُرَهُ إلا متحرّفا لقتال أو متحيزًا إلى فئة فقد باء بغضب من اللّه و مأواه جهنم و بئس المصير﴾.(3)

ثم بيّن لهم أسباب النصر وشروطه و هي الثبات، و ذكر اللّه، و الطاعة، و عدم التنازع، و الصبر، و إخلاص النية للّه فقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا و أذكروا اللّه كثيرا لعلّكم تفلحون، و أطيعوا اللّه و رسوله و لا تنازعوا فتفشلوا و تذهب ريحكم و اصبروا إنّ اللّه مع الصابرين، و لا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا و رياء النّاس و يصدّون عن سبيل اللّه و اللّه بما يعملون محيط﴾.(4)

- لقد إلتزم الرسول و المؤمنون بتطبيق هذه الآية فثبتوا و صبروا، و أطاعوا اللّه، و لم يتنازعوا، و ذكروا اللّه كثيرا و دعوه مخلصين له الدّين ((لمّا كان يوم بدر نظر رسول اللّه ﷺ إلى المشركين و هم ألف و أصحابه ثلاثمائة و سبعة عشر رجلا فاستقبل نبي اللّه ﷺ القبلة ثم مدّ يده فجعل يهتف بربه اللّهم أنجز لي ما وعدتني، و فيه أنزل اللّه عزّ و جل عند

---

(1) - الأنفال 7 - 8

(2) - نور اليقين في سيرة سيد المرسلين : محمد الخضري، دار الفكر، بيروت، لبنان، ص : 107

(3) - الأنفال 15 - 16

(4) - الأنفال 45 - 47

ذلك ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾ (1) فأمدّه اللّه بالملائكة، قال أبو زميل فحدثني ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه و صوت الفارس يقول أقدم حيزوم*، فنظر إلى المشرك أمامه فخرّ مستلقيا فنظر إليه فإذا هو قد حطم أنفه و شق وجهه كضربة السوط، فجاء الأنصاري فحدّث الرسول ﷺبذلك فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين و أسروا سبعين)) (2)

و صدق اللّه العظيم القائل ﴿و لقد نصركم اللّه ببدر و أنتم أذلة فاتقوا اللّه لعلّكم تشكرون، إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمِدّكُم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين، بلى إن تصبروا و تتقوا و يأتوكم من فورهم هذا يمدكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين، و ما جعله اللّه إلاّ بشرى لكم، و لتطمئن قلوبكم به و ما النصر إلاّ من عند اللّه العزيز الحكيم﴾.(3)

و لقد لخصّ الدكتور عماد الدين خليل (4) أسباب إنتصار القلّة المؤمنة على الكثرة الكافرة في معركة بدر في أربعة نقاط هي : العقيدة الراسخة، و القيادة الموحدة، و التعبئة الجديدة، و المعنويات العالية.

((و كان لمعركة بدر وقع كبير على نفوس المؤمنين و الكافرين و غيرهم، فقد توجه رسول اللّه ﷺ مؤيدا مظفرا، و قد خافه كل عَدُواهُ بالمدينة و من حولها، و أسلم بشر كثير من أهل المدينة، و وقعت النياحة في بيوت المشركين بمكة و كثُر البكاء على القتلى، و دخل الرعب في قلوب الأعداء، و نذر ابو سفيان ألا يمس رأسَهُ مَاءً حتى يغزو رسول اللّه ﷺ و المسلمين، و وجد المسلمون المستَخفُونَ في مكة في أنفسهم قوةً و عزًّا)) (5)

---

(1) – الأنفال 09

* إسم فرس جبريل عليه السلام

(2) – عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير : ابن سيّد الناس، دار الفكر، ج1، ص 256

(3) – آل عمران 122 – 126

(4) – دراسة في السيرة : عماد الدّين خليل، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط6، 1982، ص 184 – 185 – 186

(5) – السيرة النبوية : أبو الحسن علي الحسني الندوي، دار الشروق، لبنان، ط5، 1983، ص : 192 – 193

قصة غزوة أحد :

إنّ الرسول ﷺ كان يريد دائما أن يواصل السير بالدّعوة إلى الأمام كما أمره اللّه عزّ و جلّ ((فقد خرج من مكة المكرمة و هو هضيم، أو شبه مطرود في ظاهر الأمر، و ما هو إلاّ ليجمع قوة الحق، فكان لبّد أن يعمل على إظهار ما أيده اللّه سبحانه و تعالى به من قوة، تستطيع أن تشعر الظالمين بأنّ للحق شوكة، و أنّهم إذا لم يتركوا الدعوة في طريقها رغبا، فإنّهم لابد أن يتركوها رهبا)) (1)

لقد نصر اللّه المؤمنين على الكافرين في غزوة بدر، و يريد سبحانه و تعالى أن يعلّم المؤمنين السمع و الطاعة، و أنّ الدعوة لن تصل إلى هدفها المنشود إلاّ بالتزام أوامر الرسول ﷺ فكانت الضربة في معركة أحد درسا كبيرا للمؤمنين، فلقد قتل فيها خيار صحابة رسول ﷺ و كانوا يحمونه من ضربات الأعداء ((و قد أسرعوا لئلا يصل إليه شيء يكرهونه، إلاّ أنّهم وصلوا و قد لقي الرسول ﷺ ما لقي من الجراحات، و ستة من الأنصار قد قتلوا، و السابع قد اثبتته الجراحات، و سعد و طلحة يكافحان أشد الكفاح، فلمّا وصلوا أقاموا حوله سياجا من أجسادهم و سلاحهم و بالغوا في وقايته من ضربات العدو، و رد هجماتهم، و كان أول من رجع إليه ثانية في الغار ابو بكر الصديق رضي اللّه عنه)) (2)

يقول ابن قيم الجوزي ((كانت الدولة أول النهار للمسلمين على الكفار فانهزم عدو اللّه و ولوا مدبرين حتى انتهوا إلى نسائهم فلما رأى الرماة هزيمتهم تركوا مركزهم الذي أمرهم رسول اللّه ﷺ بحفظه، و قالوا يا قوم الغنيمة الغنيمة، فذكرهم أميرهم بعهد رسول اللّه ﷺ فلم يسمعوا و ظنوا أن ليس للمشركين رجعة، فذهبوا في طلب الغنيمة و أخلوا الثغر، و كرّ فرسان المشركين فوجدوا الثغر خاليا قد خلا من الرماة فجازوا منه و تمكنوا حتى أقبل آخرهم، فأحاطوا بالمسلمين، فأكرم اللّه من أكرم منهم بالشهادة و هم سبعون و ولى الصحابة، و خلص المشركون إلى رسول اللّه ﷺ فجرحوا وجهه و كسروا رباعيته اليمنى و كانت السفلى، و هشموا البيضة على رأسه، و رموه بالحجارة حتى وقع لشقه و سقط في حفرة من الحفر التي

---

(1) – خاتم النبيين : محمد ابو زهرة، دار الفكر العربي، ج2، ص 605

(2) – الرحيق المختوم : صفي الرحمن المباركفوري، شركة الشهاب، الجزائر، 1987 م، ص : 316

كان أبو عامر الفاسق يكيدها للمسلمين)) (1)

لقد إنهزم المؤمنون و ولوا مدبرين قال تعالى:

﴿إنّ الذين تولوا منكم يوم إلتقى الجمعان إنّما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا، و لقد عفا اللّه عنهم، إنّ اللّه غفور حليم﴾.(2)

((ثم إنّ رسول اللّه ﷺ جعل ينادي بقوله ((إليّ عباد اللّه)) حتّى إنحازت إليه طائفة من أصحاه فلامهم على هزيمتهم فقالوا يا رسول اللّه فديناك بآبائنا و أمهاتنا أتانا خبر قتلك فاستولى الرعب على قلوبنا فولينا مدبرين. و قد ذكر اللّه تعالى الحكمة في ما أصاب المؤمنين بمخالفتهم أمر النبيﷺ ألا يبرحوا عنه بقوله تعالى ﴿و لقد صدقكم اللّه وعده إذ تَحُسُّونَهُمْ بإذنه حتى إذا فشلتم و تنازعتم في الأمر و عصيتم من بعدما أراكم ما تحبون، منكم من يريد الدنيا و منكم من يريد الآخرة، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم، و لقد عفا عنكم و اللّه ذو فضل على المؤمنين﴾(3) .

و قال تعالى تعزية لأصحاب رسول اللّه ﷺ على ما أصابهم من الجراح و القتل بأحد ﴿و لا تهنوا و لا تحزنوا و أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ (4).

يعني لا تضعفوا بالذي نالكم من عدوكم بأحد من القتل و القروح عن جهاد عدوكم و حربهم و لا تحزنوا و لا تأسوا فتجدوا على ما أصابكم من المصيبة يومئذ فأنتم الأعلون، أي الظاهرون عليهم و لكم العقبى في الظفر و النصرة عليهم إن كنتم مؤمنين)) (5).

و يتصور بعض المسلمين أنّ الهزيمة في غزوة أحد كانت هزيمة كبرى على جميع الجبهات و المستويات، و الحقيقة أنّها لم تكن سوى هزيمة على مستوى عدد القتلى الذي قدّرَ في صف المؤمنين بسبعين شهيدا، فالمؤمنون في بداية المعركة كانوا هم الغالبين و قد فرّ المشركون أو مجموعة منهم، لكنّ خالدا تفطن لتراجع المسلمين فكرّ عليهم من الخلف و هزمهم ثم فرّ هاربا هو كذلك.

---

(1) – زاد المعاد في هدي خير العباد : ابن قيم الجوزي، دار الكتاب العربي، لبنان، جـ 2 ، ص : 93.

(2) – آل عمران 154

(3) – آل عمران 152

(4) – آل عمران 139

(5) – محمد رسول اللّه ﷺ : محمد رضا، دار الفكر الإسلامي، ص : 207

يقول سيد حوى : ((يبدو لي أنّ غزوة أحد جمعت هزيمتين للطرفين بآن واحد، و استمرت الهزيمتان إلى آخر الغزوة، فلقد هرب المشركون إبتداء، ثم وجد خالد الفرصة فهاجم و هرب بعض المسلمين، و استمرّ الهروب عند الطرفين، فنحن لا نعثر على تجمع كبير للمسلمين بعد هجمة خالد، كما أنّنا لا نعثر على تجمع كبير للمشركين، و إنّما بقيت مجموعات في أرض المعركة حتّى إنّ خالدا نفسه و هو الذي أوقع الهزيمة بالمسلمين لا نسمع له حسًا بعد ذلك فكأنه تصرف هذا التصرف الخاطف و هو في موقع اليأس، و الذين بقوا على أرض المعركة لم يكونوا متكافئين، و مع ذلك فالإدارة الحازمة الحكيمة الرائعة للمعركة من قبل رسول الله ﷺ أوقفت المشركين عند حدّهم و اكتفوا بما حققوا، و لولا أنّهم شعروا بالعجز أو أنّ خسائرهم ستكون أكثر من أرباحهم ما انسحبوا و هو يرون رسول اللّه ﷺ و مجموعة قليلة من أصحابه حوله أمامهم، و لذلك فالمعركة في مجموعها كانت متعادلة من ناحية النصر و الهزيمة و إن كان ضحايا المسلمين أكثر لأنّ عدد العدو كان أكبر...)) (1).

و مهما يكن فاللّه سبحانه و تعالى أراد أن يبتلي المؤمنين، و يمحصّ صفهم، و يتخذ منهم شهداء، و يعلّمُهم بعض سننه في الكون قال تعالى : ﴿و لا تهنوا و لا تحزنوا و أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين، إن يمسسكم قَرحٌ فقد مسّ القوم قرحٌ مثلُه و تلك الأيام نداولها بين النّاس و ليعلم اللّه الذين آمنوا و يتخذ منكم شهداء و اللّه لا يحبُ الظالمين، و ليمحصّ اللّه الذين آمنوا و يمحق الكافرين، أم حسبتم أن تدخلوا الجنة و لمّا يعلم اللّه الذين جاهدوا منكم و يعلم الصابرين، و لقد كنتم تمنون الموت من قَبلِ أن تَلقَوْه فقد رأيتموه و أنتم تنظرون﴾ (2).

لقد تركت هذه الهزيمة في نفوس المسلمين أثرا سيئًا، كما أنّ بعض المتربصين بهم لن يغفلوا عنهم في مثل هذا الظرف الذي كان من آثاره كما يقول سعيد حوى (3) :

1 – ضعف الرّوح المعنوية عند المسلمين

2 – طمع القبائل العربية كلها بالمسلمين

---

(1) – الأساس في السنة و فقهها : سعيد حوى، دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، 1989 م، جـ 2، ص 603

(2) – آل عمران 139 – 143

(3) – الرسول ﷺ : سعيد حوى، دار الكتب العلمية، لبنان، ط4، 1979 م، ج1، ص : 229 – 230

3 – سقوط هيبة المسلمين العسكرية

4 – توجه قلوب النّاس كلها للقضاء على المسلمين

5 – تنفس المنافقين و اليهود و تربصهم الشر بالمسلمين

6 – هناك احتمال بعد أحد أن يفكر المشركين و قد انتصروا و رجعوا أن يعودوا لاستئصال المسلمين من جديد و قد سنحت لهم الفرصة.

فكيف فعل رسول اللّه ﷺ لتلافي هذه النتائج كلها :

إنّه ما كاد يصل المدينة المنورة حتّى أمر المسلمين الذين دخلوا المعركة أن يستعدوا مباشرة للحرب رغم إعيائهم ثم خرج بهم تابعا آثار المشركين و لم يكد المشركون يسمعون بأنباء هذا الهجوم و الطرد وراءهم، إلاّ و أعلنوا الرحيل الذي يُشبِهُ الهرب مع أنّهم كانوا يفكرون أثناءها بالرجوع إلى المدينة لإستئصال المسلمين فيها و لم يقع يومها حرب و لكنّ هذه العملية الجريئة غسلت آثار أحد كلها و بشكل سريع إذ كانت معركة أحد يوم السبت و كان خروج الجيش هذا يوم الأحد و بقي معسكرا في حمراء الأسد طيلة ثلاث ليال و نزل القرآن بعد ذلك فربى المسلمين و وعظهم، و غسل كل الآثار النفسية للهزيمة.

قال تعالى : ﴿الذين استجالوا للّه و الرّسول من بعد ما أصابَهُمْ القَرَحُ للذين أحسنوا منهم و اتقوا أجْرٌ عظيمٌ، الذين قال لهم النّاس إنّ النّاس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا و قالوا حسبُنا اللّه و نعم الوكيل فأنقلبوا بنعمة من اللّه و فضل لم يمسَسْهم سوءٌ و اتبعوا رضوان اللّه و اللّهُ ذو فضل عظيم، إنّما ذَلِكُم الشيطان يُخَوِّفُ أولِيَاءَهُ فلا تخافوهم و خافون إن كنتم مؤمنين﴾ (1).

فخروج الرسول ﷺ إلى حمراء الأسد مقتفيا آثار المشركين و متابعا إيّاهم كان بمثابة الحرب النفسية عليهم ليمحو ﷺ كل آثار أحد على المسلمين، ((و الملاحظ أنّ الحرب النفسية كانت جزء من مخططات الرسول ﷺ و مخططات المشركين، فليست هي وليدة الفكر المعاصر... إنّ الحرب النفسية لم تؤثر في رسول اللّه ﷺ و أصحابه و إنّما أثرتْ في المشركين فقط، و ذلك هو الوضع الطبيعي الذي ينبغي أن يكون عليه الحال، فإذا حدث

---

(1) – آل عمران 172 – 175

غير ذلك فهناك مرض عند المسلمين)) (1).

حمّالة الحطب :

هي أم جميل امرأة أبي لهب قال فيها سبحانه و تعالى في سورة المسد ﴿تبَّت يَدَ أبي لهب و تَبَّ ما أغنى عنه مالُهُ و ما كسَبَ سَيَصلَى نارا ذات لَهبٍ و امراتُه حمّالة الحطبِ في جيدِهَا حبلٌ من مسَدٍ﴾ (2).

((أبو لهب هو أحد أعمام رسول اللّه ﷺ، و إسمه عبد العزى بن عبد المطلب، و كان كثير الأذية لرسول اللّه ﷺ و البغض له، و التنقص له و لدينه، و كانت زوجته حمّالة الحطب من سادات نساء قريش و هي أم جميل و إسمها أروى بنت حرب بن أمية، و هي أخت أبي سفيان، و كانت عونا لزوجها على كفره و جحوده و عناده، فلهذا تكون يوم القيامة عونًا عليه في عذابه في نار جهنّم، يعني أنّها تحمل الحطب فتلقي على زوجها ليزداد على ما هو فيه من عذاب، و قال بن عبّاس و الضحّاك أنّ حمّالة الحطب كانت تضع الشوك في طريق رسول اللّه ﷺ)) (3).

و كان ﷺ صابرا في سبيل الدعوة إلى اللّه، و كان سبحانه و تعالى يحميه من أذى الكفار و المشركين الذين كانوا يتعدون عليه حتى و هو داخل بيت اللّه.

فقد جاء في سيرة ابن هشام (4) أنّ أم جميل امرأة أبي لهب كانت تحمل الشوك فتطرحه على طريق رسول اللّه ﷺ و هو جالس بالمسجد و بيدها حجر تريد أن تضربه به، فصرف اللّه بصرها عنه فلا ترى إلاّ أبا بكر فقالت : يا ابا بكر أين صاحبك ؟ فقد

---

(1) – الأساس في السنة و فقهها: سعيد حوى، جـ 2، ص 601

(2) – سورة المسد

(3) – مختصر تفسير بن كثير: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط7، 1981، ج3، ص : 689 – 690

(4) – سيرة النبي ﷺ : ابن هشام، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر 1981، ج1، ص : 378 – 379.

بلغني أنّه يهجوني و اللّه لو وجدته لضربت بهذا الحجر فاه، أما و اللّه إني لشاعرة، ثم قالت شعرا تهجو به الرسول ﷺ، ثم انصرفت فقال أبو بكر يا رسول اللّه أما تراها رأتك ؟ فقال له ﷺ : ما رأتني لقد أخذ اللّه بصرها عنّي.

و كان ﷺ يقول : ألا تَعْجَبُونَ لِمَا يصرف اللّه عنّي من أذى قريش يَسُبُّونَ و يَهْجُونَ مُذَمَّمًا وَ أَنَا مُحَمَّد ؟.

طعام الأثيم :

قال سبحانه و تعالى ﴿إنّ شجرة الزقوم، طعام الأثيم، كالمُهْلِ يَغْلي في البطون، كغَلي الحميم، خذُوهُ فاعتِلُوهُ إلى سواء الجحيم، ثمّ صبُّوا فوق رأسه من عذاب الحَميم، ذُقْ إنّك أنتَ العزيزُ الكريمُ، إنّ هذا ما كنتم به تَمْتَرُونَ﴾ (1).

(الأثيم أي في قوله و فعله و هو الكافر، و ذكر غير واحد أنّه أبو جهل، و شجرة الزقوم قال مجاهد لو وقعت قطرة منها في الأرض لأفسدت على أهل الأرض معايشهم، كالمهل : كعكر الزيت يغلي في البطون، و عن عكرمة قال لقي رسول اللّه ﷺ أبا جهل لعنة اللّه عليه فقال : إنّ اللّه تعالى أمرني أن أقول لك : ﴿أولى لك فأولى، ثم أولى لك فأولى﴾، قال فنزع ثوبه من يده و قال : ما تستطيع لي أنت و لا صاحبك من شيء، و لقد علمت أنّي أمنع أهل البطحاء، و أنا العزيز الكريم، قال فقتله اللّه تعالى يوم بدر و أذلّه و عَيَّرَهُ بكلمته و أنزل ﴿ذق إنّك أنت العزيز الكريم﴾) (2).

و جاء في سيرة بن هشام (3) أنّ أبا جهل بن هشام لمّا ذكر اللّه تعالى شجرة الزقّوم تخويفا لهم قال : يا معشر قريش أتدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد ؟ قالوا لا... قال

---

(1) – الدخان 43 – 50

(2) – مختصر تفسير بن كثير: محمد علي الصابوني، ج 3 ، ص : 305

(3) –سيرة النبي ﷺ : ابن هشام، تحقيق محمد محي الدّين عبد الحميد، ج1، ص : 378 – 379

– متهكما – إنّها عَجْوَةُ يَثْرِبَ (1) بِالزُّبْدِ، و اللّه لئن إستمكنّا منها لنتزقّمنّها(2) تَزَقُّمًا، فأنزل اللّه تعالى فيه ﴿إنّ شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمُهْلِ يَغْلِي في البُطونِ كغَلي الحَمِيمِ﴾ أي ليس كما يقول.

قال ابن هشام : المهل : كل شيء أذَبْتَهُ من نحاس أو رصاص، أو ما أشبه ذلك، فيما أخبرني أبو عبيدة.

كانت هذه بعض النماذج من القصة التي وقعت في عهد الرسول ﷺ ، و قد نزل فيها قرآنا يتلى إلى يومنا هذا، يستطيع الدّاعية أن يأخذ منها عبرا كثيرة في حياته و معاملاته، و هذا القسم من القصص القرآني كثير لا يمكن الإحاطة به أو ذكره جميعا في هذا البحث.

جـ) – <u>القصة الغيبية</u> :

– القصة الغيبية هي القصة التي تتناول وقائع و أحداث من صميم الغيب، و يمكن أن تكون القصة أو الحادثة ماضيا و غيبا حدث في بداية الخلق، أو في الملأ الأعلى، كقصة آدم عليه السلام مع إبليس و مع زوجه و دخولهما الجنة ثم خروجهما بعد أن وسوس لهما إبليس و هبوطهما إلى الأرض و يمكن أن تكون القصة آت بعيد يتعلق باليوم الآخر و ما فيه من مشاهد و محاكمات و حِوَارٍ بَيْنَ اللّه و خلقه من أنبياء و رسل و غيرهم.

– أمّا قصة آدم فهي قصة طويلة جاء ذكرها في عدة سور من القرآن الكريم، و يمكن للداعية أن يستفيد منها و من مشاهدها المتنوعة في القرآن الكريم، كما يستفيد من قصة ذكرها القرآن الكريم وقعت في الأرض في فجر البشرية و بداية الحياة إنها قصة ولدي آدم عليه السلام، قال تعالى :

﴿و اتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتُقُبِّلَ من أحدهما و لم يُتَقَبَّل من الآخر قال لأقتلنك قال إنّما يتبلُ اللّه من المتقين، لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك، إني أخاف اللّه رب العالمين، إنّي أريد أن تبوء بإثمي و إثمك فتكون من أصحاب النار، و ذلك جزاء الظالمين، فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين، فبعث اللّه غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه، قال يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا

---

(1) – "عجوة يثرب"، العجوة : ضرب من التمر، و يثرب مدينة طيبة التي هاجر إليها رسول اللّه ﷺ و هي مشهورة بالتمر .(المرجع السابق، نفس الصفحة)

(2) – نتزقمنها تزقما : نبتلعها ابتلاعا. (المرجع السابق، نفس الصفحة)

الغراب فأواري سوأة أخي، فأصبح من النادمين﴾ (1).

فالقصة في سورة المائدة و تعرض نموذجين من البشر، أحدهما عدواني صارخ لا يخشى اللّه تعالى و لا يخافه قد تَوَصَّلَ به حبُّهُ لنفسه إلى قتل أقرب النّاس إليه و هو أخوه، الذي يخاف اللّه سبحانه و تعالى و هو نموذج المؤمن المسالم الذي لا يتعدّى حدود اللّه فهو تقي يفضل أن يكون مقتولا بدل أن يكون قاتل، يريد أن يفوز بالجنة و يبتعد عن النّار.

- في هذه القصة عبُر كثيرة يستخلصها الداعية قد نرجع إليها عند ذكر أخلاق الداعية، أو عند التطرق إلى أسلوب القوة في الدعوة إلى اللّه مفهومه و حدوده التي يجب ألاّ يتعدّها الداعية، و ألا يخلط بين الدعوة و الدهاد و القتل، و بين المسلم و غير المسلم في الدعوة إلى اللّه.

- و يلاحظ أنّ هذه القصة جاءت في سورة المائدة التي يدور سياقها حول العقود و المواثيق، و التي تتضمن عدة أحكام و تشريعات لصيانة النفس و المال و أمن المجتمع، و القصة تُبينُ بشاعة الجريمة و التعدي على الآخرين، و تكشف عدوانية الشرير الذي ينبغي أن يضبط بعاقبه عند الإعتداء و تحفظ كرامة و أمن الجماعة و المجتمع.

- و من القصة الغيبية قصة محاكمة عيسى عليه السلام، و هي قصة تعالج موضوع عقيدة أهل الكتاب، يعلن فيها عيسى عليه السلام بين يدي اللّه براءته من تأليه نفسه و أمه و هو تأليهٌ وقع فيه أتباعُه، و يعلن في نفس الوقت توحيد اللّه و عبوديته له مفوضا أمر أتباعه إليه فهو الذي يحكم عليهم إن شاء غفر و إن شاء عذب و هو العزيز الحكيم.

قال تعالى :

﴿و إذ قال اللّه يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للنّاس اتخذوني و أمي إلهين من دون اللّه ؟ قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق، إن كنت قلته فقد علمته، تعلم ما في نفسي و لا أعلم ما في نفسك، إنّك أنت علاّم الغيوب، ما قلت لهم إلاّ ما أمرتني به أن أعبدوا اللّه ربي و ربكم، و كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم، و أنت على كل شيء شهيد، إن تعذبهم فإنهم عبادك، و إن تغفر لهم فإنّك أنت العزيز الحكيم، قال اللّه هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم، لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا، رضي اللّه

---

(1) - المائدة 27 - 31

عنهم و رضوا عنه، ذلك الفوز العظيم﴾ (1).

د) <u>القصة المركزة</u> :

هي قصة تعرض الأحداث بسرعة قوية، و تعبيرات دقيقة و مركزة، و هي إيحاء سريع و قوي في أقصر وقت و أوجز طريق، و في أغلب الأحيان القصة المركزة لا تعتني بكل عناصر القصص مثل الشخصيات و تفاصيل الأحداث.

- و قد تكون القصة المركزة تلخيصا لقصة طويلة في القرآن الكريم مثل قصة موسى عليه السلام مع فرعون، جاءت مطولة في عدة سور منها طه و القصص و الأعراف، و اختصرتْ اختصارا كبيرا في سورة النازعات قال تعالى :

﴿هل أتاك حديث موسى ؟ إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى، إذهب إلى فرعون إنّه طغى، فقل هل لك إلى أن تزكى، و أهديك إلى ربك فتخشى، فأراه الآية الكبرى فكذب و عصى، ثم أدبر يسعى، فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى، فأخذه اللّه نكال الآخرة و الأولى إنّ في ذلك لعبرة لمن يخشى﴾ (2)

- و نجد في سورة البقرة نماذج حية للقصة المركزة تركز و تثبت عنصر الإيمان في قلوب المدعوين، و تَسُوق الدليل الواقعي و العلمي على قدرة اللّه سبحانه و تعالى على إحياء الموتى و إعادة بعثهم، مثل قصة الذي مرّ على قرية و هي خاوية على عروشها، قال تعالى:

﴿أو كالذي مرّ على قرية و هي خاوية على عروشها قال أنّى يحي هذه اللّه بعد موتها ! فأماته اللّه مائة عام ثم بعثه، قال كم لبثت ؟ قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك و شرابك لم يتسنه و انظر إلى حمارك و لنجعلك آية للنّاس، و انظر إلى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما، فلمّا تَبَيّن له قال أعلم أنّ اللّه على كل شيء قدير﴾ (3)

---

(1) - المائدة 116 - 119

(2) - النازعات 15 - 26

(3) - البقرة 259

يقول سيد قطب في هذه الآيات و ما قبلها و بعدها من آيات تتناول نفس الموضوع موضوع إحياء الموتى و إعادة البعث ((تمثل – أي الآيات – جانبا من جوانب الجُهْد الطويل المتجلى في القرآن الكريم لإنشاء التصور الصحيح لحقائق هذا الوجود في ضمير المسلم و في إدراكه الأمر الذي لابد منه للإقبال على الحياة بعد ذلك إقبالا بصيرا، منبثقا من الرؤية الصحيحة الواضحة، و قائما على اليقين الثابت المطمئن، فنظام الحياة و منهج السلوك و قواعد الأخلاق و الآداب، ليست بمعزل عن التصور الإعتقادي، بل هي قائمة عليه، مستمدة منه و ما يمكن أن تثبت و تستقيم و يكون لها ميزان مستقرا إلا أن ترتبط بالعقيدة، و بالتصور الشامل لحقيقة هذا الوجود و ارتباطه بخالقه الذي وهبه الوجود... و من ثم هذا التركيز القوي على إيضاح قواعد التصور الإعتقادي الذي استغرق القرآن المكي كله، و ما يزال يطالع النَاس في القرآن المدني بمناسبة كل تشريع و كل توجيه في شؤون الحياة جميعا)) (1).

فهذا الرجل الذي يتساءل عن كيفية إعادة الحياة في الموات و مدى قدرة اللّه الخالق على ذلك، فيجيبه سبحانه و تعالى، بتجربة شخصية ذاتية و مباشرة، ليمتلىء بها الحِسُ و يطمئن بها القلب.

– و نجد في سورة البقرة قصة مركزة أخرى تأتي بعد هذه القصة مباشرة، و تطرح نفس التساؤل و تجيب عليه، لكن هذه المرة القصة تكشف عن الشخصية التي تتساءل عن البعث، و تريد معرفة كيفية إعادة الحياة، إنّه إبراهيم الخليل عليه السلام، قال تعالى :

﴿ و إذ قال إبراهيم ربّ أرني كيف تحي الموتى، قال أو لم تؤمن، قال بلى و لكن ليطمئن قلبي، قال فخذ أربعة من الطّير فصُرْهنَّ إليك ثم اجعل على كل جَبَلٍ منهنَ جزءًا ثم ادْعُهُنَّ يأتينك سعيًا و اعلم أنّ اللّه عزيز حكيم﴾ (2)

((إنه تشوق لا يتعلق بوجود الإيمان و ثباته و استقراره، و ليس طلبا للبرهان أو تقوية للإيمان، إنّما هو أمره له مذاق آخر، إنّه أمر الشوق الرّوحي إلى ملابسة السر الإلهي في أثناء وقوعه العملي... أراد أن يرى يد القدرة و هي تعمل... و هي أمر آخر غير الإيمان الذي ليس بعده إيمان)) (3).

---

(1) – في ظلا ل القلرآن : سيد قطب، ج1 ، ص 296 – 297

(2) – البقرة 260

(3) – المرجع السابق ، في ظلال القرآن، ص 302

– و في سورة البقرة قصة مركزة أخرى إنها قصة بقرة بني إسرائيل و في القرآن الكريم قصص قصيرة منها قصة أصحاب الفيل و أصحاب الكهف و أصحاف الأخدود لا يتسع المجال لذكرها هنا.

هـ) – القصة المفصلة :

– القصة المفصلّة هي القصة التي لا تهمل أي عنصر من عناصر القصص فهناك أشخاص و أحداث و حوار و تحديد للزمان و المكان، فهي تبرز الشخصيات و تبين ملامحها و سماتها و تصور الخواطر و الإنفعالات، و تذكر الأحداث مترابطة و متصلة من أول مقدمتها إلى آخر نتائجها، فتفصلها و تشرح أو تكشف عن خلفياتها و أهدافها، و تعتمد في طريقة العرض على التعبير الهادىء و المؤثر و الجاذب للنفس، الدّاعي للمتتبع بمواصلة الإستماع و القراءة حتى آخر القصة، و هي كذلك غالبا ما تحدد الزمان و المكان.

– و قصة يوسف عليه السلام في سورة يوسف نموذج لهذا النوع من القصص، و هناك من الباحثين من يعتبر قصة يوسف القصة الوحيدة التي ينطبق عليها معنى القصص الحقيقي، و هم بهذا ينظرون بمنظار فني و أدبي فقط.

و أريد أن أنقل كلام سيد قطب أو بعضها من مقدمته لسورة يوسف يقول رحمه اللّه (1):

هذه السورة مكية، نزلت بعد سورة هود في تلك الفترة الحرجة التّي تحدثنا عنها في تقديم سورة يونس و في تقديم سورة هود... بين عام الحزن بموت أبي طالب و خديجة سندي رسول اللّه ﷺ و بيعة العقبة الأولى ثم الثانية التي جعل اللّه فيها لرسول اللّه ﷺ و للعصبة المسلمة معه و للدّعوة الإسلامية فرجا و مخرجا بالهجرة إلى المدينة، و على هذا فالسورة واحدة من السور التي نزلت في تلك الفترة الحرجة في تاريخ الدعوة و في حياة الروسل ﷺ و العصبة المسلمة معه في مكة.

ففي الوقت الذي كان رسول اللّه ﷺ و من معه يعانون من الوحشة و الغربة و الإنقطاع في جاهلية قريش... كان اللّه سبحانه و تعالى يقص على نبيه الكريم قصة أخ له كريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم صلوات اللّه و سلامه أجمعين و هو يعاني صنوفا من المحن و الإبتلاءات محنة كيد الإخوة، و محنة الجب و الخوف و الترويع، و محنة الرق و هو

---

(1) – في ظلال القرآن : سيد قطب، ج4، ص : 1949 – 1950 – 1951

ينتقل كالسلعة من يد إلى يد على غير إرادة منه، و لا حماية و لا رعاية من أبويه ولا من أهله، و محنة كيد إمرأة العزيز و النسوة، و قبلها إبتلاء الإغراء و الشهوة و الفتنة، و ومحنة السجن بعد رغد العيش و طراوته في قصر العزيز، ثم محنة الرجاء و السلطان المطلق بين يديه، و محنة المشاعر و هو يلقى إخوته الذين ألقوه في الجب و كانوا السبب الظاهر لهذه المحن و الإبتلاءات كلها... هذه المحن و الإبتلاءات التي صبر عليها يوسف عليه السلام و زاول دعوته من خلالها... ثم يواصل سيد قطب فيقول :

إنّ قصة يوسف – كما جاءت في هذه السور تمثل النموذج الكامل لمنهج الإسلام في الأداء الفني للقصة، بقدر ما تمثل النموذج الكامل لهذا المنهج في الأداء النفسي و العقيدي و التربوي و الحركي أيضا، و مع أن المنهج القرآني واحد في موضوعه و في أدائه إلا أنّ قصة يوسف تبدو و كأنها المعرض المتخصص في عرض هذا المنهج من الناحية الفنية للأداء.

و هناك لون آخر من ألوان القصص القرآني هو نوع من أنواع القصة المفصلة يعتمد على المشاهد و الحوار و تصوير أبرز المواقف، يمكننا أن نسميه "قصص المشاهد و الحوار" و قصة المشاهد و الحوار" هي القصة التي تعتمد في طريقة العرض على المشاهد، و في طريقة التعبير على الحوار، و في تنسيق الحوادث على تصوير أبرز المواقف تاركة بين المشاهد كثيرا من التفصيلات التي تعمل فيها الذاكرة أو يتصورها الخيال.

((و قدرة القرآن الكريم على تجسيم المعاني و تصوير الخواطر و براعته في العرض و الأداء، و إعجازه في التعبير المركز القصير المشع بالإيحاءات، تبعث الحياة في هذا اللّون من القصص، و يحوله إلى صور حية و شخوص متحركة و مشاهد تنبض بالحياة)) (1).

فهناك إذن في قصة المشاهد و الحوار عناصر أبرزها، المشاهد و هي جزء من القصة، ثم هناك دَاخِلَ كل مشهد حوار (قال : .... قال : ...)، و هناك تصوير لأبرز المواقف، و تصوير للخواطر، حتّى أنّ السامع يحس كأن صورا حية متحركة تمر أمامه.

و لعلّ هذا ما عبرّ عنه سيد قطب بالتصوير الفني في كتابه ((التصوير الفني في القرآن الكريم)) بقوله رحمه اللّه :

---

(1) – منهج القصة في القرآن : محمد شديد، ص : 44

((التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسّة المتخيلة عن المعنى الذهني، و الحالة النفسية، و عن الحادث المحسوس، و المشهد المنظور، و عن النموذج الإنساني و الطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة يرسم فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، و إذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، و إذا النموذج الإنساني شاخص حيّ، و إذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية، فأما الحوادث و المشاهد، و القصص و المناظر فيردها شاخصة حاضرة، فيها الحياة، و فيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل، فما يكاد يبدأ العرض حتّى يحيل المستمعين نظّارة، و حتّى ينقلهم نقلا إلى مسرح الحوادث الأول، الذي وقعت فيه أو ستقع، حيث تتوالى المناظر، و تتجدد الحركات، و ينسى المستمع أنّ هذا الكلام يُتلى، و مثل يضرب، و يتخيل أنّه منظر يعرض، و حادث يقع، فهذه شخوص تروح على المسرح و تغدو، و هذه سمات الإنفعال بشتى الوجدانات، المنبعثة من الموقف، المتساوقة مع الحوادث، و هذه كلمات تتحرك بها الألسنة، فتنم عن الأحاسيس المضمرة...فإذا ذكرنا أنّ الأداة التي تصور المعنى الذهني و الحالة النفسية، و تشخص النموذج الإنساني أو الحادث المرويّ، إنما هي ألفاظ جامدة، لا ألوان تصور و لا شخوص تعبر، أدركنا بعض أسرار الإعجاز في تعبير القرآن، و الأمثلة على هذا الذي نقول هي القرآن كله، حيثما تعرض لغرض من الأغراض... حيثما شاء أن يعبر عن معنى مجرد، أو حالة نفسية، أو صفة معنوية، أو نموذج إنساني، أو حادثة واقعة، أو قصة ماضية، أو مشهد من مشاهد القيامة، أو حالة من حالات النعيم و العذاب، أو حيثما أراد أن يضرب مثلا في جدل أو محاجة، بل حيثما أراد هذا الجدل إطلاقا، و اعتمد فيه على الواقع المحسوس، و المتخيل المنظور، ... و هذا هو الذي عنيناه حينما قلنا : إنّ التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن)) (1).

و من أبرز هذا اللّون من القصص أي قصص الحوار و المشاهد قصة موسى عليه السلام مع فرعون في سورة الشعراء، و قد جاءت في أربعة مشاهد، و هي تبدأ من قوله تعالى :

﴿و إذ نادى ربك موسى إن ائت القوم الظالمين...(إلى قوله تعالى) و أزلفنا ثم الآخرين و انجينا موسى و من معه أجمعين، ثم أغرقنا الآخرين﴾ (2).

---

(1) – التصوير الفني في القرآن : سيد قطب، دار المعارف، القاهرة، ط9، ص : 34 – 35

(2) – الشعراء 10 – 66.

المبحث الثالث : أهدافه و أغراضه :

لا يختلف العلماء و الباحثون في أنّ الغرض الأساسي من القصص القرآني هو غرضٌ ديني، و دعوي و تربوي بالدرجة الأولى يرتكز عليه الداعية لأخذ العظات و العبر.

((و الغرض من القصص القرآني إنّما يساق للعبرة و إعطاء العظة، و القرآن الكريم ليس كتاب قصص تحكى للتسلية، إنّما هو دستور أمة، و كتاب دعوة، و منهاج للبشرية، و القصة وسيلة من وسائله الإيضاحية لإبراز الأغراض الدينية، و لابد للإنسان أن يستفيد منه، و يبرز الغرض من سياق القصة، كإهلاك المعاندين و نصر المؤمنين... و لقد خضعت القصة القرآنية في موضوعها و في طريقة عرضها، و إدارة حوادثها لما يخدم الغرض الديني)) (1).

و أولى الناس بالرجوع إلى دراسة القصص القرآني هو الدعاة و المصلحون و المربون، يدرسونه من أجل استخلاص منهج يسيرون عليه في حيانهم، و يبينون ذلك للمدعوين بكل إخلاص و صبر و عمل و قدوة.

يقول محمد علي الصابوني :

((ليست الغاية من ذكر قصص الأنبياء إلاّ أن يتخذ الدعاة و المصلحون من سيرتهم العطرة نبراسا يستضيئون بضيائه، و يهتدون بهديه، و أن يسيروا على نهجهم فيجعلهم قدوة في جميع التصرفات و الأعمال، و أن يكون أمامهم (المثل الأعلى) من حياة هؤلاء الرسل الكرام، عليهم جميعا أفضل الصلاة و السلام، و ليس الغرض من ذكر القصص في القرآن التسلية أو الترفيه عن النفس، و إنّما الغرض العظة و العبرة، و التفكر و التدبر، و هذا ما أشارت إليه الآيات القرآنية، و خاصة بالنسبة إلى مقام الدعاة)) (2).

و يقول سيد قطب رحمه اللّه :

((القصة في القرآن ليست عملا فنيا مستقلا في موضوعه و طريقة عرضه و إدارة حوادثه - كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة، التي ترمي إلى أداء غرض فني مجرد - إنّما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى تحقيق هدفه الأصيل، و القرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، و القصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدّعوة و تثبيتها، شأنها في ذلك شأن مشاهد القيامة و صور النعيم و العذاب، و شأن الأدلة التي يسوقها على البعث و على قدرة اللّه، و شأن الشرائع

---

(1) - أهداف القصة في القرآن الكريم : منصور الرفاعي عبيد، دار العرفان، القاهرة، ط01، ص : 36

(2) - النبوة و الأنبياء : محمد علي الصابوني، دار الهدى، الجزائر، ص : 97 - 98

التي يفصلها و الأمثال التي يضربها... إلى آخر ما جاء في القرآن من موضوعات، و قد خضعت القصة القرآنية في موضوعها، و في طريقة عرضها، و إدارة حوادثها لمقتضى الأغراض الدينية...

و التعبير القرآني يؤلف بين الغرض الديني و الغرض الفني)) (1).

و يمكننا أن نقول أنّ أهم أهداف القصص القرآني و أغراضه خمسة و هي :

أ) - تعميق العقيدة في النفوس

ب) - إثبات صدق الوحي

جـ) - الإشارة إلى وحدة الرسالات

د) - تثبيت الرسول ﷺ و من معه من المؤمنين.

هـ) - بيان موقف الأمم من الأنبياء و الرسل و مصيرهم.

(أ) - <u>تعميق العقيدة في النفوس</u> :

الغرض الأساسي للقصص القرآني هو الدّعوة إلى اللّه إجمالا، و من الأهداف الرئيسية للدّعوة كما رأينا في الفصل الأول هو الإيمان باللّه و بالرسل و باليوم الآخر و هي أركان العقيدة، من هنا كان تعميق العقيدة في النفوس غرض من أغراض القصص القرآني، فلقد ركزت القصة القرآنية على هذه الأصول الثلاثة، ففي الإيمان باللّه ركزت على وحدانية اللّه و عدله، و قدرته، و حكمته، و في مجال الرسالة ركزت القصة القرآنية إلى جانب الدّعوة إلى الإيمان بالرسل على صفاتهم الخيرة ليكونوا أسوة للنّاس و للمدعوين فلقد أكرمهم اللّه سبحانه و تعالى بالوحي و الرسالة.

فالمشركون ينكرون توحيد اللّه و أبوا إلاّ أن يتمسكوا بدين آبائهم و أجدادهم فقالوا : ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا ؟ إنّ هذا لشيء عجاب، و انطلق الملأ منهم أن امشو و اصبروا على آلهتكم إنّ هذا لشيء يراد، ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة، إن هذا إلاّ إختلاق﴾ (2)

و أنكروا عقيدة البعث، و الإيمان باليوم الآخر، و رموه ﷺ بالجنون قال تعالى :

---

(1) - التصوير الفني في القرآن : سيد قطب، دار الشروق، لبنان، ط13، 1993، ص : 143

(2) - ص : 7 - 5

﴿و قال الذين كفروا، هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد ؟ إفترى على اللّه كذبا، أم به جنة ؟ بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب و الضلال البعيد﴾ (1).

فنجد في قصة إبراهيم مع قومه موضوع العقيدة في اللّه و الهدف منها هو الدعوة إلى توحيد اللّه، و إقامة الدليل بالفطرة أو بالمنطق أو المنهج الفطري، فإبراهيم عليه السلام يسفه آلهتهم و كانت الظروف المحيطة بهم شبيهة إلى حد كبير بالظروف التي كانت تمر بها الدعوة في العهد المكي، قال تعالى :

﴿و إنّ من شيعته لأبراهيم، إذ جاء ربّه بقلب سليم، إذ قال لأبيه و قومه ماذا تعبدون ؟ أئفكا آلهة دون اللّه تريدون ؟ فما ظنكم برب العالمين ؟ فنظر نظرة في النجوم، فقال إني سقيم، فتولوا عنه مدبرين، فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون ! ما لكم لا تنطقون ! فراغ عليهم ضربا باليمين، فأقبلوا عليه يزفون، قال أتعبدون ما تنحتون ! و اللّه خلقكم و ما تعملون، قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم، فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين﴾ (2).

و في نفس القصة قصة إبراهيم في سورة أخرى نجد إشارة إلى عقيدة البعث، و إشارة إلى الوحي و الرسول قال تعالى :

﴿و إبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا اللّه و اتقوه، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، إنّما تعبدون من دون اللّه أوثانا و تخلقون إفكا، إنّ الذين تعبدون من دون اللّه لا يملكون رزقا فابتغوا عند اللّه الرزق و اعبدوه و اشكروا له، إليه ترجعون، و إن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم، و ما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ (3).

و في القرآن الكريم و قصصه حجج أخرى على أنّ الرسل دعوا أقوامهم إلى الإيمان بهم و برسالتهم قال تعالى :

﴿قال يا قوم إني لكم نذير مبين، أن أعبدوا اللّه و اتقوه و أطيعون﴾ (4).

---

(1) – سبا : 7 – 8

(2) – الصافات : 83 – 98

(3) – العنكبوت 16 – 18

(4) – نوح 2 – 3

﴿إني لكم رسول مبين، فاتقوا اللّه و أطيعون﴾ (1).

﴿أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم و لتتقوا و لعلكم ترحمون﴾ (2).

و هناك قصص أخرى في القرآن الكريم عالجت موضوع العقيدة و توحيد الألوهية و هي بارزة في قصة مريم في سورة آل عمران، و هي تصحح عقيدة النصارى في عيسى عليه السلام، و في نفس الوقت تعمق عقيدة التوحيد في نفوس المؤمنين، و نكتفي بهذه الأمثلة و النماذج في الغرض الأول من أغراض القصص.

ب) إثبات صدق الوحي :

((و يجيء القصص في القرآن الكريم لأهداف شتى... منها إثبات صدق الوحي المنزل على رسول اللّه ﷺ)) (3).

و إثبات الوحي و صدقه هو إثبات للرسالة، و معنى هذا أنّ الدين بجميع عقائده و شرائعه و أحكامه، هو وحي من اللّه سبحانه و تعالى إلى أنبيائه و رسله.

و الأمر يكون أخص و أهم بالنسبة للرسول ﷺ ، فقد بيّن القرآن الكريم في بعض آياته أنّ القصص وحي من اللّه إلى النبي ﷺ، فالرسول ﷺ كان أميا لا يقرأ و لا يكتب ﴿و ما كنت تتلو من قبله من كتاب، و لا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون﴾ (4).

كما أنّه لم يجلس إلى أحبار اليهود أو رهبان النصارى ليسمع منهم أخبار و قصص الأولين، فمجيئه إذن بهذا القصص الرائع عن الأمم السابقة، و ما حلّ بهم، بدقة متناهية و إحكام كبير، دليل على صدق الوحي و صدق الرسول ﷺ ، قال تعالى :

﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن، و إن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ (5).

---

(1) – الشعراء 107 – 108

(2) – الأعراف 63

(3) – دراسات قرآنية : محمد قطب، دار الشروق، لبنان، 1983، ط4، ص 99.

(4) – العنكبوت 48

(5) – يوسف 03

﴿تلك من أنباء الرسل نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت و لا قومك من قبل هذا، فاصبر إنّ العاقبة للمتقين﴾ (1).

﴿كذلك نقص عليك كم أنباء ما قد سبق، و قد آتيناك من لدنا ذكرا، من أعرض عنه فإنّه يحمل يوم القيامة وزرا﴾ (2).

و في سورة آل عمران عند التمهيد لقصة مريم عليها السلام، و كيف إختصم فيها الملائكة أيهم يكفل مريم ؟ قال تعالى :

﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك و ما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم و ما كنت لديهم إذ يختصمون﴾ (3).

و لقد أراد المشركون زمن الوحي و هو يتنزل أن يعجزوا الرسولﷺ ببعض أسئلتهم عن أصحاب الكهف و ذي القرنين، و عن الرّوح، بعد أن أشار عليهم أحبار اليهود بأن يسئلوا الرسولﷺ هذه الأسئلة ليتحققوا من صدقه و صدق الرسالة، فنزل وحي و أنزل على نبيه قصة الكهف و قصة ذي القرنين في سورة الكهف، و بيّن له حقيقة الروح في سورة الإسراء.

جـ) - <u>الإشارة إلى وحدة الرسالات :</u>

هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم - خاصة في السور المكية - تشير و تقرر وحدة الرسالات و وحدة الدّين، سواء أكان ذلك من حيث المصدر الذي تلقت منه، أو المنهج الذي سارت عليه، أو الهدف و الغاية التي سعت لتحقيقها.

و الملاحظ أنّنا نجد هذا الغرض خاصة في قصص الأنبياء و المرسلين، فنجد عبارات مشتركة على لسان كل رسول، فكل رسول يقول الكلمة و يمضي، ثم يأتي من بعده نبي آخر فيقول نفس الكلمة دون تغيير.

و نجد كذلك يقال أن قوما كذّبوا المرسلين مع أنّه لم يرسل إليهم سوى رسولا واحدا، و هذا ايحاء من القرآن بأن تكذيب الرسول هو بمثابة تكذيب جميع الرسل.

لذلك نجد أنّ الإيمان بجميع الرسل دون تفرقة هو ركن من أركان الإيمان قال تعالى :

﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه و المؤمنون كل آمن باللّه و ملائكته و كتبه و رسله،

---

(1) - هود 49

(2) - طه 99 - 100

(3) - آل عمران 44

لا نفرق بين أحد من رسله، و قالوا سمعنا و أطعنا غفرانك ربنا و إليك المصير﴾(1)

﴿و الذين يؤمنون بما أنزل إليك و ما أنزل من قبلك و بالآخرة هو يوقنون﴾ (2).

﴿إنّ هذه أمتكم أمة واحدة و أنا ربكم فاعبدون﴾ (3).

و أنبياء اللّه جميعا دعوا قومهم إلى دين واحد هو الإسلام. قال تعالى :

﴿و وصّى بها إبراهيم بنيه و يعقوب، يا بني إنّ اللّه اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلاّ و أنتم مسلمون، أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبينيه ما تعبدون من بعدي ؟ قالوا نعبد إلهك و إله آبائك إبراهيم و إسماعيل و إسحاق إلها واحدا، و نحن له مسلمون﴾ (4).

و يوسف دعا ربّه ان يتوفاه مسلما فقال :

﴿ربّ قد آتيتني من الملك و علمتني من تأويل الأحاديث، فاطر السموات و الأرض، أنت ولي في الدنيا و الآخرة، توفني مسلما و ألحقني بالصالحين﴾ (5).

و نوح بيّن لقومه أنّه أمِرَ بأن يكون من المسلمين فقال :

﴿فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلاّ على اللّه و أمرت أن أكون من المسلمين﴾ (6).

و قال موسى عليه السلام لقومه توكلوا على اللّه إن كنتم مسلمين

﴿و قال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم باللّه فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾ (7)

و الحواريون أنصار عيسى عليه السلام شهدوا بأنهم من المسلمين

﴿فلمّا أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى اللّه ؟ قال الحواريون نحن أنصار اللّه، آمنا باللّه و اشهد بأنا مسلمون﴾ (8).

---

(1) – البقرة 285

(2) – البقرة 04

(3) – الأنبياء 92

(4) – البقرة 132 – 133

(5) – يوسف 101

(6) – يونس 72

(7) – يونس 84

(8) – آل عمران 25

و الرسولﷺ خاتم الأنبياء و الرسل أكدّ هذه الوحدة في بعض أحاديثه الصحيحة فقال ((مثلي و مثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه و جمّلهُ إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به و يعجبون له و يقولون : هلا وضعت هذه اللبنة !! فأنا اللبنة، و أنا خاتم النبيين)) (1).

و قال ((الأنبياء إخوة لعلات* أمهاتهم شتى و دينهم واحد)) (2).

و تتلخص أبرز مظاهر وحدة الرسالات فيمايلي :

• وحدة الوحي : فجميع الأنبياء تلقوا الوحي عن اللّه سبحانه و تعالى القائل ﴿إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح و النبيين من بعده﴾ (3)

• وحدة المنهج في أصوله من حيث أسلوب الدّعوة و سلوك الأنبياء ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾ (4)

• وحدة أحوال المكذبين و وحدة مصيرهم، فغالبا ما يكذّب القوم أنبيائهم قال تعالى ﴿يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون﴾ (5) و قال ﴿إن كل إلاّ كذب الرسل فحق عقاب﴾ (6)

فتكون النتيجة و المصير تدمير القوم المكذبين و نصر المؤمنين و سنرجع إلى هذه النقطة بالذات بمزيد من التفصيل في الفصل الأخير من هذا البحث إن شاء اللّه تعالى.

---

(1) – حديث رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين (64/7)، عن أبي هريرة رضي اللّه عنه مرفوعا إلى النبي ﷺ

* – العلات : الضرائر، و أولاد العلات : الإخوة من الأب و أمهاتهم شتى (لسان العرب : ابن منظور ج4، ص 3080)

(2) – رواه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان، باب و اذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت (142/4)

– و رواه أحمد في مسنده (437/2) عن أبي هريرة رضي اللّه عنه.

(3) – النساء 163

(4) – الأحقاف 35

(5) – يس 30

(6) – ص 14

د) تثبيت الرسول ﷺ و من معه من المؤمنين :

الدعاة و أتباعهم في أمس الحاجة إلى تثبيت من اللّه سبحانه و تعالى، لأنّهم يلاقون تكذيبا و اتهاما و أذى من طرف المدعوين و المنحرفين عن الصراط المستقيم، فلبد من صبر كبير، و قوة إرادة، و عزيمة نفسية لمواصلة السير في طريق الدّعوة إلى اللّه، قال تعالى :

﴿و لقد كذبت الرسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا، و أوذوا حتّى أتاهم نصرنا، و لا مبدل لكلمات اللّه، و لقد جاءك من نبأ المرسلين﴾ (1)

فالقصص القرآني و أنباء الأولين يأتي ليخفف الضغط النفسي عن النبي ﷺ و عن المؤمنين، فلقد كانوا يتأثرون بأقوال المعارضين و بسخريتهم و ضغوطاتهم العنيفة، و إبتعادهم عن الدّعوة الإسلامية، و عن الحق، و هذا جعل النبيﷺ يضيق صدره و يصيبه حزن كبير، قال تعالى :

﴿و لقد نعلم أنّك يضيق صدرك بما يقولون﴾ (2)

﴿و قد نعلم أنّه ليحزنك الذي يقولون فإنّهم لا يكذبونك و لكن الظالمين بآيات اللّه يجحدون﴾ (3).

و أحيانا لا يصل الضغط إلى حد التشويش النفسي، بل يتجاوز ذلك إلى درجة أنّ الرسولﷺ و من معه من المؤمنين قد يشكّون في دعوتهم و تسيطر عليهم خواطر و وساوس أعنف قال تعالى ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ (4).

﴿فلعلّك تارك بعض ما يوحى إليك و ضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنّما أنت نذير و اللّه على كل شيء وكيل﴾ (5)

---

(1) – الأنعام 34

(2) – الحجر 97

(3) – الأنعام 33

(4) – يونس 94

(5) – هود 12

و كاد الرسول ﷺ أن يترك الدّعوة و يترك قومه غضبا منهم مثل ما فعل يونس عليه السلام و هنا يقول له سبحانه و تعالى

﴿فاصبر لحكم ربك و لا تكن كصاحب الحوت إذ نادى و هو مكظوم لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء و هو مذموم﴾ (1).

و يريد اللّه سبحانه و تعالى أن يخفف عنه ﷺ و عن أتباعه حتى لا تتزلزل نفوسهم و تثبط عزائمهم فيتركوا الدّعوة الإسلامية، فيأتي القصص في مثل هذه الظروف ليثبت قلب النبي و قلوب المؤمنين، فيثبتوا و يصبروا و يواصلوا الدّعوة إلى اللّه حتّى النصر. قال تعالى في صريح الآية ﴿و كلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك و جاءك في هذه الحق و موعظة و ذكرى للمؤمنين﴾ (2).

((نقص عليك، على معنى : و كل نوع من أنواع الإقتصاص نقص عليك أي على الأساليب المختلفة و تثبيت الفؤاد : زيادة يقينية و ما فيه من طمأنينة قلب، لأن تكاثر الأدلة أثبت للقلب و أرسخ للعلم)) (3).

و قال الماوردي البصري (4)

(نثبت به فؤادك) أي نقوي به قلبك و تسكن إليه نفسك، لأنّهم بلوا فصبَروا، و جاهدوا فظَفِرُوا.

(و موعظة) يحتمل وجهين أحدهما القرآن الذي هو وعظ اللّه لخلقه، الثاني الإعتبار بأنباء من سلف من الأنبياء.

- فالقصص القرآني هة تثبيتٌ لفؤاد الرسول ﷺ و لأفئدة المؤمنين، و فيه موعظة للمؤمنين، و منه يأخذ الدعاة العلم الكثير و الأدلة القاطعة فما ينفعهم في السير بدعوتهم نحو الهدف، معتبرين في ذلك بأخلاق الأنبياء، و أساليبهم في دعوة قومهم، مستفدين من ردود أقوامهم، متيقنين من نصر اللّه.

---

(1) - القلم 48 - 49

(2) - هود 120

(3) - الكشّاف : محمد بن عمر الزمخشري، دار الكتاب الغربي، لبنان، ط3، 1987، ج02، ص : 439

(4) - النكت و العيون : تفسير الماوردي : لأبي الحسن علي بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق خَضْر محمد خِضْر، مرادعة عبد الستار أبو غدة، ط1، الكويت 1982، ص 243.

(و جاءك في هذه الحق) أي هذه النباء، و فيه وجوه، فمن قائل في هذه الدنيا، و من قائل في هذه السورة.

(و موعظة) يحتمل وجهين أحدهما القرآن الذي هو وعظ اللّه لخلقه، الثاني الإعتبار بأنباء من سلف من الأنبياء.

- فالقصص القرآني تَثبيتٌ لفؤاد الرسول ﷺ و لإفئدة المؤمنين، و فيه موعظة للمؤمنين، و منه يأخذ الدعاة العلم الكثير و الأدلة القاطعة فيما ينفعهم في السير بدعوتهم نحو الهدف، معتبرين في ذلك بأخلاق الأنبياء، و أساليبهم في دعوة قومهم، مستفدين من ردود أقوامهم، متيقنين من نصر اللّه.

هـ) <u>بيان موقف الأمم من الأنبياء و الرسل و مصيرهم</u> :

هذا الغرض من أغراض القصص القرآني تابع للغرض السابق، فاللّه سبحانه و تعالى حين يبيّن للمؤمنين من خلال القصص موقف الأمم السابقة من أنبيائهم، و يبيّن لهم أعمالهم الفاسدة و مكرهم بالمؤمنين يريد أن يوجه عواطفهم و مشاعرهم نحو الإستمساك بالدّين، و التضحية بالنفس و النفيس في سبيل هذه الدّعوة.

و هذه العواطف هي التّي تدفع بالمؤمنين إلى الثبات و الصبر، و مواصلة نشاطهم الدعوي.

و حين يبيّن القصص فساد مثلا قوم لوط، أو تطفيف الميزان بالنسبة لقوم شعيب، أو تكبر فرعون و قارون، فهو يكون عواطف قوية ضد كل مظاهر الفساد، فلقد كان المؤمنون مع الرسول ﷺ يرون كبراء قريش و هم يقترفون الفواحش، و يتعدون على النّاس، و يسفكون الدماء، تزعزعهم كل هذه المظاهر و تفتنهم، فيأتي القصص ليبين لهم أنّ الأنبياء جميعا قد كذبوا، و أنّ مصير المكذبين سيكون الهلاك، و النصر للمؤمنين.

قال تعالى :

﴿و كذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين و كفى بربك هاديا و نصيرا﴾ (1)

﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلاّ قالوا ساحر أو مجنون﴾ (2)

---

(1) - الفرقان 31

(2) - الذاريات 52

و كل الأقوام قابلوا أنبياءهم بالإستهزاء و السخرية و التكذيب. ففي قصة نوح عليه السلام ﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾ (1)

و في قصة هود ﴿قالوا يا هود ما جئتنا ببينة و ما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك و ما نحن لك بمؤمنين إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء﴾ (2).

و في صالح مع ثمود يقول ﴿قالوا يا صالح لقد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا و إننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب﴾ (3).

فيأتي في الأخير عقاب الله الحق و العدل الذي لا يظلم أحدا، قال تعالى ﴿و قارون و فرعون و هامان و لقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض و ما كانوا سابقين، فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبًا و منهم من أخذته الصيحة و منهم من خسفنا به الأرض و منهم من أغرقنا و ما كان الله ليظلمهم و لكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ (4).

---

(1) – هود 33

(2) – هود 53 – 54

(3) – هود 62

(4) – العنكبوت 39 – 40

المبحث الرابع : خلاصة العلاقة بين القصص القرآني و الدّعوة إلى اللّه

تتلخص علاقة القصص القرآني بالدّعوة إلى اللّه من خلال المباحث السابقة فيمايلي :

(1) – لاحظنا في التعريف اللّغوي لكلمة "قصص" أنّ التعاريف اللّغوية لهذه الكلمة تكاد تشترك في معان ثلاثة و هي :

أ) تتبع الأثر

ب) الدنو و الإقتراب

جـ) التبين أحسن البيان

و هذه المعاني لها علاقة بالدّعوة إلى اللّه، فتتبع أثر السابقين و الدنو منهم و التنقيب عن أحداثهم و التبين منها أحسن البيان، الغرض منه إعادة عرضها على النّاس و تذكيرهم بها ليكون منها عبرة و موعظة، و ليغرفوا من خلالها سنن اللّه تعالى في خلقه لأنّ ((أفضل الفوائد و أهم العبر في القصص هو التّنبيهُ على سنن اللّه تعالى في الإجتماع البشري، و تأثير أعمال الخير و الشر في الحياة الإنسانية)) (1).

و هذه الفائدة هي دعوة للنّاس ليلتزموا بالحق و إتباع الرسل كي لا يلحقهم ما لحق الأولين من العذاب و التدمير، و لكي يكونوا من الفائزين في الدنيا و الآخرة.

(2) – أمّا التعريف الإصطلاحي للقصص فيبيّن لنا العلاقة المباشرة بين القصص و الدّعوة إلى اللّه، فالقصص القرآني هو مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدّين و يرشد إلى الحق و يأمر بطلب النجاة (2)، و هو كذلك قطع من الحياة الماضية، استرجعها الوحي للتعليم و الإعتبار. (3)

(3) – في القصص القرآني ذكر لشخصيات كثيرة و متنوعة، و قَدْ تكون هذه الشخصيات إنسا و جنا و ملائكة و طيورا و حشرات، و القصص القرآني يُبرِزُ خاصة شخصية الأنبياء و الرسل و الصالحين، يبرز ما لهم من صفات جسدية أو نفسية أو عقلية أو أخلاقية و دعوية، تجعل القارىء و المستمع للقصص القرآني يلاحظ صوراً حية و حقيقية بإمكانه أن يعتبر منها بكل سهولة و يسر.

---

(1) – قصة التفسير : أحمد الشرباصي، دار الجيل، بيروت، ط3، 1988، ص 49

(2) – التفسير الكبير : الفخر الرّازي، ج 4 ، ص : 92

(3) – المحاور الخمسة للقرآن : محمد الغزالي، ص : 108

و هناك إبراز" كذلك لشخصيات أخرى من المدعوين مثل فرعون و هامان و آزر و ابن نوح و غيرهم، و هؤلاء يستطيع الدّاعية من خلال أحوالهم و نفسياتهم و دراسة أوضاعهم و ردودهم أن يستنتج قواعد في معاملة المدعوين كل حسب عقيدته و منصبه و أحواله.

و ذكر القصص القرآني في مواضع شخصية المرأة سواء أكانت مؤمنة أو كافرة و هو يبيّن بعض خصوصياتها التي ينبغي على الدعاة أن يميّزوها جيدا عن خصوصيات الرجال في الدّعوة و التأثير، فالمرأة مثلا تتأثر أكثر من الرجل بتحريك الجانب العاطفي فيها.

إنّ القرآن الكريم لم يهمل حتّى ذكر قصص بعض الحيوان، جعل منهم دعاة إلى الحق دخلوا التاريخ من بابه الواسع. ((يقدم لنا القرآن الكريم في قصص الأنبياء و الأولياء مجموعة من الحيوان الذي لعب دورا في التاريخ.

الغراب الذي بعثه اللّه لإبن آدم ليريه كيف يواري سوأة أخيه.

الطير التي ذبحها إبراهيم و فرقها على قمم الجبال، و بعثّها اللّه من الموت.

بقرة بني إسرائيل التّي أمر موسى بذبحها لكشف جريمة قتل غامضة.

الذئب الذي أتهم ظلما بإلتهام يوسف.

هدهد سليمان الذي أطلعه على نبأ بلقيس.

دابة الأرض التي أكلت عصا سليمان و هو ميت على كرسيه فخر عليه السلام على وجهه.

حمار عزيز الذي أماته اللّه مائة عام ثم بعثه أمام عيني صاحبه.

الحوت الذي ابتلع يونس في جوفه زمنا ثم قذفه إلى البر لأنّه كان من المسبحين.

كلب أهل الكهف الذي نام مع أصحاب الكهف ثلاثمائة عام و تسع سنوات.

نملة سليمان التّي نادت على النمل أن يدخل مساكنه حتّى لا يحطمنهم سليمان و جنوده و هم لا يشعرون.

فيل أبرهة الذي كان مكلفا بهدم الكعبة ثم سَمّرَهُ الخوف من اللّه تعالى في مكانه فلم يتقدم)) (1).

---

(1) – قصص الحيوان في القرآن : أحمد بهجت، دار الشروق، لبنان، ط2، 1992 م، ص : 07.

ابن كثير يقول في الهدهد أنّه كان داعيا إلى الخير و عبادة اللّه وحده و السجود له، لذلك نهى رسول اللّه ﷺ عن قتله. (1)

لقد كان الهدهد رئيس المخابرات في جيش سليمان عليه السلام، لأنّه كان ذكيا قادرا على تحصيل المعلومات و نقشها في ذاكرته و الإحتفاظ بها. (2)

إنّ استنتاج العبر و الفوائد و القواعد الدعوية من قصص الحيوان كبير"، خاصة من قصة الهدهد و النملة مع سليمان عليه السلام.

(4) - الزمان و المكان في القصص القرآني قليل التحديد و الضبط، و ذكر الزمان و المكان في القصص يأتي بالقدر الذي يتطلبه الهدف الدعوي، لذلك ينبغي الإجتهاد في دراسة و فهم الحكمة الدعوية من ذكر بعض الأزمنة و الأمكنة مثل قول نوح عليه السلام ﴿إنّي دعوت قومي ليلا و نهارا﴾ (3)، و لا شك أنّ تحديد زمان دعوة نوح لقومه يحمل معان و حكم و فوائد يجدر بِحَمَلَةِ الدّعوة إلى اللّه أن يلتفتوا إليها.

(5) - طريقة عرض القصص القرآني للأحداث تأتي بشكل تقريري تنتقل فيها الأحداث من مرحلة إلى مرحلة بحيث تلاحق كل قضية من قضايا الدّعوة إلى اللّه و تنسجم مع مستجداتها و أطوارها الجديدة، و هذا الأسلوب القصصي يجعل الداعية ينظر و يَتَتَبَعُ تغير الأساليب بتغير الأحوال و الظروف، و تكشف له عن السنن التي بثها اللّه سبحانه و تعالى في الخلق و الكون.

و نجد الحوار طريقة من طرق القصص في العرض، و الحوار يبسّط الفكرة للدّاعية، و يجسّد أمامه مواقف كل طرف من الأطراف (داعية، مدعوون، أساليب الدّعوة، و الوصول إلى النتائج).

(6) - القصص القرآني أقسام و ألوان، و لكل قسم و لون غاية و غرض دعوي، فقد تذكر معان مثلا في القصة المركزة، و تفصل في القصة المفصلة، و نجد جوانب دعوية في القصة الغيبية و لا نجدها في قصة السيرة النبوية، فحين يربط الدّاعية بين أقسام القصص القرآني و مواضعه تكتمل لديه الصورة حول موضوع الدّعوة إلى اللّه بكل أركانه و مجالاته و

---

(1) - تفسير ابن كثير : ج 5 ، ص : 231

(2) - قصص الحيوان في القرآن : أحمد بهجت، ص : 122، بتصرف.

(3) - نوح 06

أهدافه و أساليبه و متغيراته و ثوابيته.

(7) – القصص القرآني في أهدافه و أغراضه دعوي محض ((القرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، و القصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدّعوة و تثبيتها شأنها في ذلك شأن مشاهد القيامة و صور النعيم و العذاب... و قد خضعت القصة القرآنية في موضوعها، و في طريقة عرضها، و إدارة حوادثها لمقتضى الأغراض الدينية)) (1).

فالقصص القرآني كان يساير أحداث الدّعوة الإسلامية في العهد المكي و المدني، و هو بهذا يثبت الرسول ﷺ، و يُنيرُ لَهُ الطريق، و يكشف له ما جرى للأنبياء و الرسل من قبله و كيف عذبُوا و هاجروا، فصبروا على ما أصابهم، يكشف له عن عناد الخصم و مكرهم بالأنبياء و محاولة قتلهم، ((القصة تصور نواحي الحياة، لتعرض لك الأشخاص، و حركاتهم، و أخلاقهم و أفكارهم، و إتجاهات نفوسهم و بيئتهم الطبيعية و الزمنية، تعرض عليك أعمالهم و تصرفاتهم و نقاشهم، فإذا رأيت هذه التصرفات و الأعمال... عرفت ما يسكن في النفوس من طباع و ما يهجس فيها من خواطر، و إنشرح صدرك لأهل الخير منهم و ضقت ذرعا بذوي النفوس المظلمة)) (2).

(8) – في القصص القرآني نجد جميع أنواع مناهج الدّعوة إلى اللّه، نجد المنهج الفطري و العقلي، كما نجد المنهج العاطفي، و منهج الدعوة بالقدوة و غيرها، فالقصص القرآني في أسلوبه يخاطب الروح و النفس و العقل.

(9) – و من هنا يمكن أن نقول أنّ القصص في حدّ ذاته هو منهج من مناهج الدّعوة إلى اللّه و التربية، يمكن أن نطلق عليه إسم "المنهج القصصي في الدعوة و التربية".

((مما لا شك فيه أنّ القصة المحكمة الدقيقة تطرق المسامع بشغف، و تنفذ إلى النفس البشرية بسهولة و يسر، و تسترسل مع سياقها المشاعر فلا تملُّ و تكلُ، و يرتاد العقل عناصرها فيجني من حقولها الأزاهير و الثمار، و يستطيع المربي أن يصوغ القصص بالأسلوب الذي يناسب مستوى كل شخص)) (3).

---

(1) – التصوير الفني في القرآن : سيد قطب، ص : 143

(2) – تذكرة الدعاة : البهي الخولي، دار القرآن الكريم، لبنان، 1980، ص : 55.

(3) – الفرقان و القرآن : خالد عبد الرحمن العك، دار الحكمة للطباعة و النشر، ط1، 1994، ص 315.

الفصل الثالث

قواعد في الدّعوة و الدّاعية

المبحث الأول : العلم و الإدراك

المبحث الثاني : الإتصال بالله

المبحث الثالث : الأخلاق

المبحث الرابع : الصبر و الإستمرار في العمل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

القواعد الأساسية الأولى في البناء الدّعوي، قواعد تتعلق بالدّعوة و الداعية.

فلابدّ أن يدرك الدّاعية إلى اللّه جملة من الأمور تتعلق بالدّعوة إلى اللّه، فإدراكه و معرفته لهذه الأمور يُسَاعِدُهُ نفسيا على الثبات و الصبر و مواصلة الطريق، فهي زاد نفسي كبير يحتاج إليه الدّاعية، كأن يدرك أنّ موضوع دعوته هو الإسلام، و أنّ الدعوة واجب عليه، و هذا الوجوب و التكليف يفرض عليه علم ما يدعو إليه علما شاملا يقينيا لا ريب فيه و لاشك.

و قبل أن يتصل الدّاعية بالنّاس و المدعوين، عليه أن يتصل باللّه بشتى الطرق من عبادة و ذكر و دعاء، عليه أن يكون ذا أخلاق عالية، أخلاق تسهّل عليه الإتصال بالنّاس، عليه أن يصبر و أن يستمر في العمل دون إنقطاع، لأنّ إنقطاعه عن الدّعوة، و عدم إلتزامه بهذا الواجب يسبب له مشاكل و متاعب أخرى في حياته و تلك سنة اللّه في خلقه.

إنّه لا يمكن أن يُتَصَوَّرَ داعية قليل العلم، ضعيف الصلة باللّه، مهتز الأخلاق، لا ثبات و لا صبر له، لأنّ الداعية هو حجر الزاوية في البناء الدّعوي، بهذه الصفات القاعدية التي ينبغي أن يتصف بها، و إلاّ اهتزت قواعد الدّعوة إلى اللّه من أساسها الأول، و انهار بنيانها، فالأصل هو الدّاعية إلى اللّه و الفرع هو ما يتبع ذلك من بعد.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: العلم والإدراك.

1)- العلم المطلوب.

أول قاعدة من قواعد الدعوة إلى الله هي قاعدة العلم، وهي صفة من صفات الداعي إلى الله ((وهو الشخص المكلف شرعا بالدعوة إلى دين الله، وهو يحتاج إلى عدة تعينه على أداء هذا التكليف الشرعي، وتسهل عليه هذه المهمة العظيمة.)) (1).

والعلم الذي يحتاجه الداعية اليوم ثلاثة أقسام:

أ) العلم الشرعي، علم الكتاب والسنة وعلم بأصول الفقه وسائر العلوم الأخرى.

ب) أن يعلم الداعية المنهج التطبيقي للشريعة وأحكام الدين، وهم علم إنزال الأحكام على واقع الحياة.

ج) أن يزود نفسه بشتى أنواع الثقافات الأخرى، فهو يدعو المسلم وغير المسلم.

أ) ((والداعي إلى الله يترسم خطى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويخلفه في تبليغ دين الله عز وجل، وبناء على ذلك فلا بد من توخي الدقة في إصدار الأحكام، لتكون دعوته على بصيرة، وأحكامه متمشية مع الهدف المنشود، وهو إلتفاف الناس حول الدعوة، واستجابتهم لما يدعو إليه، وعدم نفورهم منه، وذلك يحتاج إلى معرفة أمور متعددة، تسعف الداعي في دعوته، وتسدده في أحكامه، منها ما يتعلق بمسلك الداعي، ومنها ما يتعلق بأسلوبه في الأداء، ومعرفته بما لابد منه، مما هو فرض، كأصول الفقه الذي قال عنه الرازي إن تحصيل هذا العلم فرض، والدليل عليه أن معرفة حكم الله تعالى في الوقائع النازلة بالمكلفين واجبة، ولاطريق إلى تحصيلها إلا بهذا العلم، وما لا يتأتى في الواجب المطلق إلا له - وكان مقلولا للمكلف - فهو واجب، ولكنه قرر أن تحصيله من فروض الكفايات.)) (2)

---

(1)- الدعوة إلى الله على بصيرة: عبد النعيم محمد حسنين، ص 65.

(2)- أصول الفقه وإصدار الأحكام الدقيقة في مجال الدعوة: عبد الرؤوف خرابشة ص2، بحث نشر بجامعة الأزهر بتاريخ 111/18)، وزع من طرف نادي محمد الغزالي.

"وبالنظر إلى حال الداعي إلى الإسلام في كل عصر، فإن موقفه مع الناس لا يختلف عن موقف النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس في دعوته من الفتوى والقضاء والجدل والمناظرة وغير ذلك، مما يتطلب منه ضوابط معينة تضبط مسلكه في كل هذه الأمور، إذ هو غير معصوم من الخطأ، وهذه الضوابط هي وسائل لتحقيق الهدف المنشود. فيقف أحيانا موقف المفتي ليبين أحكام الله تعالى، وعليه فينبغي أن يتعلم ما يوصله إلى تلك الأحكام واستنباطها من الدليل، وسوق الدليل والشاهد في المكان المناسب، والوقت على وجهه الصحيح، كما يتوصل إلى معرفة قياس الأمور والأشباه والنظائر.

ويقف أحيانا موقف الموجه والمربي، فيوجه المؤمنين إلى ما فيه خيرهم ونفعهم في الدنيا والأخرة، كما يؤصل فيهم حب الخير وفعله، وينأى عن الشر وأهله، ولا يكون ذلك إلا عن عم وبصيرة.

ويقف أحيانا موقف المناقش والمجادل حتى يظهر الحق ويبينه مع حاجة إلى قوة منطق وسداد حجة وبرهان، والعلم منقذا لهذا الموقف وركيزته لظهور الحق والغلبة له، لذلك يعتبر العلماء أن أصول الفقه ليس مقصودا لذاته، لأنه وسيلة إلى العلم بالأحكام الشرعية، والعلم بها واجب، وما هو وسيلة إلى الواجب فهو واجب.)) (1)

- والسلف الصالح من علماء ومشايخ كان يبكي أحدهم إذا جهل ولم يعرف مثلا من أمثال القرآن لأنه يقرأ قوله تعالى "وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون" (2).

((وضرب الأمثال، هو ضرب سام من فصيح الكلام جرى عليه القرآن الكريم لتأكيد معنى أو بيان غاية، وكان بعض السلف يبكي إذا قرأ مثلا لم يفهمه ويقول "لست من العالمين"، ولقد إشتمل القرآن على بضعة وأربعين مثلا فيما ذكر إبن القيم، ويقول إبن القيم الجوارية رحمه الله: وقع في القرآن الكريم أمثال لا يعقلها إلا العالمون، وفي قوله لايعقلها إلا العالمون، حث طلب العلم على معرفة أمثال القرآن وتعلمها، وتعريفي لمن لا

---

(1)- مدخل لإستخذام أصول الفقه في الدعوة إلى الله: عبد الرؤوف خرابشة، ص 5 - 6، بحث نشر بالأزهر بتاريخ 1991/04/02، وزع من طرف نادي الشيخ محمد الغزالي.

(2)- العنكبوت 43.

يعلم أمثال القرآن أن يكون من الجاهلين، وقد ذكر إبن القيم في بعض كتبه أن أحد المشايخ أبهم عليه أحد الأمثال أمثال القرآن، فبكى وقال: "ويحي أنني من الجاهلين" (1).

وهذا الكلام يبين لنا أهمية وضرورة معرفة شتى العلوم التي تتعلق بالشريعة والدين، والإجتهاد في الإحاطة بها.

ب) وبعد أن يكون الداعية إلى الله قد أحاط بعلوم الشريعة وأصول الدين، أي يكون قد ألم بمعرفة شاملة وجيدة بما يدعو الناس إليه وهو الإسلام، أحاط به فهما وعلما، ينبغي بعد ذلك أن يعرف المنهج التطبيقي لما يدعو إليه، أن يرتب قواعد منهجية في الوصول إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، وهو يحاول دائما أن يصل إلى كل الناس وأن يعرف كل المعطيات الجديدة في واقع حياة المسلمين. يقول الدكتور عبد المجيد النجار (2): ((إن الدعوة إلى تطبيق الشريعة والعمل من أجل ذبك ينبغي أن يستند إلى إجتهاد تطبيقي، يتأسس على قواعد منهجية تتصل بسالف من الأدب الأصولي الفقهي، وتثرى بخالف من أنظار أهل الذكر في هذا المجال، تستجيب للمعطيات الجديدة في واقع المسلمين.))

وقد حاول الدكتور عبد المجيد النجار أن يبين هذا المنهج التطبيقي مستندا في ذلك إلى أصول الشريعة ومقاصدها، مبينا المدلول العام والشمولي للشريعة الذي يشمل الفرد والحياة والطبيعة، والإسلام لم يحث المسلمين على طلب العلم والحكمة بعد الإيمان، إلا ليتقدموا وليرتفعوا ولينفعوا غيرهم، وذلك بدعوتهم بالحكمة والمنطق والعقل.

((ولا يصح العلم في ميزان الإسلام إلا إذا قام على الإيمان، ويكون أساس العلم هو العلم بمنهاج الله قرآنا وسنة، عندئذ يصبح العلم عنصرا يقدم المؤمن ويرفعه ويزكيه وينفعه.)) (3).

---

(1)- الأمثال في القرآن الكريم، إبن قيم الجوزية، تحقيق سعيد محمد نمر الخطيب، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط1983 2، ص 164 - 173.

(2)المنهج التطبيقي للشريعة الإسلامية: عبد المجيد النجار دار النشر الدولي، الرياض، ط1994 1، ص 13.

(3)- منهج المؤمن بين العلم والتطبيق: عدنان علي رمضان النحوي، دار الشهاب الجزائر، ص 157.

- والمنهج القرآني لايبني أحكامه ودعوته على الظن والوهم، أو الهوى، بل يؤسسها على علم ويقين، ولن يستطيع الداعية أن يطبق ما يدعو إليه في واقع الناس إلا بعلم ويقين، "ويكره القرآن الكريم من الناس أن يمارسوا حياتهم على أساس من الظن والوهم، أو على أساس من الهوى والغرض، ويجبلهم دائما أن تقوم الممارسة على أساس من العلم والمعرفة، وعلى أساس من الحق والعدل، وكان القرآن الكريم يأخذ على المعارضة التي تقوم بوضع العقبات في سبيل الدعوة الإسلامية، أنها إنما تفعل ذلك أساس من الظن الذي لا يثبت أبدا أمام العلم، قال تعالى "إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى" (1) " إن الذين لا يؤمنون بالأخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى، وما لهم به من علم أن يتبعون إلا الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئا."(2).

والعلم لا يكون إلا بالعقل لذلك نجد علماء الأصول "أصول الفقه" إشترطوا في التكليف بالواجب، البلوغ والعقل، والبلوغ دليل على الإكتمال، والعقل هو أداة التحصيل العلمي، فليس هناك تكليف بدون علم." (3).

فالدعوة الإسلامية تبنى على العلم وبه تقوم الحضارة، وليس هناك دين أو مذهب أو عقيدة حثت على العلم كالدين الإسلامي، "لم أجد دينا من الأديان يحض على العلم ويطوي فضائله كالإسلام، ولم تقم حضارة مرتكزة على العلوم كالحضارة الإسلامية، التي ساهم في بنائها علماء من المسلمين وغير المسلمين ممن دخلوا في الإسلام، أو بقوا على دينهم كالنصارى واليهود... وفي ثلاثمائة وخمسين أية قرأنية سمى الله نفسه عليما وأشاد بالعلم وفضل العلماء."(4)

ج) وينبغي على الداعية أن يتزود بشتى أنواع الثقافات الأخرى، فهو في حاجة ماسة إليها في العصر الحديث، حتى يتمكن من أداء الأمانة على أحسن وجه، ويصل إلى الهدف المطلوب بأيسر الطرق وفي أوجز الأوقات، وهو يعلم أن في هذا العالم الواسع

---

(1)- النجم 23.

(2)- النجم 27 - 28.

(3)- رؤيا إسلامية لقضايا تربوية: سعيد إسماعيل علي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1993 1، ص 268 - 269.

(4)- مع القرآن في الدين والدنيا: هشام قبلان، منشورات عويدات بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص 22 - 23.

أناس في حاجة إلى معرفة الإسلام، فيجب عليهم أن يدعوهم، وأن يناقشهم ويحاورهم، وإذا إقتضى الأمر أن يناظرهم، وهو لايستطيع ذلك إلا إذا تزود بثقافة كبيرة ومتنوعة، يقول الدكتور يوسف القرضاوي (1):

"ولقد تبين لي أن الداعية في حاجة إلى مجموعة من الثقافات هي:

1- الثقافة الإسلامية
2- الثقافة التاريخية
3- الثقافة الأدبية واللغوية
4- الثقافة الإنسانية.
5- الثقافة العلمية.
6- الثقافة الواقعية.

والمطلوب من الداعية الناجح أن يتمثل هذه الثقافات ويهضمها ويكون منها مزيجا جديدا نافعا أشبه شيئ بالنحلة التي تأكل من كل الثمرات، سالكة سبل ربها، لتخرج منها بعد ذلك شرابا مختلف ألوانه، فيه شفاء للناس، كما أن فيه أية لقوم يتفكرون."

والعلم يسبق أي عمل خاصة بالنسبة للداعية، وقد أشار إلى هذا الدكتور عبد الكريم زيدان في كتابه (أصول الدعوة) فقال:

" والواقع أن تقديم العلم على أي عمل ضروري للعامل حتى يعلم ما يريد ليقصده ويعمل للوصول إليه، وإذا كان سبق العلم لأي عمل ضروريا، فإنه أشد ضرورة للداعي إلى الله، لأن ما يوم به من الدين منسوب إلى رب العالمين، فيجب أن يكون الداعي على بصيرة وعلم بما يدعو إليه وشرعية ما يقوله ويفعله ويتركه، فإذا فقد العلم المطلوب واللازم له كان جاهلا، بما يريده ووقع في الخبط والخلط، والقول على الله ورسوله بغير علم، فيكون ضرره أكثر من نفعه وإفساده أكثر من إصلاحيه، وقد يأمر وينهى عن المعروف لجهله بما أحله الشرع ولوجبه وبما منعه وحرمه، فيجب إذن لكل داع إلى الله تعالى:

---

(1)- ثقافة الداعية: يوسف القرضاوي، مطبوعات الإتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، ص 09.

العلم بشرع الله وبالحلال والحرام، وبما يجوز وما لايجوز، وبما يسوغ فيه الإجتهاد وما لايسوغ، وما يتحمل وجهين أو أكثر وما لا يتحمل، والعلم ما قام عليه الدليل الشرعي من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أومن أدلة الشرع الأخرى، وعلى المسلم أن يستزيد من هذا العقلم الشرعي النافع ليعرف موضوع دعوته وليكون فيها على بصيرة وبينة فلا يأمر إلا بالحق ولا ينهى إلا عن باطل." (1).

2) شواهد من القصص القرآني:

وفي القصص القرآني شواهد على أهمية العلم للداعية، ومدى قيمته نجدها في قصة آدم عليه السلام، وفي قصة سليمان وداوود عليهما السلام، وهي جلية أكثر في قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح الخضر الذي كان أعلم من موسى، فوجب على موسى وهو نبي أن يتبعه كي يزداد علما بما لايعلم.

وقبل أن أتطرق إلى هذه النماذج من القصص القرآني أقول: أن الإنسان بالعلم يكون إنسانا وبدون علم ينحدر إلى درجة الحيوان، إن الإنسان بالعلم والوحي يرتفع إلى درجة النبوة والرسالة، فيكون الداعية إلى الله على بصيرة فيرفعه الله إلى درجة عليين والإنسان العالم لايستوي أبدا مع الإنسان الجاهل "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب." (2)

- ونجد في القصص القرآني قصة ذلك الرجل الذي قيل فيه أنه من بني إسرائيل، وقيل أنه نبي، وقيل أنه رجل صالح أتاه الله علما فعلمه إسمه الأعظم، لكن الرجل إنسلخ واتبع طريق الشيطان، فخرج عن آيات الله، فحق عليه بذلك أن ينزل إلى درجة الحيوان، فشبهه سبحانه وتعالى بالكلب، قال الله تعالى:" واتل عليهم نبأ الذي أتيناه أياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، ولو شئنا لرفعناه بها، ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بأياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون." (3).

---

(1)- أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان، دار الوفاء المنصورة، بغداد 1987، ط2، ص 326.

(2)- الزمر 09.

(3)- الأعراف 175 - 176.

يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واتل عليهم على قومك نبأ الذي أتيناه أياتنا يعني خبره وقصته، وكانت أيات الله التي أتاه الله إياها فيما يقال: إسم الله الأعظم، وقيل النبوة، واختلف أهل التأويل فيه، فقال بعضهم هو رجل من بني إسرائيل، وأما قوله "فانسلخ منها" فإنه يعني خرج من الآيات التي كان الله أتاها إياه فتبرأ منها وبنحو ذلك قال أهل التأويل...فقال إبن عباس: إنسلخ منها قال نزع منه العلم، وقوله فاتبعه الشيطان، فصيره لنفسه تابعا ينتهي إلى أمره في معصية الله، ويخالف أمر ربه في معصية الشيطان وطاعة الرحمان، وقوله فكان من الغاوين يقول فكان من الهالكين لضلاله وخلافه أمر ربه وطاعة الشيطان.

ولكنه أخلد إلى الأرض: يقول سكن إلى الحياة الدنيا في الأرض ومال إليها وآثر لذتها وشهواتها على الآخرة، واتبع هواه ورفض طاعة الله وخالف أمره.

ولو شئنا لرفعناه بها، أنه لو شاء رفعه بأياته التي أتاه إياها والرفع يعم معاني كثيرة منها الرفع في المنزلة عنده، ومنها الرفع في شرف الدنيا ومكارمها ومنها الرفع في الذكر الجميل والثناء الرفيع، وجائز أن يكون الله عز وجل كل ذلك أنه لو شاء لرفعه فأعطاه كل ذلك بتوفيقه للعمل بأياته التي كان أتاه إياها.

فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، يقول تعالى" مثل هذا الذي أتيناه آياتنا فانسلخ منها مثل الكلب الذي يلهث طردته أو تركته، ثم إختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله جعل الله مثله كمثل الكلب، فقال بعضهم مثله به في اللهث لتركه العمل بكتاب الله وأيات الله التي أتاه إياها وإعراضه عن مواعظ الله... فأقصص يامحمد، هذا القصص الذي قصصت عليك من نبأ الذي أتيناه أياتنا وأخبار الأمم التي أخبرتك أخبارهم في هذه السورة، وقصصت عليك نبأهم ونبأ أشباههم وما حل بهم من عقوبتنا... ليتفكروا في ذلك فيعتبروا وينيبوا إلى طاعتنا لأ لا يحل مثل الذي حل بمن قبلهم من النقم. ويتدبره اليهود من بني إسرائيل فيعلموا حقيقة أمرك وصحة نبوتك، إذ كان نبأ الذي أتيناه أياتنا من خفي علومهم ومكنون أخبارهم لايعلمه إلا أخيارهم، ومن قرأ الكتب والدرسها منهم وفي علمك بذلك وأنت أمي لاتكتب و لا تقرأ و لا تدرس الكتب

ولم تجالس أهل العلم الحجة البينة لك عليهم بأنك لله رسول وأنك لم تعلم ما علمت من ذلك، وحالة الحال التي أنت بها إلا بوحي من السماء."(1)

د) وفي قصة سجود الملائكة لآدم، الساهد الأولى على ضروة العلم وأن الإنسان لم يكرم إلا بالعلم، فآدم وحواء بدأ حياتهما في الأرض على حالة من العلم والنور، فقد تعلم كل شيئ، علمه الله سبحانه تعالى منهج الحياة وكيف يتعامل مع كل المخلوقات، وكأن العلم فطرة في الإنسان فطره الله عليها، "خلق الله آدم عليه السلام وأهله بالعلم لقيادة المخلوقات، إذا ما سار على منهج خالقه سبحانه وتعالى، منهج التفكير والتلقي من الله، وقد ظنت الملائكة أن مصدر الخلق التمايز هو أصل المفاضلة، فرد الله عليهم حجتهم وبين أن أساس التكريم ما أتاه الله سبحانه وتعالى من علم... وعلى أساس هذا التكريم طلب الله من الملائكة السجود لآدم، فكانت إجابتهم الفورية بالسجود."(2)

" سجدوا لآدم، فاعترفوا بفضله وأقروا بأنه خير منهم مقاما، وأقرب منهم إلى الله مكانا، ولعلهم قد ظنوا أنهم ربما كانوا أغزر منه علما، وأكثر منه دراية وفهما، لذلك أتاه الله من علمه وأفاض عليه من نوره وعلمه أسماء الكائنات كلها، ثم عرض هذه الكائنات على الملائكة فقال "أنبئوني بأسملا هؤلاء إن كنتم صادقين."(3)، ليظهر عجزهم ويستبين قصور علمهم...

فأقروا بعجزهم واعترفوا بقصور علمهم "قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم." (4)

أمر الله آدم أن ينبئهم بما عجزوا عن معرفته، بيانا لفضله، وإظهار الحكمة إستخلافه، فأخبرهم خليفة الله بما عجزوا عنه فناداهم ربهم "ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون." (5)))(6)

---

(1)- تفسير الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت 1978م، مجلد 5، ج7، ص 82 - 88.

(2)- في موكب النبيين: سيد أحمد الكيلاني، دار القلم الكويت، ط1، 1984، ج1، ص 35 - 36 - 37.

(3)- البقرة 31.

(4)- البقرة 32.

(5)- البقرة 33.

(6)- قصص القرآن: علي محمد البجاوي، دار الرائد العربي، لبنان 1986م، ص 08.

" سر تفوقه وتكريمه إنما كان بفضل ما أتاه الله من العلم والمعرفة، وفسر العلماء الأسماء التي تعلمها آدم عليه السلام، بأنها مسميات ما في الكون من مخلوقات ومعالم سماوية وأرضية، ومسميات بكل ما يلزمه من ضروريات حياته من مأكل ومشرب وملبس ومسكن وطرق إعدادها، والإنتفاع بخواص الأشياء المحيطة به من نبات وحيوان وجماد للإنتفاع بها في تعامله معها واستخدامه لها." (1)

* وفي قصة سليمان بين الله سبحانه وتعالى أن العلم فضل مبين على الأنبياء، وأن الأنبياء لا يورثون أبنائهم شيئا سوى العلم، والعلم وسيلة إلى هداية الناس، والتأثير عليهم، قال الله تعالى: "ولقد آتينا داوود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين، وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيئ، إن هذا لهو الفضل المبين." (2)

وابن كثير يرى أن سليمان ورث أباه داود في الملك والنبوة أي العلم ولم يرثه في المال فيقول ((ورثة في النبوة والملك، وليس المراد ورثه في المال، لأنه قد كان له بنون غيره، فما كان ليخص بالمال دونهم، ولأنه قد ثبت في الصحاح من غير وجه عن جماعة من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((نحن معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا فهو صدقة)) (3).

فأخبر الصادق المصدوق أن الأنبياء لا تورث أموالهم عنهم كما يورث غيرهم، بل تكون أموالهم صدقة من بعدهم، على الفقراء والمحاويج لا يخصون بها أقربائهم، لأن الدنيا كان أهون عليهم وأحقر عندهم من ذلك.)) (4).

---

(1)- قصص الأنبياء والرسل: محمد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي مصر، ط1، 1988م، ص 27.

(2)- النمل 15 - 16.

(3)- حديث أخرجه البخاري في كتاب الخمس، باب فرض الخمس (41/4).

وأخرجه مسلم في كتاب المغازي، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "لا نورث ما تركنا فهور صدقة" (153/5).

- أبو داود الخزاج والإمارة والفيئ، باب في صفايا * رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأموال (139/3)، كلهم عن الزهري عن عروة عن عائشة عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه مرفوعا.

* وصفايا: جمع صفى، وهي الأموال والأراضي التي أفاء الله بها على رسوله، مما لا يوجف المسلمون عليها بخيل و لا ركاب من الأموال، (كما جاء في كتاب بذل المجهود في حل أبي داود، خليل أحمد الشهازنفوري، دار اللواء الرياض، ج13، ص 251.)

(4)- قصص الأنبياء: أبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، مكتبة دار الثقافة عمان الأردن، ط3 1993، ص 432.

- وفي نفس القصة إستطاع الإنسان بفضل العلم الذي أوتي أن يصنع ما عجزت عنه الجن أو أن يكون أسرع من العفريت، ذلك لما طلب سليمان من جنوده أيهم يأتيه بعرش بلقيس، "قال ياأيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتون مسلمين، قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك، وإني عليه لقوي أمين، قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك، فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر، ومن شكر فإنما يشكر لنفسه، ومن كفر فإن ربي غني كريم." (1)

فهذا الذي أوتي علما من الكتاب هو الذي سبق العفريت، "والمشهور أنه آصف بن برخيا وهو إبن خالة سليمان، وقيل هو رجل من مؤمني الجان، كان فيما يقال "يحفظ الإسم الأعظم، وقيل رجل من بني إسرائيل من علمائهم." (2)

ـ وفي نفس القصة نرى أن العلم هو سبيل للتأثير، ولرجوع الملوك والحكام الشاردين والغافلين وعبدة الشمس إلى الله رب العالمين، قال تعالى" قيل لها أدخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة، وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح من القوارير قالت رب إني ظلمت نفسي.." (3)

وفي قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، نجد هذا النبي والرسول عليه السلام، وهو أولى العزم من الرسل، كيف يتعب ويهاجر ويسير بحثا عن رجل صالح هو أعلم منه كي يزداد علما، ويتعلم من هذا الرجل، ولا يقول أنا يوحى إلي، وحسب بعض روايات المفسرين أن الله سبحانه وتعالى هو الذي أمره بذلك ودله على من هو أعلم منه بعد أن أغر موسى وظن أنه لا يوجد رجل فوق هذه الأرض أعلم منه، فالداعية إلى الله ينبغي أن يتواضع دائما للناس ولا يغتر، ويأخذ العلم ممن أعلم منه، مهما كان ذلك الشخص، قال تعالى "فوجدا عبد من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما، قال له موسى هذا أتبعك على أن تعلمني مما رشدا ؟ قال إنك لن تستطيع معي صبرا، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا، قال ستجدني إن شاء الله صابرا و لا أعصي لك أمرا، قال فإن تبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا." (4)

---

(1)ـ النمل 38.

(2)ـ المرجع السابق ص 439.

(1)ـ النمل 44.

(4)ـ الكهف 65 ـ 70.

فموسى عليه السلام ((تلطف في القول وتجمل بأحسن ما وهبه الله من أدب الحديث، وفضل التواضع وقال: هل تأذن أيها العبد الصالح لرجل جاهد في سبيل لقائك، ولقي العناء حتى أصاب موضعك أن تفيض عليه من علمك، وأن تقبسه شيئا من هديك على أن يكون الدعاة أمام العلماء ومن هو أعلم منهم "وقد إستدل العلماء بسؤوال موسى السبيل إلى لقاء الخضر على استحباب الرحلة إلى طلب العلم، واستحباب الإستكتار منه، وأنه يستحب للعامل وإن كان من العلم بمحل عظيم أن يأخذه ممن هو أعلم منه ويسعى إليه في تحصيله، وفيه فضيلة طلب العلم، وفيه الحث على التواضع في العلم، ولا يدعي الإنسان أنه أعلم الناس، وفيه وجوب التسليم لكل ما جاء به الشرع وإن كان بعضه لا يظهر حكمة للمعقول و لايفهمه أكثر الناس)) (1)

وهذه القصة طويلة ومفصلة في سورة الكهف يمكن الإستفادة منها أكثر بالرجوع إلى كتب التفسير.

3)- <u>الإدارك.</u>

من العلم أن يدرك الداعية إلى الله جملة من الأمور تكون له زاد ووقودا وسندا نفسيا يشجعه على مواصلة الطريق والسير بالدعوة إلى آخر المطاف، وهذه الأمور تتعلق بشأن الدعوة وقيمتها وعظمتها، وبقيمة الداعية وعلو شأنه فهو خليفة الأنبياء والرسل، ونوجزها بما يلي:

أ) الدعوة إلى الله مهمة الرسل، وهي أفضل وظيفة فوق الأرض، والآيات القرآنية التي توضح هذا المعنى كثيرة، قال تعالى: "ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين." (2)

" هذا حبيب الله هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحا في إجابته، وقال إنني من المسلمين، هذا خليفة.... ويرسم ربنا سبحانه صورة الداعية إلى الله ويصف روحه ولفظه، وحديثه وأدبه وأسلوبه في دعوته الخيرة

---

(1)- قصص القرآن: محمد أحمد جتد المولى، مكتبة دار الثقافة عمان الأردن، ط1992 1، ص 140.

(2)- فصلت 33.

النيرة، ويوجه إليها رسوله الحبيب العظيم إمام الدعاة وسيدهم، وقائدهم، محمدا عليه الصلاة والسلام، وكل داعية إلى الله من أمة محمد منذ أن بعثه الله لهذه الدعوة المباركة إلى أن يرث الأرض ومن عليها، فالنهوض بأمر الدعوة أو بواجب الدعوة إلى الله أمر عظيم جليل لا تتحمله إلا النفوس الكبيرة فهو أمر شاق ومرهق ومتعب ويجهد ولكنه في نفس الوقت أمر كبير وله شأن عظيم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، إن كلمة الدعوة هي اشرف وأفضل وأنبل وأحسن كلمة تقال في الأرض وتصعد في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء" (1)

"وطريق الخلاص واحد هي طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لا طريق لإعادة دين الله إلى الأرض، إلا بنفس الطريق التي سلكها الأنبياء جميعا عليهم الصلاة والسلام بدعوة الناس إلى عبادة الله وحده." (2)

فالأنبياء جميعا أمروا بتبليغ الرسالة وقد بلغوها، فنوح قال لقومه: "أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم." (3)، وهود قال: "أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين." (4)، ثم يأتي الرسول صلى الله عليه وسلم فيؤمر بالتبليغ "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته." (5)

أفيقوم صلى الله عليه وسلم بالمهمة، فيصفه القرآن الكريم بهذا اللقب لقب "الداعي" "يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه سراجا منيرا" (6)

وهذا دليل على علو شأن الداعي، ولبغ الرسول، وشهد الله له بقيامه بمهمة الدعوة أحسن قيام فقال "وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم" (7)

---

(1)- بين الرعاة والدعاة، مكتبة رحاب الجزائر 1986، ص 14 - 15.

(2)- الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية: صادق أمين، عمان 1978، ص 39.

(3)- الأعراف 62.

(4)- الأعراف 68.

(5)- المائدة 76.

(6)- الأحزاب 45 - 46.

(7)- المؤمنون 73.

"ولا معذرة للداعية إذا قصر في البلاغ ولقد نبه الله تبارك وتعالى نبيه إلى محل هذا في قوله "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس، إن الله لا يهدي القوم الكافرين."(1))) (2).

فينبغي على الداعية أن يبلغ وأن يوصل رسالته إلى المدعوين دون تحريف أو تغيرر أو كتمان.

- والدعاة إلى الله هم أولو بقية قليلون يأمرون بالمعروف وينهون عن الفساد، قال تعالى "فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجيناهم، واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين. (3)

فينبغي أن تبقى "ضمائر حية، وعقول نيرة، وعقائد جازمة راسخة، ودعوات قوية مؤثرة، والعمدة على خلفاء الأنبياء عليهم السلام، وعلى حملة الرسالة ومشاعل النور، ليس من الغريب أن يمرض الإنسان، الغريب هو فقدان الطبيب" (4)

والطبيب هو الداعية يداوي الناس في كل زمان وفي كل مكان يحمل رسالة ربه، ولا يخشى في الله لومة لائم.

ب) أن يدرك الداعية أن مصدر الدعوة هو القرآن وأن موضوعها هو الإسلام:

فالقرآن الكريم هو مصدر الدعوة إلى الله منه يأخذ الداعية إلى الله أخلاقه وزاده، ومنه يقتبس مناهج الدعوة إلى الله وأساليبها، ومنه يعرف حال المدعوين، من خلال أحوالهم في الأمم السابقة، وبه ينذر ويذكر ويبشر قال تعالى:

"كتب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين." (5)

"و أوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ" (6)

" وهذا الكتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا" (7)

---

(1)- المائدة 67 - 68.

(2)- قواعد الدعوة إلى الله: همام عبد الرحمان سعيد، دار الشهاب الجزائر، 1983م، ص 33.

(3)- هود 116.

(4)- أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين: أبو الحسن علي الحسني الندوي، مؤسسة الإسراء الجزائر، ط3، ص 52.

(5)- الأعراف 2.

(6)- الأنعام 19.

(7)- الأحقاف 12.

والإسلام هو موضوع الدعوة إلى الله، الإسلام بمفهومه الشامل الذي ينفع الناس في شؤون دنياهم وأحزانهم، به يعيشون وعليه يموتون، وقد بين سبحانه وتعالى أن الإسلام والدعة إليه هي الحياة، وهي النجاة، وهي السلام والهدى والصراط المستقيم قال تعالى:

" يا أيها الذين آمنوا إستجيبوا لله ولرسوله إذا دعاكم لما يحييكم." (1)

" ويا قوم مال أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار، تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار." (2)

" والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم." (3)

ج) يدرك أن الدعوة واجب عليه:

يرى أغلب الدعاة أن الدعوة إلى الله واجب على كل مسلم مكلف شرعا، وخاصة على أولائك الذين يعملون في حقل الدعوة. "فالعمل للإسلام واجب مبدأ لأنه مناط تكليف الله للبشر جميعا.. للأنبياء والمرسلين أولا، ثم للناس أجمعين حتى يرث الله الأرض ومن عليها." (4)

ويرى فتحي يكن، أن العمل للدعوة واجب على كل مسلم حتى تقوم دولة الإسلام، وأن الدعوة "فريضة عين على كل مسلم حتى يتحقق وجود هذه الدولة، كما يصبح المتخلفون عن ذلك آثمين شرعا، ولا يرفع الإثم عنهم سوى نهوضهم بتبعات الدعوة إلى الإسلام وإسهامهم الفعلي في حدود طقاتهم وإمكانياتهم." (5)

ـ والحقيقة أن الدعوة إلى الله واجب عيني على الدعاة والعلماء وحملة الرسالة فقط، وواجب كفائي في حق سائر المسلمين والخلاف واقع بسبب أراء العلماء والمفسرين في "من" في الأية الكريمة "ولتكن منهم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولائك هم المفلحون." (6)

---

(1)ـ الأنفال 24.

(2)ـ غافر 41 ـ 42.

(3)ـ يونس 25.

(4)ـ ماذا يعني إنتمائي للإسلام: فتحي يكن، دار الراية للنشر تونس، ج2، ص 21.

(5)ـ كيف ندعو إلى الإسلام: فتحي يكن، مؤسسة الرسالة لبنان، ط1980 4، ص 16.

(6)ـ آل عمران 104.

فالذين يرون أن من بيانية وليست للتبعيض يقولون أن الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل الأمة وعلى كل مكلف، أما الذين يرون أن "من" للتبعيض فيقولون أن الدعوة لا تجب إلا على العلماء، ويبدو أن أدلة هذا الفريق راجحة وهو ما أميل إليه، والله يقول:" وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون." (1)

فالتكليف موجه إلى طائفة من المؤمنين وهم العلماء والفقهاء لينذروا ويبلغوا. (2)

- ويذهب إبن تيمية إلى هذا الرأي أي أن الدعوة واجبة على العلماء والفقهاء فقط فهي لا تجب على كل أفراد الأمة، لكن كل فرد يجب عليه أن يبلغ ما يعلمه للأقرب فالأقرب، يقول بن تيمية في الدعوة " الواجب واجب على مجموع الأمة، وهو الذي يسميه العلماء فرض كفاية، إذا قام به طائفة منهم سقط عن الباقين، فالأمة كلها مخاطبة بفعل ذلك ولكن إذا قامت به طائفة سقط عن الباقين... وهي تجب فرض الكفاية، لاوجوب فرض الأعيان كالصلاة، بل كوجوب الجهاد." (3).

---

(2)- التوبة 122.

(3)- التفسير الكبير: الفخر الرازي، المجلد 4، ص 181 - 182.

(3)- الفتاوي: إبن تيمية، ج15، ص 165 - 167، ج20، ص 08.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: الإتصال بالله.

1ـ طرق الإتصال بالله.

الإتصال بالله هي القاعدة الثانية التي يرتكز عليها الداعية إلى الله في دربه الطويل والشاق، وفي طريقه المملوء بالمحن والمواجهات والتحديات، فينبغي أن يكون على صلة دائمة بالله سبحانه وتعالى ليأخذ الزاد الكافي لمواصلة الطريق. وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي ذر الغفاري زاد الدعاة، وكيف يتصلون بالله سبحانه وتعالى فقال له: ((صم يوما شديد الحر ليوم النشور، وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور... وحج حجة لعظائم الأمور... تصدق على مسكين... وقل كلمة حق وأمسك عن كلمة باطل)) (1)

ـ والداعية إلى الله لايمكن أن يصل إلى هدفه وأن يتقدم في عمله إلا إذا اعتمد على الإتصال بالله فقدمه على سواه من الأخلاق والأعمال.

يقول أبو الأعلى المودودي ((الإتصال بالله والتقرب إليه مقدم على سواه في العبادة، وخشية الله في السر والعلانية، مقدم على سواه في المعاملات والأعمال، وبالجملة فإن صلاح حياتنا إنما هو منحصر في أن لايكون مقصودنا وراء كل ما يبذل من الجهود والمساعي إلا إبتغاء مرضاة الله، ولاسيما هذا الأمر ـ أي أمر الدعوة إلى الله ـ فإنه لا يمكن أن يتقدم ويؤتي ثمراته إلا باعتمادنا على الإيمان.))(2).

والإتصال بالله يكون بطريقتين:

أ) التأمل والتفكر في خلق الله، وهو الجانب النظري يصل به الإنسان إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، لذلك نجد أنبياء الله ورسله إستعملوا أسلوب لفت الأنظار والعقول إلى عظمة الله عن طريق النظر في مخلوقاته من سموات وأرض وغيرها، وسنرى ذلك بنوع من التفصيل في الفصل الرابع في مبحث خاص بهذا الأسلوب في الدعوة إلى الله عز وجل، قال تعالى:" قل أنظروا ماذا في السموات والأرض" (3)

""كذلك يبين الله لكم الأيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة" (4)

ب) طريق العمل والتطبيق ويتمثل في العبادة والدعاء الحقيقي والذكر والشكر والتوبة، العبادة بمفهومها ومعناها الحقيق الشامل الذي ينبغي على الداعية أن يضعه نصب عينيه فكل

---

(1)ـ تهذيب تاريخ دمشق: لإبن عساكر، (359/1)

(2)ـ تذكرة دعاة الإسلام: أبو الأعلى المودودي، دار القرآن الكريم، ط1، 1983، منشورات الإتحاد العالمي للمنظمات الطلابية ص 43 ـ 44.

(3)ـ يونس 101.

(4)ـ البقرة 219 ـ 220.

حركة للداعية هي عبادة لله "قل إن صلاتي نسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين." (1)

"العبادة هي العبودية معنى وحقيقة، أنت عبد والله معبودك، فكل ما يأتي به العبد في طاعة معبوده هو العبادة... فإذا عاملت الناس، ومشيت في الأسواق، وعاشرت أباك وأمك وإخوتك وأهلك، وجالست أصدقاءك وذوي قرباك مراعيا في كل ذلك أحكام ربك وقوانينه، وأديت إلى كل ذي حق حقه لأن الله قد أمرك بأدائه، وما بخست أحدا من حقه لأن الله نهاك عن ذلك فقد قضيت حياتك هذه كلها في عبادة الله تعالى... هذه هي العبادة وهذا هو معناها الحقيقي وما غرض الإسلام إلا أن يجعل الإنسان يعبد الله مثل هذه العبادة في كل حين من أحيانه وقد إفترض عليه لهذا الغرض مجموعة من العبادات المفروضة، إلا بمثابة التربية للعبادة الكبيرة المنشودة)) (2). والداعية إلى الله إلى جانب أداء الفرائض والأركان والواجبات فهو يتقرب إلى الله بالسنن والنوافل والرواتب، فقد جعل الله سبحانه وتعالى لكل فريضة سنة وسنن تقابلها، فللحج عمرة، وللزكاة صدقة، وللصوم صيام التطوع والمواسم، وللصلاة نوافل ورواتب. والله سبحانه وتعالى فرض على الرسول صلى الله عليه وسلم في بداية الدعوة قيام الليل، فكان يقومه هو وأصحابه، وبين له الغاية والهدف من قيام نصف الليل تقريبا، فهو أشد وطأ وأقوم قيلا، وإلى جانب هذا القيام فإن له في النهار سبحا طويلا، وذكرا كثيرا، قال تعالى: "يا أيها المزمل، قم الليل إلا قليلا، نصفه أو انقص منه قليلا، وزد عليه ورتل القرآن ترتيلا، إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا، إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا، إن لك في النهار سبحا طويلا، واذكر إسم ربك وتبتل إليه تبتيلا، رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا." (3)

"إن قيام الليل والناس نيام، والإنقطاع عن غبش الحياة اليومية وسفاسفها والإتصال بالله، وتلقي فيضه ونوره والأنس بالوحدة معه والخلوة إليه، وترتيل القرآن والكون ساكن، وكأنما هو يتنزل من الملأ الأعلى وتتجاوب به أرجاء الوجود في لحظة الترتيل بلا لفظ بشري و لاعبارة، واستقبال إشعاعاته وإيماءاته وإيقاعاته في الليل الساجي... إن هذا كله هو الزاد لاحتمال القول الثقيل والعبء الباهظ والجهد المرير الذي ينتظر الرسول صلى الله عليه وسلم، وينتظر من يدعو بهذه الدعوة في كل جيل أو ينير القلب في الطريق الشاق الطويل، ويعصمه من وسوسة الشيطان ومن التيه في الظلمات الحافة بهذا الطريق المنير." (4)

---

(1)- الأنعام 162 - 163.

(2)- مبادئ الإسلام: أبو الأعلى المودودي، ص 128 - 129 - 130.

(3)- المزمل 1 - 9.

(4)- في ظلال القرآن: سيد قطب، مجلد 06، ص 3745.

- فالإتصال بالله وذكره وتسبيحه هو الزاد الأبدي للدعاة به يزدادون ثقة وطمأنينة وسكينة، قال الله تعالى ﴿الذين آمنوا تطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (1)، ﴿يا أيها الذين آمنوا أذكروا الله ذكرا كثير وسبحو بكرة وأصيلا، هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجوكم من الظلمات﴾ (2).

- فالشيطان عدو الإنسان يريد أن يبعده عن ذكر الله وعن الإتصال به، ليزرع في نفسه الخوف والفزع، وليحرك فيه الوساويس والهواليس ((وذكر الله يبعث على الشجاعة والجرأة والإقدام لأنه يشعر المؤمن بأن الله معه... هذا الشعور من شأنه أن يولد في النفس من القوة والطاقات ما يدفع بصاحبه لمواجهة كل التحديات ومجاوزة كل العقبات بكل ثقة واطمئنان)) (3)

لهذا أمرنا الله عز وجل بأن ندعوه مخلصين له الدين، فهو قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، والذين لا يتصلون بالله و لا يرفعون يديهم إليه ويتضرعون له هم من المستكبرين عن عبادة الله، قال تعالى:﴿وقال ربكم أدعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ (4) ﴿قل أمرني ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين﴾ (5).

﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني فليستجيبوا لي ويؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾ (6).

وأنبياء الله ورسله كانوا يدعون الله سبحانه وتعالى رغبا ورهبا، وكانوا له خاشعين، كانوا يدعونه رغبا في رحمته وفضله ورهبا من عذابه وعقابه بتركهم عبادته، قال تعالى ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾ (7)، وسنرى في المطلب الموالي كيف أن أغلب الأنبياء دعوا الله والتجأوا إليه حين نتطرق إلى إتصال الأنبياء بالله بالدعوة والعبادة والشكر والتوبة والذكر وغيرها من طرق الإتصال بالله.

---

(1)- الرعد 28.

(2)- الأحزاب 41 - 42 - 43.

(3)- قوارب النجاة في حياة الدعاة: فتحي يكن، دار الشهاب باتنة الجزائر، ص 125 - 126.

(4)- غافر 60.

(5)- الأعراف 29.

(6)- البقرة 186.

(7)- الأنبياء 90.

- الحديث النبوي الشريف يبين لنا مكانة الدعاء عند الله عز وجل ومن العبادة يقول صلى الله عليه وسلم ((الدعاء مخ العبادة)) (1).

- ((ليس شيء أكرم على الله من الدعاء)) (2)، وجعل الله سبحانه وتعالى الشكر له من عبادته فنجد كثيرا من آيات القرآن تربط بين الشكر والعبادة، وشكر الله سبحانه وتعالى يتجلى في شهوده ومعرفته في النعمة وآلائه، ويتجلى كذلك في حبه وحمده والثناء عليه، ولا يتحقق الشكر إلا إذا صرف المرء النعم فيما ينفعه وينفع غيره ونعم الله التي تستوجب الشكر كثيرا، فهناك نعمة الغذاء والأكل، ونعمة الماء والهواء ونعمة الليل والنهار، وباختصار نعمة الوجود والخلق والإمداد بوسائل الإدارك، قال تعالى ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ (3)، ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون﴾ (4)، ﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾ (5).

﴿ فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون﴾ (6)

﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة أن آشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد﴾ (7)

---

(1)- حديث رواه الترمذي في أبواب الدعوات (125/5)
عن أبن لهيعة عم عبيد الله بن أبي جعفر، عن أبان بن صالح، عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: الدعاء مخ العبادة، قال الترميذي:هذا الحديث غريب من هذا الوجه لانعرفه إلا من حديث إبن لهيعة.

(2)- رواه الترميذي في كتاب الدعوات مرتين (125/5)، ورواه إبن ماجة في كتاب الدعاة (1258/2)، كلاهما عن عمران القطان عن قتادة، عن سعيد بن أبي الحسن البصري عن أبي هريرة قال الترميذي: غريب لا نعرفه إلا من رواية عمران القطان.

(3)- النحل 78.

(4)- البقرة 172.

(5)- البقرة 152.

(6)- النحل 114.

(7)- لقمان 12.

فوجب على لقمان أن يشكر لله لما ىتاه الله من الحكمة والعلم فهو عبد صالح مرتبط بالله سبحانه وتعالى، والشكر هو خلق وصفة من صفات الأنبياء، قال تعالى ﴿إن إبراهيم كان أمة قنوتا لله حنيفا ولم يكن من المشركين شاكرا لأنعمه إجتباه وهداه إلى صراط مستقيم﴾ (1).

﴿ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا﴾ (2).

وقد شكر سليمان عليه السلام ربه وعلم أن النعم التي أنعمها الله عليه إنما هي إبتلاء له لينظر سبحانه وتعالى أيشكر أم يكفر، ﴿قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر﴾ (3)، ﴿فتبسم ضاحكا من قولها وقال ربي ﴿أوزعني أن اشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وادخلني ربرحمتك في عبادك الصالحين﴾ (4).

- فكفران النعمة وعدم الشكر والجحود ونكران الجميل شر ما يبتلى به العباد، وعاقبته تكون العذاب والتدمير، قال تعالى ﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان، فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف لما كانوا يصنعون، ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون﴾ (5)

وذكر القصص القرآني قصة سبأ الذي انعم الله عليها بجنتين وطلب منها الشكر وعدم الكفر ولكنهم كفروا بأنعم الله فأرسل عليهم واديا مملوء بالماء فأغرق ديارهم وأهلك حرثهم واشجارهم وبدلوا بالغنى فقرا، قال تعالى ﴿لقد كان لسبأ في مساكنهم أية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة وربا غفورا، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيلا العرم وبدّلناهم بجنتيهم جنتين ذوتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازى إلا الكفور﴾ (6)

---

(1)- النحل 121.

(2)- الإسراء 8.

(3)- النمل 40.

(4)- النمل 19.

(5)- النحل 111 - 112.

(6)- سبأ 14 - 18.

والداعية إلى الله وهو يسير في طريق الدعوة قد يغفل عن الذكر وعن الشكر بل إنه قد يقع في معصية من المعاصي فلا يرجع إلى الله بتوبة وندامة فكل إبن آدم خطاء، والمؤمن قد يقع في الأخطاء فهنا عليه أن يرجع فورا إلى الله تعالى القائل ﴿وتوبوا إلى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ (1).

﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا ﴾ (2).

وآدم عليه السلام رجع إلى الله بالدعاء والتوبة ﴿وعصى آدم ربه فغوى ثم إجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ (3)

2) - إتصال الأنبياء والرسل بالله

الأنبياء والرسل كانوا على صلة دائمة بالله سبحانه وتعالى عبادة وذكرا ودعاء وشكرا وتوبة وإنابة، هذا ما سنبينه من خلال حياة بعض الأنبياء وقصصهم في القرآن الكريم.

أ)- وصف الله سبحانه وتعالى عبادة داود الذي كان يسبح الله تعالى بالعشي والإشراق، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتخذه أسوة وقدوة له فقال ﴿واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق والطير محشورة كل له أواب﴾ (4)

وقال: ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا ياجبال أوبي معه والطير ﴾ (5)

- فالآيات تبين لنا أن داود كان قويا في دينه كثير التسبيح والذكر إلى درجة أنه أثر في الجبال والطير، فكانت تسبح بتسبيحه وقد كان كثير الصلاة والصوم يصوم يوما ويفطر يوما.قال الزمخشري (6)((دا الأيد" ذا القوة في الدين المضطلع بمشاقه وتكاليفه كان على نهوضه بأعباء النبوة والملك يصوم يوما ويفطر يوما وهو أشد الصوم ويقوم نصف الليل "أواب" رجاع إلى مرضاة الله... "كله أواب" كل واحد من الجبال والطير لأجل داود ولأجل تسبيحه المسبح لأنها كانت تسبح بتسبيحه))

---

(1)- النور 31.

(2)- التحريم 8.

(3)- طه 121.

(4)- ص 17 - 19.

(5)- سبأ 10.

(6)- تفسير الكشاف: محمود بن عمر الزمخشري، ج4، ص 77 - 78 - 79.

- وكان سليمان عليه السلام الذي ورث اباه داود يدعو الله عز وجل وهو يشكره ان يهديه إلى العمل الصالح وأن يغفر له وأن يدخله برحمته في عباده الصالحين، قال تعالى على لسان سليمان ﴿ربي أوزعني أن اشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ (1)

﴿ قال ربي اغفرلي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب﴾ (2)

ب) نجد في قصة شعيب أن القوم قد لاحظوا مدى تاثير الصلاة على شعيب وأتباعه، لاحظوا ذلك في سلوكه وأخلاقه وعبادته وكيف كانت تعصمه من الفحشاء والمنكر وترفعه إلى العالم العلوي، فقالوا له ﴿ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾ (3)

- وكان شعيب عليه السلام يدعو الله عز وجل أن يفتح بينه وبين قومه بالحق، وأن يحكم بينهم بالعدل فيقول ﴿وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا، ربنا إفتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين﴾ (4)

ج) إبراهيم عليه السلام كان كثير الدعاء والعبادة وقد بيّن الرسول صلى الله عليه وسلم فيما ذكرنا أن الدعاء مخ العبادة، فالدعاء مظهر من مظاهر الإيمان والإنقياد والعبودية، والداعية إلى الله لا يطلب مغانم مادية أو منزلة دنيوية وإنما يدعو الله أن يعينه على أداء تكاليف دعوته، وأن يزيده من فيض إيمانه وأن يهدي قومه وأقاربه، هذا ما كان يدعو به إبراهيم عليه السلام ربه في اعلى صور السمو الروحي، قال ﴿ربي هب لي حكما والحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لأبي إنه كان من الضالين و لاتخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ (5)

---

(1)- النمل 5.

(2)- ص 35.

(3)- هود 87.

(4)- الأعراف 89.

(5)- الشعراء 83 - 89.

فإبراهيم يدعو ربه أن يهبه حكما وفي نفس الوقت أن يلحقه بالصالحين ليكون حاكما عادلا لا يظلم احدا وأن يلحقه بالصالحين ليكون من أصحاب جنة النعيم، وأن لايخزيه يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وفي صورة البقرة يدعو إبراهيم وإسماعيل ربهما فيقولان ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، ربنا وابعث رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم.﴾ (1)

فهما يدعوان الله عز وجل أن يجعلهما وذريتهما من المسلمين، ويعلمهما طريقة العبادة وأداء النسك، وأن يتوب عليهما، ثم يدعوان الله أن يبعث في ذريتهم نبيا ورسولا يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ليكونوا من الناجين في الدنيا والآخرة.

- وقد إستجاب الله دعاءهما فبعث الرسول صلى الله عليه وسلم من ذريتهما، قال صلى الله عليه وسلم "أنا دعوة إبراهيم وبشارة عيسى"(2)

- وفي دعاء آخر قال إبراهيم ﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير، ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم﴾ (3)

﴿ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا﴾ أي لاتنصر الكافرين علينا فيكون ذلك فتنة لنا في الدين، أو لاتمتحنا بأن تعذبنا على ايديهم، وقال مجاهد: ((المعنى لا تهلكنا بأيدي أعدائنا ولا تعطبنا بعطاب من عندك)) (4)

---

(1)- البقرة 128 - 129.

(2)- حديث رواه أحمد في المسند (127/4) و(128/4).

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، ذكره أبو جرير الطبري في تفسيره ج1. ص 435، عن العرباض بن سارية، ذكره القرطبي في أحكام القرآن عن خالد بن معدان ج2، ص 131، ذكره السيوطي في الذر المنثور ج1، ص 139.

(3)- الممتحنة 5 - 6.

(4)- تفسير القرآن الكريم (إعرابه وبيانه): محمد علي طه الدرة، دار الحكمة، بيروت ط1، 1990، المجلد 14، ج28، ص 492.

وقال بن جزي الكلي: ((في معناه قولان، أحدهما لاتنصرهم علينا فيكون ذلك لهم فتنة وسبب ضلالهم لأنهم يقولون غلبناهم فيكون ذلك لهم لأنا على الحق وهم على باطل، والآخر لا تسلطهم علينا فيفتنونا عن ديننا ورجح بن عطية هذا لأنه دعاء لأنفسهم وأما عن القول الأول فهو دعاء للكفار)) (1)

د) نوح عليه السلام بعد أن دعا قومه زمنا طويلا وصبر عليهم وعلى إعراضهم رجع إلى الله واشتكى إليه واستغاث به وقال إني دعوت قومي إلى الإيمان وترك عبادة الأصنام. دعوتهم بأساليب مختلفة، دعوتهم ليلا ونهارا سرا وجهارا، دعوتهم ليستغفروا ربهم ويتوبوا إليه ، فأصَروا على الإعراض وتكبروا تكبرا عظيما، ﴿قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي إلا فرارا وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا إستكبارا، ثم إني دعوتهم جهار ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرار، فقلت إستغفروا ربكم إنه كان غفار يرسل السماء عليكم مدرار ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهار.﴾ (2)

لقد سأل نوح عليه السلام الله سؤالا كان ينبغي أن لا يسأله إياه، وقال له سبحانه وتعالى ﴿فلا تسألن ما ليس لك به علم﴾ (3)

فرجع نوح يدعو ربه المغفرة والرحمة فقال ﴿رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين﴾ (4)

- وأخيرا دعا نوح ربه بأن يغفر له ولوالديه لومن دخل بيته مؤمنا فقال ﴿رب غفرلي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا﴾ (5)

---

(1)- تفسير كتاب التسهيل لعلوم التنزيل: ، محمد بن أحمد بن جزي الكلي الغرناطي، تحقيق: محمد عبد المنعم اليونسي إبراهيم عطوة عوض، دار أم القرى مصر، ج4، ص 210.

(2)- نوح 5 - 12.

(3)- هود 46

(4)- هود 47

(5)- نوح 28.

يقول الشيخ محمد بن عالم الأيديني (1)

((قوله (ولو الدي) وكانا مؤمنين.

وقيل لم يكن بين آدم ونوح عليهما السلام من آبائه كافر وكان بينهما عشرة أباء.

وقوله ﴿ولمن دخل بيتي مؤمنا﴾ أي منزلي وسفينتي "مؤمنا" بهذا القيد خرج إبنه وإمرأته الكافرة، ولكن لم يجزم عليه السلام بخروجه إلا بعد ما قيل له ﴿إنه ليس من أهلك﴾ (2)

وقوله ﴿وللمؤمنين والمؤمنات﴾ إلى يوم القيامة)).

هـ) وللتوبة والإستغفار اثر كبير في حياة الناس، لذلك نجد صالحا عليه السلام يقول لقومه ، ﴿وإلى ثمود أخاه صالحا قال: ﴿ياقوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب﴾ (3)

وهود عليه السلام قال: ﴿ياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرار ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين﴾ (4)

و) ولنا عبرة كبيرة في زكريا عليه السلام الذي بلغ الشيخوخة والكبر والهرم ولم يكن يأمل في أن يكون له ولد وقد بلغ هذه الدرجة من السن وإمرأته عاقر، لكنه حين رأى مريم وهي تعبد الله في المحراب وهو يرزقها رزقا دعا ربه أن يرزقه ولدا يكون له خليفة في دعوة الناس إلى العمل الصالح قال تعالى:﴿ ... كلما دخل عليها زكرياء المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب، هنالك دعا زكريا ربه قال: رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء﴾ (5)

---

(1)- تفسير الدعوات المباركات من القرآن الكريم: محمد بن عالم الأيديني، حققه: محمد علي الصابوني، مكتبة رحاب الجزائر، ط2، 1989، ص 26.

(2)- هود 46.

(3)- هود 61.

(4)- هود 52.

(5)- آل عمران 37 - 38.

فاستجاب الله لدعائه وأرسل إليه ملائكة تبشره بأن الله سيهب له ولدا إسمه يحي نبيا من الصالحين، ﴿فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحي مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين﴾ (1)

- ونلاحظ في الاية السابقة أن مريم عليها السلام كانت إمرأة عابدة لا تغادر المحراب فأكرمها الله إكراما ورزقها رزقا فولدت عيسى عليه السلام دون أن يمسسها بشر وفي قصتها وقصة عيسى وقصة زكرياء ويحي وإمرأة عمران عبرة كبيرة نأخذها من إتصالهم بالله وعبادتهم إياه، وصبرهم على العبادة والولد.

ز) وفي قصة يونس عليه السلام نرى كيف انه لجأ إلى الله عز وجل وتضرع اليه وهو في بطن الحوت وقال ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾ (2)

فلأن يونس كان عابدا وذاكرا ومسبحا إياه نجاه من الغم ولو لم يكن كذلك للبث في بطن الحوت إلى يوم يبعثون، فالتسبيح هو سبب نجاته، قال تعالى ﴿فلولا أنه كان من المسبحين لبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾ (3)

---

(1)- آل عمران 39.

(2)- الأنبياء 87 - 88.

(3)- الصافات 143 - 144.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: الأخلاق.

1- الأخلاق أساس الحياة والكمال

تأتي الاخلاق كثمرة من ثمار الايمان والاتصال بالله وعبادته فالداعية إلى الله يحتاج كل فضيلة وخلق حسن، يحتاج كل خلق من أخلاق القرآن الكريم، والرسول صلى الله عليه وسلم كان خلقه القرآن، لكن هناك أخلاق تعتبر قواعد اساسية للداعية يستطيع بها أن يسهل على نفسه عملية الإتصال بالمدعوين، فبدونها لا يمكن للداعية أن يقوم بعملية الدعوة إلى الله ولو أوتي بقية الأخلاق الأخرى، وهذه الخلاق هي افخلاص، الأمانة والصدق، التواضع، الحياء الحلم، الرحمة، التسامح.

- وأنبياء الله ورسله كانوا ذوي أخلاق عالية جعلت منهم أصحاب قوة وحياة وكمال. ((فكلما كانت هذه الأخلاق في صاحبها أكمل كانت حياته أقوى وأتم، ولهذا كان خلق الحياء مشتق من الحياة إسما وحقيقة، فأكمل الناس حياة أكملهم حياء، ونقصان حياء المرء من نقصان حياته، فإذا الروح إذ ماتت لم تحصر بما يؤلمها من القبائح فلا تستحي منها، فإن كانت صحيحة الحياة أحست بذلك فاستحت منه وكذلك سائر الأخلاق الفاضلة والصفات الممدودة التابعة لقوة الحاية، وضدها من نقصان الحياة ولهذا كانت حياة الشجاع اكمل من حياة الجبان، وحياة السخي أكمل من حياة البخيل وحياة الفطن الذكي أكمل من حياة القدم البليد، ولهذا فلما كان الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أكمل الناس حياة حتى أن قوة حياتهم تبلي أجسامهم، كانوا أكمل الناس في هذه الحياة ثم الأمثل فالأمثل من أتباعهم.)) (1)

- إن الله عز وجل قد فرض علينا عبادات لم يكن فرض منها سوى تقويم الأخلاق فلا مانع لحركات يؤديها الإنسان إن لم تأتي ثمارها، فالعبادات هي تعويد للمرء ان يحي الأخلاق الصحيحة وأن يبقى مستمسكا بهذه الأخلاق مهما كانت الظروف، لهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)) (2)

---

(1) مدارج السالكين: إبن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفيقى، دار الكتاب العربي لبنان، ج3، ص266.

(2) حديث رواه الإمام مالك في الموطأ بلاغا، باب ما جاء في حسن الخلق (ص 651)، وأحمد في المسند (381/2). والبيهقي في كتاب الشهادات باب مكارم الأخلاق (192/10).

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله "إنما..."

فكأن الغاية الأساسية من بعثته هي إتمام الأخلاق.

ولننظر إلى الحكمة من فرض العبادات نجدها أخلاقية بحتة، الغرض منها تقويم سلوك الإنسان في حياته اليومية والواقعية، قال تعالى في الصلاة ﴿وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ (1)

- والزكاة هي تطهير للإنسان وتزكية لأخلاقه تجعله بعلاقاته وألفته للطبقات الإجتماعية الأخرى، قال تعالى ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾ (2)

- والصوم عبادة يمنع الإنسان نفسه فيها من كل شهوة ليصل إلى درجة المتقين قال تعالى ﴿يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ (3)

والحج جعله الله سبحانه وتعالى زاد للتقوى يمتنع فيه المؤمن عن الجدال والفسوق الرفث ﴿الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولاجدال في الحج وما تعملوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب﴾ (4)

- فالعبادة والذكر هي الطريق إلى الأخلاق الفاضلة ومن لم يصل بعبادته إلى اسمى درجات التقوى والأخلاق فلا عبادة له، والداعية لن يفلح في تغيير المجتمع والتأثير فيه إلا بالأخلاق ((إن أكبر واجب ومهمة في هذا العصر هو إحياء الإخلاص والأخلاق وتجديدهما وأكبر وسيلة للحصول عليهما هو الحب والطريق إلى الحب هو الذكر والصحبة وعشرة عباد الله الصالحين والعارفين... هكذا الأخلاق فلا يتصور حياة متزنة نجح بغيرها، ولاتفلح محاولة إجتماعية بدونها فإن من أهم هذه الأذكار والأشغال التي توارثها القوم من صحبة الشيوخ والرياضات والمجاهدات لتقويم الأخلاق وإزالة الرذائل وبعبارة اصح، تزكية النفس، فلا تكفي الأذكار والأشغال مطلقا وإنما إصلاح الأخلاق واجب يلزم على كل سالك)) (5)

---

(1)- العنكبوت 45.

(2)- التوبة 103

(3)- البقرة 183.

(4)- البقرة 197.

(5) ربانية لارهبانية: أبو الحسن الندوي، مؤسسة الإسراء ط6، الجزائر، ص 40-41

2- أخلاق الإتصال بالمدعوين

أخلاق الإتصال بالمدعوين هي:

الإخلاص، الأمانة والصدق، التواضع، الحياء، الحلم، الرحمة، التسامح.

أ) - **الإخلاص**: هو أساس كل الأعمال والأفعال والأقوال والنيات، فهو فعل الطاعة أو ترك المعصية إبتغاء وجه الله عز وجل، وقد أمر الله عز وجل فقال: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين الدين﴾ (1)، والداعية إلى الله يبتغي وجه الله عز وجل في كل حركة من حركته، فهو رجل كامل الإيمان، فبالإخلص يكون كلامه حلو طيبا مقبولا، عند جميع المدعوين، يصل إلى قلوبهم ويؤثر فيهم، وبدون إخلاص يكون كلامه ثقيل على المدعوين، لايتجاوز آذانهم، بل إن الإخلاص ((يحي موات الأعمال وينقفع الروح في الجهود الإصلاحية والكفاح افسلامي يملؤه قوة وأملا ونشاطا وعزا، فنرجع الروحانية إلى العبادات ويرجع النور إلى العلم، وترجع القوة والبركة إلى التعليم والتدريس ويرجع التاثير إلى الخطابة والوعظ ويرجع القبول والقوة إلى الدعوة والإصلاح ويرجع الأثر المسلوب والجمال المحجوب إلى الكتابة والتأليف ويعود التوفيق والنجاح وحسن العاقبة إلى الجهود السياسية والتنظيمية ويعود الوئام والإنسجام إلى الأواصر والعلاقات وتعود الوحدة الضائعة)) (2)

وقد وصف الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم انبياءه لهذا الخلق فقال: ﴿ واذكر في الكتاب موسى إذ كان مخلصا وكان رسولا نبيا﴾ (3)

وقال في يوسف: ﴿ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾ (4)

وقال في إبراهيم والإسحاق ويعقوب ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار إن أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾ (5)

---

(1)- البينة 5.

(2)- ربانية رهبانية: أبو الحسن الندوي، ص 40 - 41.

(3)- مريم 51.

(4) يوسف 24.

(5)- ص 45 - 47

وبالإخلاص يقهر الداعية الشيطان فلا يستطيع أن يوسوس له ولا أن يقترب منه،فالمخلصون بعيدون كل البعد عن إغواء الشيطان قال تعالى: ﴿قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾ (1)

هذا هو الإخلاص فهو حصن للداعية من الشيطان وهو طريق الوصول السريع إلى قلوب الناس، وهو ضمان للثبات والنجاح والفلاح في الدنيا والآخرة، يقول الإمام الشهيد حسن البنا ((وأريد بالإخلاص أن يقصد الأخ المسلم بقوله وعمله وجهاده كله وجه الله وابتغاء مرضاته وحسن ممثوبته من غير نظر إلى مغنم أو مظهر أو جاه أو لقب أو تقدم أو تأخر)) (2)

ب) **الأمانة والصدق**: يكون الداعية إلى الله آمينا بيقظة ضميره ويصون حقوق الله ويحمل الدعوة ويصون حقوق المدعوين، ويحرص على الدعوة ولا يفرط فيها ويكون صادقا بأن يقول للناس الحق، ويبعد عنهم الأوهام والأكاذيب ويحارب الظنون ويستمسك بالتبين ((وقد يتعرض الداعي إلى الحق إلى محاولات من جانب المعارضين له لحمله على التغيير فيما يعرضه من مبادئ أو لحمله على إغفال بعض هذه المبادئ في حديثه عن دعوته عندما يواجههم ملوحين له أنهم بذلك التغيير أو بهذا الإغفال يكونون أقرب إلى دعوته والنظر فيها ثم قبولها.... إن أهم ما يجب أن يتصف به الداعي إلى الحق هو الأمانة فيما لديه من رسالة تعهد بتبليغها ونشرها ولاينقص ولا يزيد فيها كلمة، فضلا على أن لا يغض الطرف عن مبدا فيها لم يبلغه أو على أن يستبدله أو يستبد حتى يصبح نشازا فيها)) (3)

- فالمدعوون وأتباع الداعية إذ رأوا شيئا من هذا القبيل أنفضوا عنه وتركوه ولن يسمعوا له قولا بعد هذا، فالأمانة والصدق متلازمان، فالأمين صادقا والصادق أمينا، وقد إتصف النبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثته بهذه الصفة، حتى لقب بالصادق الأمين، ورغم ذلك كانت له صلى الله عليه وسلم صعوبة في الإتصال بالمدعوين، فقد كذبوه واتهموه بالجنون وبالسحر وبالكذب.

---

(1) الحجر 39 - 40.

(2)- مجموعة رسائل الإمام الشهيد : حسن البنا، دار الشهاب، القاهرة، ص11 - 12.

(3)- الدين والدولة: محمد البهي، دار الفكر، بيروت، ط1 1971م، ص 572 - 573 - 574.

ـ فقد أكد جميع الأنبياء والرسل لأتباعهم أنهم رسل مبلغون وأمناء، قال تعالى ﴿كذبت قوم نوح المرسلين إذ قالت لهم أخوكم نوح ألا تتقون إني لكم رسول أمين﴾ (1)

﴿كذبت عاد المرسلين إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون إني لكم رسول أمين﴾ (2)

﴿كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون إني لكم رسول أمين﴾ (3)

﴿كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين﴾ (4)

﴿كذبت أصحاب الأيكة المرسلين إذ قال لهم أخوهم شعيب ألا تتقون إني لكم رسول أمين﴾ (5)

وقالت بنت شعيب له حين نامت أن يكون موسى زوجا لها، ﴿إستأجره إن خيرا من إستأجرت القوي الأمين﴾ (6)

والصدق يكون صدقا في النية والإرادة والعزم، صدقا في القول والعمل، صدقا في الوفاء بالعهد الذي عاهد عليه الداعية الله سبحانه وتعالى ومن المؤمنين رجالا لا شك سيصدقون الله ما عاهدوه عليه إلى أن نهاية حياتهم.

ج) ـ **التواضع**. تواضع الداعية هو لين الجانب، والبعد عن الإغترار بالنفس. وهو تكليف للنفس أن يضعها دون منزلتها التي تستحقها وهو كذلك الخضوع للحق وقبوله من أي كان، ولو كان من صغير أو جاهل. (7)

---

(1)ـ الشعراء 105 ـ 106 ـ 107.

(2)ـ الشعراء 123 ـ 124 ـ 125.

(3)ـ الشعراء 141 ـ 142 ـ 143.

(4)ـ الشعراء 161 ـ 162.

(5)ـ الشعراء 176 ـ 177 ـ 178.

(6)ـ القصص 26.

(7)ـ أخلاق القرآن: أحمد الشرباصي، دار الرائد العربي، لبنان، ط1 1981م، ج1، ص 660

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والداعية سيلقى اصنافا من الناس يختلفون في أوضاعهم الإجتماعية وأطروحاتهم وتفكيرهم وتفاوتهم العقلي وميولاتهم وتوجهاتهم المختلفة، فوجب عليه أن يسمع منهم جميعا بكل تواضع كي يبقى إتصاله بهم دائم ووثيقا فلا ينفضوا من حوله، والرسول صلى الله عليه وسلم كان متواضعا خاضعا لأمر الله ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ (1)، فاجتمعت القلوب من حوله وتلك رحمة من الله ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فضا غليظ القلب لنفضوا من حولك﴾ (2)

- ونبي الله سليمان الذي أوتي علما وحكما وأوتي من كل شيئ كان متواضعا، حتى مع الطيور، فهدهد يأتيه من بعيد بمعلومات جديدة لم يحط بها سليمان، ويقول له: ﴿أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين﴾ (3)، فيقبل منه سليمان هذا الكلام على ما أوتي من فضل وإحاطة بالمعلومات الكثيرة، فلم يعجب بنفسه ولم يفتتن، وكل هذا كان محافظة على علاقاته بكل ما سخر له، وخدمة للدعوة الإسلامية، فالهدهد يأتيه بأخبار بلقيس وسبأ فيخرج سليمان لدعوتهم فيفتح الله قلوبهم للإسلام.

د- **الحياء:** الشيخ محمد الغزالي ذكر الحياء وأهميته وبين أنه مفتاح للداعية يفتح به خزائن الخير ويغلق به خزائن الشر فالحياء يكشف عن قيمة الإيمان ويبرز ما يتميز به الإسلام، مكن فضائل، فالحيي يستمسك بالخير ويوصله للأخرين، ويبتعد عن الشر ويبعده عن الناس (4) فالحياء خير كله، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: ((الحياء لايأتي إلا بالخير)) (5)

((إن الحياء من اقوى البواعث على الإتصال بما هو حسن وإجتناب ما هو قبيح، وإذ تخلق به لامرء سار إلى مكارم الأخلاق وناء عن رذائل الصفات، وكان سلوكه سلوكا نظيفا

---

(1)- الشعراء 215.

(2)- آل عمران 159.

(3)- النمل 22.

(4)- خلق المسلم: محمد الغزالي، ص 158 - 164.

(5)- حديث رواه البخاري في كتاب الأدب، باب الحياء، (100/7). ومسلم في كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان. كلاهما عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم.

مهذبا فلا يكذب في القول ولا تطاوعه نفسه في إقتراف الإثم ولا تطارده الميول الفاسدة ولا يستبدل به الهوى أو تتغلب عليه نزعات الشيطان)) (1)

هذا كله من شأنه أن يسهل على الداعية دعوة غيره والمحافظة على العلاقة الطيبة بكل المدعوين.

هـ) الحلم والرحمة.

الداعية إلى الله حليم يعفو ويصفح ويضبط نفسه عند الغضب وعندما يتعدى عليه المدعوون وهذا شيئ منتظرا وعندما ننظر في قصص الأنبياء والرسل نجد أنهم كانوا يتهمون بالسفه والجنون، لكن هذه الإهانات لا تصل إليهم لأنهم كانوا يعيشون وراء أوسار عالية من الفضائل والأخلاق، ﴿قالوا إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين، قال يا قومي ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين، ابلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين﴾ (2)

((إن الداعية لابد أن يكون ذا قلب ينبض بالرحمة والشفقة على الناس وإرادة الخير لهم والنصح لهم، ومن شفقته عليهم دعوتهم إلى الإسلام لأن في هذه الدعوة نجاتهم من النار وفوزهم برضوان الله تعالى إنه يحب لهم ما يحب لنفسه، وأعظم ما يحب لنفسه الإيمان والهدى، فهو يحب ذلك لهم ايضا... وهكذا كان الأنبياء رحماء بمن أرسلوا إليهم مشفقون عليهم من العذاب، قال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿لقد أرسلنا نوحا إلى قومه، فقال ياقومي أعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ (3)

فقوله عليه السلام، "إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم" لا يصدر ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم وللتقوا ولعلكم ترحمون)) (4) إلا من قلب رحيم، وشفقة ظاهرة عليهم، وكذلك قوله عليه السلام وقد رموه بالضلالة "يا قوم ليست بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لاتعلمون، أو عجبتهم أن جاءكم

---

(1)- إسلامنا: السيد سابق، دار الكتاب العربي لبنان، ص 156.

(2)- الأعراف 66 - 67.

(3)- الأعراف 56.

(4)- الأعراف 61 - 63.

فجواب نوح عليه السلام مشحون بالرحمة والشفقة عليهم واللطف في مخاطبتهم ولم يغضه كلامهم لأنهم قوم يجهلون، ولأن الداعي الرحيم لا يغضب لنفسه قط، وهكذا كان خلق الرسول صلى الله عليه وسلم، فما كان يغضب لنفسه وإنما يغضب إذا انتهكت حرمات الله، ثم في جواب نوح أنه يتضح لهم أن يخلص في القول النافع المفيد لهم بالرغم من قولهم الباطل فيه ويبين لهم أنه رسول من رب العالمين ليعلموا أن ما يخبرهم به هو الحق الصريح، الواجب قبوله وفي قبوله رحمة بهم، دليل على ما كان في قلبه عليه السلام من عظيم الرحمة بقومه)) (1)

و) التسامح.

((ويمتاز الداعية بروح التسامح لعلمه أن كل بني آدم خطّاء وأن الله يقبل التوبة عن عباده، فكيف لا يقبلها العباد بعضهم من بعض، ثم إن مهمة المصلحين هي إثارة المحبة والتعاطف بين الناس عامة لتجميع القلوب فضلا عن لزومها بين خاصة الصالحين لتقوية الصف المؤمن، وقضية الخصومة والنزاع إنما تنشا في الواقع من المبالغة في الإعتداد بالكرامة الشخصية مع ضيق في التصور أو خطأ في الفهمن لهذا كان اسلوب الدعاة في القضاء على اسباب الخصومة والفرقة يقوم على إعتماد التسامح وسعة التصور لجوانب القضية بين الناس. وقديما قيل 'إلتمس لأخيك من العذر إلى سبعين عذرا فإن لم تجد فقل له عذرا لا نعرفه)).

والدعاة في سعيهم للهدف الكبير لابد لهم من التغاضي عن الأمور الصغيرة التي تنشأ في الطريق اثناء السير، قال النبي الكريم ((و دع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا)) (2)، وقال لجماعة المسلمين ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ (3)

---

(1)- أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان، ص 356 - 357

(2) - الأحزاب 48.

(3)- آل عمران 103.

والعاقل لايضحي بالألة الكبيرة النافعة لأن بعض مفاتيحها قد اصيب بعطب، بل يجتهد في إصلاح العطب حرصا على تلم الألة، وإن العناصر الجيدة النافعة فب الأمة نادرة قليلة العدد فيجب الصفح عن زلاتهم العارضة، رجاء أن نفعهم الطويل، ﴿فاعفو عنه واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾ (1)، إن الدعوة الإسلامية تجمع ولاتفرق وتزرع الحب وتطرد معاني البغض وتضحي بالقليل حرصا على النيل الكبير)) (2).

وقال تعالى ﴿ولا تستوي السيئة والحسنة إدفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ (3)

يقول السيد قطب رحمه الله وهو يتحدث عن الداعية وخلق التسامح مع الناس ((وليس له أن يرد بالسيئة فإن الحسنة لايستويها اثر كما لاتستوي قيمتها مع السيئة، والصبر والتسامح والإستعلاء على رغبة النفس في مقابلة الشر بالشرير، النفوس الجامحة الجامحة إلى هدوء والثقة فتنقلب من خصومة إلى الولاء ومن الجماح إلى اللين، دغع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم"، وتصدق هذه القاعدة في الغالبية الغالبة من الحالات وينقلب الهياج إلى وداعة والغضب إلى سكينة والتبجج إلى حياء على كلمة طيبة ونبرة هادئة وبسمة حانية، حانية في وجه هائج غاضب متبجج مفلوت الزمام ! لو قوبل بمثل فعله لازداد هياجا وغضبا وتبجحا ومرود وخلع الحياء نهائيا وأفلتت زمامه وأخذته العزة بالإثم، غير أن تلك السماحة تحتاج إلى قلب كبير يعطف ويسمح وهو قابل على افساءة والود، وهذه القدرة ضرورية لتؤتي السماحة اثرها حتى لا يتصور الإحسان في نفس المسيئ ضعفا، ولا إن أحسن أنه ضعف لم يحترمه ولم يكن للحسنة اثرها إطلاقا، وهذه السماحة قاصرة كذلك على حالات الإساءة الشخصية لا العدوان على العقيدة وفتنة المؤمنين في هذا هو الدفع والمقاومة بكل صورة من صورها، أو الصبر حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا)) (4).

---

(1)- آل عمران 159.

(2)- كيف ندعو الناس: عبد البديع صقر، دار الشهاب للطباعة الجزائر، ص 119 - 121.

(3)- فصلت 34.

(4) - في ظلال القرآن: سيد قطب، المجلد 5، ص 3122.

المبحث الرابع: الصبر والإستمرار في العمل.

1ـ حقيقة الصبر وحاجة الداعية إليه

لاشك أن الصبر قاعدة أساسية من القواعد التي يستحيل على الداعية الا يرجع إليها فهو صفة وخلق من أخلاقه والفرق بينه و بين أخلاق الإتصال بالمدعوين أنه خلق ذاتي يحتاجه الداعية لنفسه ولذاته من أجل ألا يتوقف عن العمل والدعوة إلى الله وهو في نفس الوقت نور وضياء فهو الذي يشع للداعية النور الذي يعصمه من التخبط في ظلام الضوائق والمحن والعقبات وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال ((الصبر ضياء)) (1) فالداعية إلى الله سيجد صعابا في كل مجالات الحياة فهو في حاجة إلى الصبر في علاقته مع الناس والصبر على تكاليف الدعوة ومشاقها، والصبر على طاعة الله، والصبر على شهوات الدنيا ومشتهيات النفس، والصبر حين البأس، فإن لم يصبر خسر الناس، وخسر الدعوة إلى الله، فلا بد أن يتحمل الأذى ومكارهه وأن ينتظر النتائج والثمار مهما بعدت وطالت.

يقول الشيخ رحمه الله محمد الغزالي (2): ((الصبر يعتمد على حقيقتين خطيرتين أما الأولى فتتعلق بطبيعة الحياة فإن الله لم يجعلها دار جزء وقرار، بل جعلها دار تمحيص وامتحان، والفترة التي يقضيها المرء بها فترة تجارب متصلة الحلقات يخرج من امتحان ليدخل في امتحان آخر قد يغاير الأول مغايرة تامة، أي أن الإنسان قد يمتحن بالشيئ وضده، مثلما يصهر الحديد في النار ثم يرمى في الماء، فأما الحقيقة الأخرى فتتعلق بطبيعة الإيمان، فالإيمان صلة بين الإنسان وبين ربه عز وجل وإن كانت صلاة الصداقة بين الناس لا يعتد بها ولاينوه بشأنها إلا إذا أكلها مر الأيام وتقلب الليالي واختلاف الحوادث فكذلك الإيمان لا بد أن تخضع صلته للإبتلاء الذي يمحصها فإما كشف عن طيبها وإما كشف عن زيفها، قال تعالى: ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ (3)

---

(1)ـ حديث رواه مسلم في كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء (140/1)

والترمذي: أبواب الدعوات (196/5).

والنسائي: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة (5/5)، وأحمد: في المسند (142/5).

وابن ماجة: كتاب الطهارة، باب الوضوء، شطر الإيمان (152/1)

كلهم عن أبي مالك الأشعري، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وبداية الحديث "الطهور شطر الإيمان

(2)ـ خلق المسلم: محمد الغزالي، ص 129 ـ 130.

(3)ـ العنكبوت 2 ـ 3.

((إن طريق الإيمان طريق شاق، وإن تحديات الإيمان كثيرة وصعبة، وإن حياة المؤمن إبتلاء وسلسلة من الإختبارات التي تهز نفس المؤمن هزا عنيفا إلى درجة تقربه من الياس ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما ياتيكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب.﴾ (1)

فحياة المؤمن معرضة حتما للجوع والحرمان، معرضة للأذى والأضرار والأمراض))(2)

والصبر صفة من صفات أولي العزم من الرسل الذين ابتلوا بلاء شديدا فكانوا اصحاب عزيمة قوية وإرادة كبيرة، فمن أراد أن يشرف بهذا الشرف فما عليه أن إلا أن يكون صابرا، فقد أمر الله عز وجل نبيه الكريم عليه صلوات الله وسلامه بأن يكون مثل أولي العزم من الرسل فقال ﴿فاصبر كما صبر أولي العزم من الرسل﴾ (3)

- فحمل الدعوة وتحمل مشاقها وما ينتج عنها من متاعب يعتبر من عزم الأمور، فقد قال لقمان لإبنه ﴿يا بني اقم الصلاة وأمر بالمعروف واصبر على ما اصابك إن ذلك من عزم الأمور.﴾ (4)

و لاشك أن أولي العزم من الرسل عليهم السلام نوح وإبراهيم وموسى وعيسى والرسول صلى الله عليه وسلم قد تحملوا الكثير، والذين يأتون من بعدهم حملة الرسالة ومبلغيها وهم الدعاة، سيلقون أصنافا من المحن والشدائد والإبتلاءات، فالرسول صلى الله عليه وسلم لما سئل أي الناس أشد بلاء؟ قال: ((الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الناس على قدر دينهم، فمن ثخن دينه إشتد بلاؤه ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه، وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي على الأرض ما عليه خطيئة)) (5).

---

(1)- البقرة 214.

(2)- الدين والدولة: محمد البهي، دار الفكر بيروت، ط1 1971م، ص 336.

(3) الأحقاف 35.

(4)- لقمان 17.

(5)- حديث رواه الترميذي، باب الصبر على البلاء (28/4)، وأحمد في المسند.

(172/1 - 174 - 180 - 185)، والدرامي في السنن في كتاب الرقائق، باب أشد الناس بلاء، كلهم عن سعد بن أبي وقاس عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال الترمذي حديث حسن صحيح.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

((فعلى حامل الدعوة أن يتحلى بالصبر وعلى كل مؤمن بفكرة وحركة أن يتحلى بالصبر أن يتصل بالجمهور إتصالا وثيقا، أن يوضح فكرته ويشرح الطريق التي توصل إلى تنفيذ الفكرة، وأن يصبر على جميع التقلبات التي تقع عليه من جميع الجهات)) (1)

والإسلام لا يكتفي بأمر المسلمين والدعاة بالصبر فقط، بل يأمرهم بالمصابرة والمرابطة والتقوى ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ (2)

فالصبر ذاتيا يكون بين الإنسان نفسه وأما المصابرة فهي تكون بين المؤمن وعدوه، والمرابطة مداومة وثبات، فالله عز وجل أمر الداعية إلى جانب الصبر بالمصابرة والمرابطة لأن الكفار يشتركون معه في الصبر على باطلهم وكفرهم، قال تعالى ﴿وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم...﴾ (3)

﴿أهذا الذي بعث الله رسولا إن كاد يضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها...﴾(4)

وهناك من يزن أن الصبر سلوك سلبي لأنه يعتقد أن الصبر ذلة وخضوع واستسلام، والحقيقة أن الصبر قوة وشجاعة وعمل وحركة متواصلة.

يقول الدكتور أحمد الشرباصي (5) ((كثير من الناس يظنون ويزعمون أن الصبر خلق سلبي وأن معناه الإستسلام والرضا بالواقع والكف عن معالجة الأمور والإحتيال للخروج من الشدائد والأزمات، وهذا فهم خاطئ ووهم فاسد، فالصبر كما يكون جهدا نفسيا للإبتعاد عن المعاصي والسيئات يكون في كثير من الأحيان جهدا عمليا إيجابيا فيه الحركة، وفيه السعي، وفيه الإنتاج، وفيه تحمل للتابعات وتعرض لجلائل الأعمال ومواقف الأبطال، لقد فهم ذلك البصراء الأعلام من هده الأمة حتى في المجال الصوفي الذي يقال عنه أنه يميل إلى السلبية والرضى بالواقع، ففي الأدب الصوفي جاء قولهم تجرعوا الصبر فإن قتلك قتلك شهيدا وإن أحياك أحياك عزيزا))

---

(1)- صفات الداعية وكيفية حمل الدعوة: سميح عاطف الزين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط7 1985م، ص189.

(2)- آل عمران 200.

(3)- ص 6.

(4)- الفرقان 41 - 42.

(5)- أخلاق القرآن: أحمد الشرباصي، ج1، ص 194.

لقد بين الدكتور يوسف القرضاوي (1): أن المحن والشدائد ضرورية لأهل الإيمان وذلك لجملة حكم نبه عليها القرآن الكريم منها:

1- تطهير صف المؤمنين من أدعياء الإيمان من المنافقين والذين في قلوبهم مرض فإبان العافية والسراء يختلط الحابل بالنابل والخبيث بالطيب وإنما يقع بين الأصيل والدخيل بالمحن والبلاء، كما يتميز الذهب الحقيقي من الزائف بالإمتحان بالنار، فالمحن التي تعرض لأصحاب الدعوات هي التي تميز هذه الصناف وتفرزها من بين المؤمنين، وتنفي الخبيث من صفوفهم كما ينفى الكير خبث الحديد.

2- تربية المؤمنين، وصقل معادنهم وتمحيص ما في قلوبهم فهم ينضجون بالمحن كما ينضج الطعام بالنار.

3- زيادة رصيدهم ومقامهم عند الله فهو يرفع درجاتهم ويضاعف حسناتهم أو على الأقل يكفر خطياهم، حتى يمشي أحدهم على الأرض ما عليها خطيئة، غسلته المحن غسلا وطهرته الشدائد تطهيرا.

- فإذ كانت المحن والشدائد حتمية وضرورية، فإن الصبر يصبح حتمي وضوروي للدعاة جميعا، وقد أكد القرآن الكريم أن البلاء يصيب المؤمنين في أموالهم وأنفسهم من الكفار والمشركين وأهل الكتاب وليس لهم مقابل ذلك سوى العزم والصبر والتقوى قال تعالى: ﴿لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾ (2).

((إن الله تعالى وصف الأذى المسموع من أهل الكتاب والمشركين بالكثرة (أذى كثيرا) وهو يدل على ان حربا كلامية ستعلن على أهل الإيمان لتشويه دعوتهم وتلويث سمعتهم وتشكيك في سيرتهم وسريرتهم، وهي حرب أسلحتها الدس و التحريف و الإفتراء

---

(1)- الصبر في القرآن الكريم: يوسف القرضاوي، دار البعث الجزائر 1988، ص 21 - 22 - 23.

(2)- آل عمران 186.

2- إن الأية قارنت هنا بين الصبر والتقوى فلم تكتفي من المؤمنين بالصبر وحده حتى يجمعوا على تقوى الله تعالى، ومعنى التقوى هنا التعفف عن مقابلة الخصوم بمثل أسلحتهم الدنيئة فلا يواجه الدس بالدس ولا الإفتراء بالإفتراس، لأن المؤمنين تحكمهم قيم أخلاقية في السلم والحرب والرخاء والشدة.

3- إن الأية قارنت كذلك بين الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى وبين الذين اشركوا من الوثنين العرب ومن على شاكلتهم، وفي هذه الإشارة إلى أن عداوتهم لأهل الإسلام وحدت بينهم على ما بينهم من إختلاف وهذا ما أثبته التاريخ قديما وأثبته الواقع حديثا ﴿والذين كفروا أولياء بعض﴾ (1)، ﴿وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض﴾(2)))(3)

- إن الداعية إلى الله لن يصل إلى مقام الأئمة والصالحين إلا بالصبر واليقين. قال تعالى: ﴿وجعلنا منهم ائمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بأياتنا يوقنون﴾(4)

((واعلم أن الصبر ملاك الإيمان وذلك بأن التقوى افضل البر والتقوى بالصبر، قال علي كرم الله وجهه: "بني افسلام على أربع دعائم: اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال ايضا "الصبر من الإيمان بمنزلة الراس من الجسد ولا جسد لمن لا راس له، ولا غيمان لمن لا صبر له)) (5)

- إن الصبر دليل على كمال الخلق ومع الصبر تكون العزيمة والثبات فلا ثبات ولا عزيمة لمن لا صبر له. يقول إبن القيم (6) ((إن الصبر سبب في حصول كل الكمال، فأكمل الخلق اصبرهم ولم يتخلف عن أحد كما له الممكن إلا من ضعف صبره، فإن كمال العبد بعزيمته وثباته، فمن لم يكن له عزيمة فهو ناقص ومن كانت له عزيمة ولكن لاثبات له عليها فهو ناقص، فإذا انضم الثبات إلى العزيمة أثمر كل مقام شريف وحال كامل، والمعلوم أن شجرة الثبات والعزيمة لاتقوم إلا على ساق الصبر، فلو علم العبد الكنز الذي تحت الأحرف الثلاث أعني إسم (الصبر) لما تخلف عنه)).

---

(1)- الأنفال 73.

(2)- الجاثية 19.

(3)- الصبر في القرآن الكريم: يوسف القرضاوي، ص 20 - 21.

(4)- السجدة 24.

(5)- إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي، دار المعرفة بيروت، ج4، ص 62.

(6)- طريق الهجرتين وباب السعادتين: إبن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي لبنان، ص 341 - 342.

2- صور من صبر الأنبياء.

هناك عدة نماذج وصور للصبر في القصص القرآني ويمكن أن نقول أن الصبر عموما في القصص نوعان:

1- الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وتحمل تكاليفها وتابعتها وما فيها من أخطار وتضحيات وهذا نجده في قصص أولي العزم من الرسل الذين أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يقتدي بهم وبصبرهم ﴿واصبر كما صبر أولي العزم من الرسل﴾ (1)

2- الصبر على البدن والأهل والأولاد، وصبر على طاعة الله وعلى معصيته، فنجده في قصص أيوب ويعقوب ويوسف وإسماعيل وهذا الصبر هو صبر على تكميل النفس، أما الأول فهو صبر على تكميل الغير ودعوتهم إلى الله.

1) المشهور أن أولي العزم من الرسل خمس: نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد صلى الله عليه وسلم وهنالك من يضيف إسماعيل ويعقوب ويوسف وايوب وهناك من يقول أن الرسل جميعا أولي عزم ما عدا يونس صاحب الحوت، فلننظر بإيجاز إلى ما لقوا من أذى ومن بلاء لما لم يلقاه أحد من المرسلين.

أ) يكفي أن نوحا عليه السلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى الله ليعيد الدعوة كلما مر جيل وجاء جيل جديد وكم من جيل مر عليه ولم يسمع دعوته خلال ألف سنة إلا خمسين عام ﴿ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما﴾ (2).

كان يدعو قومه ليلا نهار، سرا وجارا بكل الأساليب والوسائل فلم يزدهم ذلك إلا فرار وإعراض وتكذيبا وتيقن نوح قوي العزيمة والإرادة ثابتا لم تتزعزع عقيدته وقد ذكر سبحانه وتعالى جزء من قصته في سورة نوح.

- ولما أخبره عز وجل أنه لن يؤمن له إلا من قد أمن، ﴿وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون﴾ (3)، عندئذ لجأ إلى الله يشكو قومه ﴿قال ربي إن قومي كذبون فافتح بيني وبينهم ونجني ومن معي من المؤمنين﴾(4)

---

(1)- الأحقاف 35.

(2) العنكبوت 14.

(3)- هود 36.

(4)- الشعراء 118 - 119.

ثم دعا ربه أن لا يترك على الأرض أحد من الكافرين لأنهم إن تركهم اضلوا العباد وانتقل فسادهم إلى ذريتهم بالوراثة فهم لن يولدوا إلا فجارا كفار، ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا﴾ (1)

ب) أما إبراهيم عليه السلام فقد صبر على دعوة قومه وعلى دعوة ابيه اقرب الناس إليه، حيث راح يدعوهم ويتلطف في دعوتهم خاصة اباه، فلم يجد منه سوى الخشونة والهجران والنكران، فأبوه يهدده بالرجم وإخراجه من داره ﴿قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا﴾ (2)

وتهديد الوالد للإبن له تاثير سلبي وكبير على النفس، لكن إبراهيم يمضي بكل عزم وثبات فيحطم أصنامهم ويكسرها مبين لهم أنها لاتنفع ولا تضر، وهي عاجزة حتى عن الدفاع عن نفسها ﴿وتالله لأكدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذادا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون﴾ (3)، فكان مصيره عند إجتماع كلمتهم أن يحرقوه بالنار، فراحوا يجمعون الحطب ويوقضون النار ليحرقوا إبراهيم إرضاء لألهتم المحطمة وألقوه في النار، فالتجأ إلى الله يدعوه فنصره عليهم وأبطل كيدهم وقال ﴿يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم﴾ (4)

ج) موسى عليه السلام تربى في قصر فرعون وقد وقع منه قتل خطأ فخرج من مصر خائفا يترقب وهاجر هاربا، وعاش غريبا سنينا مع شعيب ثم بعثه الله عز وجل إلى فرعون وهامان وجنودهما فلما دعاهما إلى توحيد الله قال له فرعون ﴿ألم نربيك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنينا وفعلت فعلتك التي فعلت، وأنت من الكافرين﴾(5)

- موسى عليه السلام صبر صبرين صبرا على فرعون الطاغية وصبرا على قومه بني إسرائيل الذين كانوا ذوي قلوب قاسية وعناد وتمرد.

---

(1)- نوح 26 - 27.

(2)- مريم 46.

(3)- الأنبياء 57 - 58.

(4)- الأنبياء 69.

(5)- الشعراء 18 - 19.

أما فرعون الذي إدعى الربوبية والألوهية، فقد توعد موسى بالسجن، فقال ﴿لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ (1)

لكن موسى لم يسمع لكلامه وتهديده وراح يدعو قومه إلى توحيد الله ((وهاهنا إشتد شعور فرعون بالخوف على عرشه وكيانه، إذ إعجاب الجماهير بموسى يزداد ويزداد، والناس حين يجدون من يتصدى للطاغية يعجبون به، ولكن دون إظهار هذا الإعجاب خوفا من بطش الطاغية)) (2)

وهنا يتدخل فرعون وهامان وقارون ليقرروا قتل موسى عليه السلام ومن تبعه من المؤمنين وابنائهم، فقالوا ﴿أقتلوا ابناء الذيين أمنوا معه واستحيوا نساءهم وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفسادا ﴾ (3).

لكن موسى يصبر ويدعو قومه إلى الصبر والإستعانة بالله، فهو ناصرهم والعاقبة للمتقين، ﴿قال موسى لقومه إستعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.﴾ (4)

أما صبره على قومه فقد ذكر القرآن الكريم بعض تصرفاتهم السيئة مع موسى عليه السلام:

- منها أنهم جاوزوا البحر الذي أغرق الله فرعون وجنوده، نسوا الله وطلبوا من موسى أن يجعل لهم إلاها كما للذين وجدوهم وراء البحر ﴿فأتوا على قوم عاكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى إجعل لنا إلاها كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون﴾ (5)

- ومنهم أنهم حين قال لهم موسى ﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ (6)، واجهوه بكل وقاحة وكأنه ليس نبيهم قالوا ﴿أتتخذنا هزئا، قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين﴾ (6)

---

(1)- الشعراء 29.

(2)- حياة موسى: محمد شلبي، دار الجيل بيروت، ط1 1982، ص 203.

(3)- غافر 25 - 26.

(4)- الأعراف 128.

(5)- الأعراف 138.

(6)- البقرة 67.

- ومنها خيانتهم لموسى ولربهم فبمجرد خروج موسى إلى الطور لمناجاة ربه، صنع لهم السامري عجلا من الحلي فاتخذوه إلاها وراحوا يعبدونه، قال تعالى ﴿وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم إتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون﴾ (1)

- ومنها أنه لما أنزل الله عليهم المن والسلوى طلبوا الذي هو أدنى ﴿يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادعوا لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفمها وعدسها وبصلها، قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير.﴾ (2)

- ومنها لما أمرهم الله بأن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتبها لهم إرتدوا وخانوا ولم يستجيبوا لأمر ربهم ونبيهم وقالوا ﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾ (3)

وهناك مواقف أخرى لبني إسرائيل آذوا بها موسى عليه السلام، لكنه بقي صابرا محتسبا حليما يواصل الدعوة إلى الله.

د) أما المسيح عيسى إبن مريم، فقد بعث كذلك إلى بني إسرايل فلقى ما لقاه أخوه موسى عليه السلام من التكذيب والعصيان والبهتان، فلقد رفضوا دعوته وقالوا فيه وفي أمه أقوالا وأكاذيب وراحوا ينكرون ويتآمرون حتى قرروا قتله وصلبه، قال تعالى ﴿وبكفرهم وبقولهم على مريم بهتانا عظيما، وقولهم إنا قتلنا المسيح إبن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾ (4)

هـ) أما الرسول صلى الله عليه وسلم فقد التزم بأمر ربه، فكان من الصابرين مقتديا بمن سبقوه من أولي العزم من الرسل، فصبر على قومه وأذاهم فقد حاولوا قتله وأخرجوه من دياره فهاجر، وحاربوه وواجهوه كما لقي كيد المنافقين ودسائس اليهود، لكنه واصل الدعوة وعمل إلى أن نصره الله سبحانه وتعالى.

2- أما أنبياء الله أيوب، يعقوب، يوسف، إسماعيل، فقد كان صبرهم كبيرا على ما ابتلوا به في نفوسهم وابدانهم وأهلهم وأولادهم، وصبرهم على طاعة الله وصبرهم على معصية الله، وقد يكون الصبر على الطاعة وعلى المعصية من أكبر أنواع الصبر.

---

(1)- البقرة 51.

(2)- البقرة 61.

(3)- المائدة 24.

(4)- النساء 156 - 157.

أ) نبدأ بأيوب عليه السلام، لأنه عرف الصبر حتى ضرب الناس به المثل، فقالوا: صبر ايوب ((فقد إبتلاه الله في جسمه ببلاء عظيم بين الجلد والعظم، حيث إبتعد عنه الأهل والصديق ولم يبق له مال ولا ولدا ولا رفيقا، ولا أحد يقرب منه غير زوجه، فإنها صبرت معه بصدق وإخلاص وقامت بخدمته فكانت تأتيه بالطعام، وتحمد الله معه، وقيل قد حصل خلاف بين ايوب عليه السلام وزوجته، فتكلمت بكلام أغضبه وكدره فحلف إذ شفي وبرأ من مرضه ليضربنها مائة جلدة)) (1)

قال تعالى ﴿وأيوب إذ نادى ربه إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وأتيناه أهله ومثله معه رحمة من عندنا وذكرى للعابدين واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين.﴾ 2

﴿ إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب﴾ (3)

ب) يعقوب عليه السلام، إبتلاه بفراق أحب أبنائه إليه، إنه فراق يوسف عليه السلام الإبن الصغير واليتيم والذي رأى رؤية دلت على أنه سيكون له شأن كبيرا فقد سبب فراقه إبعاد إخوته له، فهي مؤامرة من اقرب الناس إليه، وقد دام هذا الفراق سنوات وسنوات لا يعرف فيها يعقوب هل مات يوسف أم مازال حيا، وقد حزن حزنا كبيرا حتى ابيضت عيناه وفقد بصره وكان يقول ﴿فصبر جميلا والله المستعان على ما تصفون﴾ (4)

فيبتليه الله بفقدانه الإبن الثاني الأصغر وهو أخ ليوسف، فيقول ثانيا ﴿فصبر جميلا عسى الله أن يأتيني بهم جميعا إنه هو العليم الحكيم.﴾ (5)

ويشاء الله في النهاية أن يرجع إليه بنيه ويرجع بصره فسبحان الله الحكيم.

---

(1)- أحسن القصص: علي فكري، مكتبة رحاب الجزائر، ج1، ص 108- 110.

(2)- الأنبياء 83 - 85.

(3)- ص 44.

(4)- يوسف 18

(5)- يوسف 83.

ج) يوسف عليه السلام، كانت حياته كلها عبارة عن حلقات متتالية من المحن والإبتلاءات فلا تنتهي محنة حتى تاتي أخرى اشد منها فنجد محنة كيد إخوته جاءت إمرأة العزيز وكيدها العظيم ثم محنة السجن الذي لبث فيه بضعة سنين ثم يأتي بعد السجن إبتلاء خاص إنه المنصب والوزارة وتولي خزائن الأرض، وإلى جانب كل هذا فهو بعيد عن أهله وإخوته وعشيرته، غريب وسط هؤلاء غربة طال زمنها لكنه بقي صابرا تقيا محسنا حتى رجع إليه إخوته وأبوه، قال تعالى: ﴿أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا أنه من يتقي ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين.﴾ (1)

د) وإسماعيل عليه السلام صبر على طاعة الله كما أبتلي أباه إبراهيم عليه السلام في نفس الوقت على ذبح إبنه بيده، وأي إبتلاء فوق أن يذبح الأب إبنه ﴿إن هذا لهو البلاء المبين﴾(2)، قال إبراهيم ﴿يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ما ترى﴾ (3) فرد إسماعيل ﴿يا أبت إفعل ما تأمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾، لقد علم إسماعيل أن رؤية اباه وحي من الله عز وجل وهو أمر له ولأبيه لينظر ماذا يفعلون، فما كان جوابه إلا القبول والتسليم والصبر.

3ـ الإستمرار في العمل.

لقد رأينا أن الدعوة إلى الله واجب على كل داعية إلى الله، وإذا كانت الدعوة واجبة فإن الإستمرار في العمل والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الدعاة والعلماء والفقهاء.

ـ فلا يمكن في أي حال من الأحوال ومهما كانت الظروف أن يتوقف الناس والمجتمع لأن ذلك يؤدي إلى فساد كبير وانقلاب في الموازين بل يؤدي إلى تغيير لقوانين الله وسننه في خلقه، فقد ((إقتضت سنة الله أن يكون البشر هم أدوات العمل في الأرض، وهم كذلك أدوات التغيير ولتكريم الإنسان تبعات، أن يكون الإنسان قوة إيجابية حقا وأن يعمل بمقتضى

---

(1)ـ يوسف 90.

(2)ـ الصافات 106.

(3)ـ الصافات 102.

ذلك في واقع الحياة تبعات أن يعمل وأن يكافح وأن يصارع ولايسلم ولا يتخاذل ولا يتمسكن، تبعات أن يأمر بالمعروف وأن ينهى عن المنكر ويؤمن بالله)) (1)

- وقد رأينا كيف أن أنبياء الله ورسله جميعا كانوا صابرين، واستمروا في الدعوة والعمل ولم يتوقفوا ساعة واحدة في حياتهم إلا بإذن الله سبحانه وتعالى ماعدا نبيا واحدا وهو يونس عليه السلام، فقد توقف عن العمل وخرج مغاضبا رغم أن يونس ((في القرآن الكريم من أخف الأنبياء عبئا لأنه لم يقع في قوم أشرار كقوم نوح وعاد وثمود ولم يتحمل منه بلاء كثيرا وكان شديد الخجل والحياء)) (2)

- لقد خرج بدون إذن من ربه، خرج مغاضبا لأن قومه يصرون على المعصية ولم يستجيبوا له وغضبه لا شك كان لله، لكنه أخطأ في خروجه عن قومه فكان من الواجب أن يستمر في العمل والدعوة ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾ (3)

يقول السيد قطب (4): ((لقد سمي ذنوني أي صاحب الحوت لأن الحوت إلتهمه ثم نبذه وقصة ذلك أنه أرسل إلى قرية فدعا أهلها إلى الله فاستعصوا عليه فذاق بهم صدرا وغادرهم مغاضبا ولم يصبر على معاناة الدعوة معهم ظنا أن الله لن يضيق عليه الأرض، فهي فسيحة والقرى كثيرة وأقوام متعددون، وما دام هؤلاء يستعصون الدعوة وما دام هؤلاء يستعصون على الدعوة فسيوجه إلى قوم آخرين...إن يونس لم يصبر على تكاليف الرسالة فذاق صدرا بقومه وألقى الدعوة وذهب مغاضبا ضيق الصدر حرج النفس فأوقعه الله في الضيق التي تهون إلى جانبه مضايقات المكذبين، فلا بد لمن يكلفون حمل الدعوات أن يصبروا ويتحملوا ولا بد أن يثابروا ويثبتوا ولابد أن يكرروا الدعوة إنه لايجوز لهم أن ييأسوا من صلاح النفوس واستجابة القلوب مهما واجهوا من إنكار وتكذيب ومن عتو وجحود، فإذ كانت المرة المائة لم تصل للقلوب فقد تصل هذه المرة بعد المائة، وقد تصل مرة أخرى بعد الألف، ولو صبروا هذه المرة وحاولوا ولم يقنطوا لتفتحت لهم أرصد وقلوب.))

---

(1)- قبسات من حياة الرسول: محمد قطب، دار الشروق، ط11، 1992، ص 53 - 54.

(2)- نظرات في القرآن الكريم: محمد لطفي جمعة دار عالم الكتب القاهرة 1991، ص 213.

(3)- الأنبياء 87 - 88.

(4)- في ظلال القرآن: سيد قطب، مجلد 4، ص 2393 - 2394.

- لقد ألحق الله سبحانه وتعالى عند خروجه جملة من العقوبات، فعند ركوبه السفينة جاءت يونس ريح عاصفة فاقترع أهل السفينة على أن يلقوا بالرجل إلى البحر، فوقعت القرعة على يونس عليه السلام ثلاث مرات، فألقي في البحر فبعث الله حوتا عظيما فالتقمه وهذا ما ذكره القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق (1) إلى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين (2) فالتقمه الحوت وهو مليم (3)﴾ (4)

ولولا أن يونس كان من المسبحين والذاكرين لله سبحانه وتعالى دون إنقطاع لعاقبه الله بأن أبقاه في بطن الحوت إلى يوم يبعثون، ولكن سبحانه وتعالى أخرجه من بطن الحوت وألقاه على الشاطئ وهو مريض سقيم، لما أخبرنا الله في سورة الصافات الأية (143 - 148).

- إن سنة الله في خلقه أنه يعذبهم إذا كفروا وكذبوا المرسلين فلا ينفع الإيمان إذا جاءت مظاهر العذاب، ولقد رأى قوم يونس مقدمات العذاب فرجعوا إلى الله وتضرعوا إليه فما كان ينفعهم هذا الرجوع، بأن الله عز وجل يقول ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا أمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين، فلم يكن ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون﴾(5)

لكن خروج نبيهم عنهم وعدم مواصلته لطريق الدعوة أقلب هذه القوانين واستثنى قوم يونس من العذاب، فقال تعالى ﴿فلولا كانت قرية أمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما أمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين﴾ (6)

---

(1) أبق: أي هرب وفي الحديث أن عبدا لإبن عمر رضي الله عنهما أبق فلحق بالروم ،والإباق: هرب العبد من سيده: (لسان العرب)، ج1، ص 09.

(2)- الدحض: الزلق والإدحاض: الإزلاق، والدحض جمع داحض وهم الذين لاثبات لهم ولا عزيمة في الأمور: (لسان العرب)، ج2، ص 1335.

(3)- مليم: أي آت بما يلام عليه، يقال آلام فلان إذا ما فعل ما يلام عليه: (تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: محمد علي طه الدرة، المجلد 12، ج23، ص 210.)

(4)- الصافات 141.

(5)- غافر 84 - 85.

(6)- يونس 98.

((أي فهلا كان أهل قرية من قرى أقوام أولئك الرسل آمنت بدعوتهم وإقامة الحجة عليهم، فنفعها إيمانها قبل وقوع العذاب الذي أحذروا به، إلا قوم يونس لما آمنوا قبل وقوع العذاب بهم وقد رأوا علاماته، صرفنا عنهم عذاب الذل والهوان في الدنيا لأن نبيهم خرج بدون إذن الله تعالى له فلم تتم عليهم الحجة.)) (1)

- وهذا يدل على وجوب مواصلة الدعوة دون إنقطاع ويبين لنا كذلك أن مخالفة أمر من أوامر الله أو مخالفة سنة من سننه يؤدي إلى التغيير والإستثناء في السنن، فالدعوة إلى الله تبنى على أصول وقواعد وقوانين دقيقة يعلمها الله عز وجل، وينبغي على العلماء أن يكشفوها ليلتزم بها كل داعية إلى الله.

- لقد رجع يونس إلى قومه الذين فارقهم وكانوا مائة ألف أو يزيدون فعاود دعوتهم وأدى الرسالة صابرا لله فأمنوا جميعا ﴿وارسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فأمنوا فمتعناهم إلى حين﴾(2)

((إنه لم توجد قرية أمنت بكاملها بنبيها ممن سلف من القرى إلا قوم يونس... ولم ينفع قرية كفرت ثم أمنت حين حضرها العطاب فتركت إلا قوم يونس لما فقدوا نبيهم وظنوا أن العذاب قد دنا منهم قذف في قلوبهم التوبة)) (3)

وأخيرا أذكر ما قاله أحمد بهجت (4) في خلاصة قصة يونس عليه الصلاة والسلام ((إن الأنبياء معصومون غير أن هذه العصمة لا تعني أنهم لايرتكبون اشياء هي عند الله أمور تستوجب العتاب... خرج يونس من القرية في ميزان الأنبياء أمر يستوجب تعليم الله تعالى له وعقابه، إن الله يلقن يونس درسا في الدعوة إليه... ليدعو النبي إلى الله فقط... إنما أرسله الله ليدعو فحسب هذه حدود مهمته وليس عليه أن يتجاوزها ببصره أو بقلبه ثم يحزن، لأن قومه لا يؤمنون، إن لوط مكث في قومه يدعوهم سنوات عديدة فلم يؤمن فيهم

---

(1)- تفسير المنار: ج11، ص 482.

(2)- الصافات 148.

(3)- الأساس في التفسير: سعيد حوى، دار السلام للطباعة مصر،ط2، 1989، المجلد 5، ص 2514 - 2515.

(4)- أنبياء الله: أحمد بهجت، دار الشروق، ط15 و16 1987م، ص 181 - 182.

أحد، ورغم ذلك لم يخرج لوط فرارا بأهله ونفسه ودينه من قريته ... ظل يدعوهم حتى جاءه أمر الله وأرسل إليه ملائكته بإذن الخروج... ولقد خرج يونس بغير إذن إنه كان متسرعا وليس تسرعه هذا سوى فيضا في رغبته أن يؤمن الناس، وإنما إندفع إلى الخارج كراهية لهم لعدم إيمانهم وعاقبة الله وعلمه على أن النبي أن يدعو للإسلام فحسب ليس عليه أن يؤمن الناس ... وليس عليه هداهم.))

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الرابع

قواعد في الأساليب و المدعوين

المبحث الأول : لفت الأنظار و العقول إلى خلق اللّه و نعمه

المبحث الثاني : الترغيب و الترهيب

المبحث الثالث : القدوة و القوة

المبحث الرابع : معرفة المدعوين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد :

الدّاعية إلى اللّه بعد أن يعرف القواعد الأساسية في الدّعوة و الدّاعي من صفات العلم و الإتصال باللّه و الأخلاق و العمل و وجوب الدّعوة عليه، و هو يحاول أن يتصف بهذه الصفات القاعدية و يلتزم بها و يدرك أبعادها و أهميتها في السير بالدّعوة إلى الأمام بخطى ثابتة منسجمة مع سنن اللّه في خلقه ليصل في الأخير إلى هدفه المنشود.

يجب على الدّاعية بعد هذا أن يعرف أهم القواعد في الأساليب و المدعوين، و القرآن الكريم في قصصه إشتمل على عدّة أساليب في الدّعوة إلى اللّه، و يختلف الأسلوب بإختلاف أصناف المدعوين في عقيدتهم و مستوياتهم العلمية و أحوالهم الإجتماعية، إلاّ أنّنا نجد بعض الأساليب صالحة لدعوة و مخاطبة كل الأصناف.

و إذا كان الداعية يعرف جيدا ماذا يريد، فينبغي عليه أن يعرف كذلك من يخاطب و كيف يخاطب و بأي أسلوب يخاطب ((من لا يعرف ماذا يريد، و لا من يخاطب فليس له أن يتكلم)) (1)

و يقول سعيد إسماعيل علي (2)

((تنوع أساليب القرآن يرجع إلى تنوع موضوعاته، إذ لكل موضوع طبيعته الخاصة به التّي تميزه عن غيره من الموضوعات، كما أنّ له أصولا و قوانين يجب إلتزامها و مراعاتها... و من المعلوم كذلك أنّ الناس مختلفون في طبقاتهم و ثقافتهم و مذاهبهم فمنهم الجاهل و العالم و الأمي و المتعلم و المؤمن و الكافر، و منهم البدائي و المتحضر... و على هذا فالذي يحسن لمخاطبة طائفة قد لا يحسن لأخرى، و لهذه الناحية أثر كبير في إختلاف الأساليب، فمخاطبة المؤمنين ليست كمخاطبة الكافرين أو المنافقين، و حتّى المنافقين في كشف نواياهم السيئة قد تتنوع أساليب ذلك)).

---

(1) – كيف نتعامل مع القرآن : محمد الغزالي، ص 220

(2) – الأصول الإسلامية للتربية : سعيد إسماعيل علي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر 1992، ص 48 – 49

و هناك فرق بين الأسلوب و الوسيلة :

فالأسلوب هو الطريق و الوجه و المذهب، و هو كذلك الفن (1)، فهو طرق التفنن في القول بشتى الوجوه من أجل الوصول إلى إفهام السامع و إقناعه.

أمّا الوسيلة ((فهو ما يتقرب به إلى الغير)) (2) من وسائل الإيضاح و الإعلام و التبليغ.

فالأسلوب شيء معنوي كلامي، أمّا الوسيلة فغالبا ما تكون مادية ملموسة مؤثرة على المدعو.

و سنرى في هذا الفصل أهم القواعد في الأساليب التي لا يمكن للدّاعية أن يستغني عنها، و هي قواعد صالحة تقريبا لكل المدعوين، كما نتعرف على أهم القواعد التي ينبغي أن نعرفها في المدعوين من أجل الوصول إلى قلوبهم و هدايتهم إلى الطريق المستقيم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) – أنظر لسان العرب : ج03، ص 2058، و ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير و أساس البلاغة : الطاهر أحمد الزاوي، ج2،ص 590 ، و تاج اللّغة الصحاح : ج01، ص 149

(2) – أنظر لسان العرب : ج06، ص 4837، و تاج اللّغة الصحاح، ج05، ص 1840

المبحث الأول : لفت الأنظار و العقول إلى خلق اللّه و نعمه

1) - أهمية هذا الأسلوب :

هذه هي القاعدة الأولى من قواعد الدّعوة إلى اللّه في الأساليب و المدعوين، لأنّ أسلوب لفت الأنظار و العقول إلى خلق اللّه في الكون و نعمه و عظمته أسلوب يرتكز على مناهج ثلاثة من المناهج العامة للدّعوة في القرآن الكريم، فهو يجمع بين المنهج العقلي الفكري و المنهج الفطري و المنهج العاطفي، فهذا الأسلوب صالح لدعوة كل النّاس و جميع أصناف المدعوين.

((إنّه منهج بسيط يعتمد على التجرد من الرواسب و المؤثرات، يعتمد على مراقبة اللّه، فإن تحقق ذلك صح و إستقام الطريق، لا لغرض أو هوى أو مصلحة ﴿قل إنّما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى و فرادى ثم تتفكروا﴾ (1)، تفكر القائمين لله المتجردين له.

و لقد منّ اللّه على عباده فجعل قراءة هذا الكتاب المنظور - كتاب الكون - و تدبره ميسورا للجميع، للعالم و الجاهل، و القارىء و الأمي... فأنزل اللّه القرآن ليخاطب هذه الفطر و العقول لتصل إلى الحقيقة الكبرى حقيقة الألوهية و حقيقة العبودية، و أنّ هناك خالقا يخلق و يأمر، و عبدًا يؤمر فيطيع، و لقد دعانا القرآن للتفكر و التدبر و التأمل في الأنفس و الآفاق ليتعرف الإنسان على ذاته و على هذا الكون و هذه الحياة بأسلوب شيق أخاذ، و عرض رائع جذاب)) (2).

و لقد بيّن الإمام الشهيد حسن البنا في رسالة العقائد أن التأمل و النظر في هذا الكون هي إستجابة لأمر اللّه بالتفكر و التدبر في خلقه، و هو كذلك أسلوب فريد من أساليب القرآن في إرساء العقيدة و تعميقها فيقول :

((أنت إذا نظرت إلى هذا الكون و ما فيه من بدائع الحكم، و غرائب المخلوق، و دقيق الصنع، و كبير الإحكام، مع العظمة و الإتساع، و التناسق و الإبداع، و رأيت هذه السماء الصافية بكواكبها و أفلاكها و شموسها و أقمارها و مداراتها، و رأيت هذه الأرض بنباتها و خيراتها، و رأيت عالم الحيوان و ما فيه من غريب الهداية و الإلهام... و رأيت عالم البحار و

---

(1) - سبا 46

(2) - منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام : جمعية أمين عبد العزيز، دار الدّعوة، الإسكندرية، مصر، ط2، 1991، ص : 121 - 122

ما فيه من عجائب و غرائب... ثم إنتقلت من النظر إلى الروابط و الصلات فيما بينها.... لخرجت من كل ذلك من غير أن يأتيك دليل أو برهان، أو وحي أو قرآن، بهذه العقيدة النظرية السهلة و هي : أنّ لهذا الكون خالقا صانعا موجدا، و أنّ هذا الصانع لابد أن يكون عظيما فوق ما يتصور العقل البشري الضعيف من العظمة، و قادرا فوق ما يفهم الإنسان من معاني القدرة...)) (1).

و القرآن الكريم بأسلوبه و آياته و قصصه و أحكامه و عقيدته، ((قدّم للنّاس هذا التفسير الشامل، في الصورة الكاملة، التّي تقابل كل عناصر الكينونة الإنسانية، و تلبي كل جوانبها، و تتعامل مع كل مقوماتها، تتعامل مع الحس و الفكر و البديهة و البصيرة... و مع سائر عناصر الإدراك البشري، و الكينونة البشرية بوجه عام، كما تتعامل مع الواقع المادي للإنسان، هذا الواقع الذي ينشئه وضعه الكوني في الأسلوب الذي يخاطب و يُوحي، و يوجه كل عناصر هذه الكينونة مجتمعة، في تناسق، هو تناسق الفطرة كما خرجت من يد بارئها سبحانه)) (2).

إنّ أسلوب الدّعوة إلى اللّه بلفت الأنظار و العقول إلى خلق اللّه في السموات و الأرض و إلى نعمه ظاهرة و باطنة يمكن أن يكون الأسلوب العصري الأكثر تأثيرا في المدعوين، فقد أصبح مجال الإكتشاف العلمي وَاسِعًا في الكون، و اللّه سبحانه و تعالى أشار إلى هذا المعنى في قوله ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحق، أو لم يكف بربك أنّه على كل شيء شهيد، ألا إنّهم في مرية من لقاء ربهم ألا إنّه بكل شيء محيط﴾ (3).

إنّ أهمية هذا الأسلوب جليةٌ تبرز فيمايلي :

أ) أمَرَ اللّهُ سبحانه و تعالى بالنظر المطلق في الكون و أغوار النفس ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم اللّه ينشىء النشأة الآخرة إنّ اللّه على كل شيء قدير﴾ (4) و قال ﴿قل إنظروا ماذا في السموات و الأرض و ما تغني الآيات و النذر عن قوم لا يؤمنون﴾ (5)، فهناك امرٌ بالسير و النظر و الأمر يقتضي الوجوب إلاّ لدليل يصرفه عن الوجوب كما يقول

---

(1) – مجموعة رسائل الإمام الشهيد البنا : رسالة العقائد، ص : 449 – 450

(2) – خصائص التصور الإسلامي و مقوماته : سيّد قطب، دار الشروق، لبنان، ط12، 1992 م، ص : 06

(3) – فصلت 53 – 54

(4) – العنكبوت 20

(5) – يونس 101

علماء أصول الفقه.

ب) – هناك سور كثيرة في القرآن الكريم سميت بأسماء مظاهر الكون لغلبة ما فيها من آيات حول الكون كسورة الرعد، و النحل، و النمل، و النجم، و القمر، و الحديد، و الشمس، و الإنفطار، و الإنشقاق، و البروج، و الطارق، و الليل، و الضحى.

و لا شك أنّ الآيات القرآنية التي تتناول موضوع الكون و السموات و الأرض و ما فيهنّ تفوق الآيات التي تتناول الفقه و الأحكام*، و هذا دليل على أهمية هذا الأسلوب و المنهج في هداية النّاس و القرآن كتاب هداية بالدرجة الأولى.

جـ) – إنّ النظر في ملكوت السموات و الأرض صفة من صفات المؤمنين و الأبرار و المهتدين قال تعالى ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها و زيّناها و مالها من فروج، و الأرض مددناها و ألقينا فيها رواسي و أنبتنا فيها من كل زوج بهيج، تبصرة و ذكرى لكل عبد منيب﴾ (1)، و أمّا الكافرون فإنّهم يمرون على آيات اللّه و هم عنها معرضون ﴿و كأين من آية في السموات و الأرض يمرون عليها و هم عنها معرضون﴾ (2).

د) – التأمل و التدبر في آيات اللّه شيء يسّره اللّه على الإنسان فقد أعطاه وسائل النظر و التفكر و السمع، بل فطره على معرفة اللّه الخالق الذي لا شك في وُجُودِهِ، يقول ابن القيم : ((تأمل حكمة اللّطيف الخبير فيما أعطى للإنسان، علّمه بما فيه صلاح معاشه و معاده و منع عنه علم ما لا حاجة له به فجهله به لا يضر و علمه به لا ينفع به انتفاعا طائلا، ثم يسّرَ عليه طرق ما هو محتاج إليه من العلم أتم تيسير، و كلما كانت حاجته إليه من العلم أعظم كان تيسيره إياه عليه أتم فأعطاه معرفة خالقه و بارئه و مبدعه... فليس في العلوم ما هو أجل منها و لا أظهر عند العقل و الفطرة و ليس في طرق العلوم التي تنال بها أكثر من طرقها و لا أدل و لا أبين و لا أوضح فكلما تراه بعينك، أو تسمعه بأذنك، أو تعقله بقلبك، و كلما يخطر ببالك و كلما نالته حاسة من حواسك فهو دليل على الرب تبارك و تعالى، فطرق العلم بالصانع فطرية ضرورية ليس في العلوم أجل منها، و كل ما استدل به على الصانع فالعلم بوجوده

---

(1) – ق 6 – 7

(2) – يوسف 105

أظهر من دلالته و لهذا قالت الرسل لأممهم أفي اللّه شكٌ)) (1).

هـ) و من دلائل أهمية هذا الأسلوب أنّه - يخاطب - جميع المدعوين، فهو - يخاطب الفطرة و يحركها، يُخَاطِبُ الكافرين ﴿أو لم ير الذين كفروا أنّ السموات و الأرض كانتا رتقا ففتقناهما و جعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون، و جعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم و جعلنا فيها فجاجا شبلا لعلهم يهتدون، و جعلنا السماء سقفا محفوظا و هم عن آياتها معرضون﴾ (2)، و يخاطب المؤمنين ليثبتوا على إيمانهم و عقيدتهم و تقواهم ﴿إنّ في اختلاف الليل و النهار و ما خلق اللّه في السموات و الأرض لآيات لقوم يتقون﴾ (3)

2) - <u>القصص القرآني و أسلوب لفت الأنظار و العقول إلى خلق اللّه و نعمه</u> :

هذا الأسلوب استعمله الرسول ﷺ في دعوته المشركين إلى توحيد اللّه سبحانه و تعالى و لفت أنظارهم إلى عظمة اللّه و وجوده و قدرته التي لا حد لها، و قد ظهر ذلك جليا في القرآن الكريم كما ذكرنا سابقا من خلال الآيات التي تدعو إلى التأمل و التفكر و النظر في ملكوت السموات و الأرض، و قد جاء في القصص القرآني عن الأنبياء و الرسل عليهم الصلاة و السلام و عن غيرهم إستعمال هذا الأسلوب في الدعوة إلى اللّه نلخصه فيمايلي :

أ) في قصة آدم عليه السلام يُذَكِرُ اللّهُ العِبادَ بالنعم التّي أنْعَمَهَا على أبيهم فقد خلقه من تراب ثم نفخ فيه من روحه و أدخله الجنة، و تاب عليه و هداه بعد زلةٍ، و أسْجَدَ لَهُ الملائكةَ، و علّمه من العلوم ما لم يكن يعلم، و هذا يجعل ذريته يلتفتون إلى كل هذه النعم للرجوع إلى خالقهم و الخضوع له قال تعالى ﴿و من آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشرٌ تنتشرون﴾ (4)، و الآيات التي تحمل هذه المعاني كثيرة في القرآن الكريم.

ب) و إستعمل نوح عليه السلام هذا الأسلوب حيث راح يذكر قومه بخلقهم، و يلفت أنظارهم إلى خلق سبع سموات طباقا و ما فيهنّ من كواكب، و يذكرهم بأصلهم الأول الذي خلقوا منه و

---

(1) - مفتاح دار السعادة : لإبن القيم، ج1، ص 280

* عدد آيات الأحكام حوالي 600 آية من مجموع أكثر من ستة آلاف آية من آيات القرآن (أنظر الفرقان و القرآن : خالد العك، ص 603 إلى 613)

(2) - الأنبياء 30 - 31

(3) - يونس 06

(4) - الروم 20

هو التراب و أنّهم سيرجعون إليه ثم يبعثون. قال تعالى ﴿ما لكم لا ترجون لله وقارا، و قد خلقكم أطوارا، ألم تروا كيف خلق اللّه سبع سموات طباقا، و جعل القمر فيهنّ نورا و جعل الشمس سراجا، و اللّه أنبتكم من الأرض نباتا، ثم يعيدكم فيها و يخرجكم إخراجا، و اللّه جعل لكم الأرض بساطا، لتسلكوا منها سبلا فجاجا﴾ (1)

- يقول ابن كثير في هذه الآيات

((و كل هذا ما ينبههم به نوح عليه السلام على قدرة اللّه و عظمته في خلق السموات و الأرض و نعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية و الأرضية، فهو الخالق الرزّاق جعل السماء بناء و الأرض مهادا و أوسع على خلقه من رزقه، فهو الذي يَجِبُ أن يُعْبَدَ و يُوَحَدَ و لا يشرك به أحد لأنّه لا نظير له و لا عديل له و لا ند و لا كفء، و لا صاحبة و لا ولد و لا وزير و لا مشير بل هو العلي الكبير)) (2).

- و يقول ابن قتيبة في قوله تعالى ﴿ما لكم لا ترجون لله وقارا﴾ أي لا تخافون له عظمة، ﴿و قد خلقكم أطوارا﴾ أي ضروبًا، يقال : نطفةً ثم علقةً، ثم مضغة، ثم عظما. (3)

- فنوح عليه السلام يمضي في جهاده و دعوة قومه، فنجده يأخذ بقومه إلى آيات اللّه في أنفسهم و في الكون من حولهم، و هو يعجب من إستهتارهم و سوء أدبهم مع، و ينكر عليهم ذلك الإستهتار... و لا شك أنّ نوحا قد دعا قومه بما تدركه عقولهم، فالأطوار شيء يعرفونه في ذلك الزمان فهو يرجو وراء تذكيرهم به أن يكون له في نفوسهم وقع مؤثر، يقودهم إلى الإستجابة، و الذي عليه أكثر المفسرين أنّها الأطوار الجنينية من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى الهيكل إلى الخلق الكامل... و هذا يمكن أن يدركه القوم، نوح عليه السلام وجه قومه إلى النظر في أنفسهم، و وجههم إلى كتاب الكون المفتوح... و أشار إلى نشأتهم و هي نشأة كنشأة النبات.

---

(1) - نوح 13 - 20

(2) - تفسير ابن كثير : ج07، ص 125

(3) - تفسير غريب القرآن : لأبي محمد عبد اللّه بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، لبنان، 1978م، ص 487

و أخيرا وجه نوح قلوب قومه إلى نعمة اللّه عليهم في تيسير الحياة لهم على هذه الأرض و تذليلها لهم. (1)

جـ) و في قصة هود الذي بُعِثَ إلى قوم استخلفهم اللّه بعد قوم نوح عليه السلام، و قد كانوا أصحاب قوة و تقدم و رقي بلغوا قمة الحضارة فقد كانوا ينحتون من الجبال بيوتا، و يبنون القصور و الدور و المصانع كما جاء في القرآن الكريم، فغرتهم الحياة الدنيا بعد هذه السعة و البسط في الرزق و الخلق، فقالوا ﴿من أشدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ (2)، و قد حذرهم هود من العبث و الفساد و البطش في الأرض فقال لهم ﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون، و تتخذون مصانع لعلّكم تخلدون، و إذا بطشتم بطشتم جبّارين﴾ (3) أي أتبنون بكل مكان مرتفع علَمًا للمارة تعبثون ببنائها إذ كانوا يهتدون بالنجوم في أسفارهم فلا يحتاجون إليها، و كانوا يبنون بنايات يعبثون فيها، و قصورا يفتخرون بها، و حصونا مشيدة لعلّكم تخلدون، و هم يبطشون غاشمين بلا رأفة و لا قصد تأديب و نظرٍ في العاقبة. (4)

أراد هود أن يذكرهم بهذه النعم التي أسبغها اللّه عليهم، فهي تستوجب التوحيد و الشكر، و أنذرهم من سوء عاقبة الإعراض عن نعمه سبحانه و تعالى ﴿و اتقوا الذي أمدّكم بما تعلمون، أمدّكم بأنعام و بنين، و جنات و عيون، إنّي أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ (5) و قال لهم ﴿و اذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح و زادكم في الخلق بصطة فاذكروا آلاء اللّه لعلّكم تفلحون﴾ (6) و هذا أسلوب لفت العقول و التذكير بنعم اللّه.

د) يأتي صالح بعد هود ليجد قومه مفسدين في الأرض، فيحاول تذكيرهم بما حدث لعاد قوم هود الذين أبادهم اللّه و أهلكهم لأنّهم لم يشكروا نعمه، فاللّه سبحانه و تعالى منّ على قوم صالح إذ استخلفهم في الأرض و مكنّ لهم فيها بإعمارها، و آتاهم فنون النحت و البناء و

---

(1) – في ظلال القرآن : سيد قطب، ج06، ص 3713 – 3715 بتصرف.

(2) – فصلت 15

(3) – الشعراء 128 – 130

(4) – تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل و أسرار التأويل : عبد اللّه بن عمر الشيرازي البيضاوي، دار الفكر، 1982 م، ص 493

(5) – الشعراء 132 – 135

(6) – الأعراف 69

الصناعة و غير ذلك لكنّهم كانوا من المفسدين، فأراد صالح أن يذكر القوم بفضل اللّه عليهم، و يحذرهم من الظن أنّ هذه النعم تؤمنهم من حلول عذاب اللّه بهم و تبديل أمنهم خوفا و نعيمهم شقاء فيقول ﴿و اذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد و بوّأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا و تنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء اللّه و لا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ (1) و قال ﴿أَتُتْرَكُونَ في ما هاهنَا آمنين، في جنات و عيون، و زروع و نخل طلعها هضيم، و تنحتون من الجبال بيوتا فارهين﴾ (2)

أتتركون : إنكار لأن يُتْركوا كذلك و تذكير بالنعمة، فارهين : حاذقين من الفراهة و هي النشاط فإنّ الحاذق يعمل بنشاط. (3)

هـ) و شعيب عليه السلام قال لقومه و هو يدعوهم ﴿و اتقوا الذي خلقكم و الجبلّة الأولين*﴾(4) فهو يخوفهم بأس اللّه الذي خلقهم و خلق آبائهم الأوائل (5)، فهو أسلوب يذكر به قومه بأحد النعم الإلهية و هي نعمة الوجود و الخلق، فهو الذي خلقهم كما خلق آباءهم الأولين.

و) أمّا موسى عليه السلام فقد إستعمل هذا الأسلوب، أسلوب التذكير بالنعم و لفت الأنظار إلى عظمة الخالق، إستعمله مع فرعون أولا ثم مع قومه ثانيا.

(1) - فرعون طاغية إدّعى الألوهية و الربوبية، فكان لزاما على موسى أن يلفت نظره و عقله إلى أنّ لهذا الكون ربا و خالقا، و أن يذكره ببعض نعم اللّه عليه، ليحس فرعون بقوة الخالق العظيم، و يعرف و يرى ضعفه و عجزه أمام اللّه سبحانه و تعالى، فلمّا سأل فرعون موسى و هارون قائلا ﴿فمن ربكما يا موسى﴾ قال له موسى ﴿ربنا الذي أعطى كل شيء خَلْقَهُ ثم هدى﴾ (6) بيّن عليه السلام أنّ اللّه هو الذي خلق كلّ شيء بكل دقة و إحكام ، و

---

(1) - الأعراف 74

(2) - الشعراء 146 - 149

(3) - المرجع السابق، تفسير البيضاوي : ص 494

(*) - الجبلّة الأولين : ذوي الجبلة الأولين يعني من تقدمهم من الخلائق، (تفسير البيضاوي، ص 496)

(4) - الشعراء 184

(5) - تفسير ابن كثير : ج05، ص 203

(6) - طه 50

أنّك يا فرعون مهما طغيت و ادعيت... فأنت مخلوق من مخلوقات اللّه.

فأراد فرعون أن يبتعد عن هذا الموضوع فسأل موسى ﴿فما بال القرون الأولى﴾ (1)، فكان جواب موسى على هذا السؤال قصيرا، أرجع تذكير فرعون بعظمة الخالق، و لفت نظره إلى آياته في الكون، و نعمه التي لا تعد و لا تُحصى المبثوثة في الأنفس و في الآفاق، و في هذا دعوة لفرعون أن يرجع إلى توحيد اللّه.

﴿قال علمها عند ربي في كتاب لا يَضِلُ ربي و لا ينسى، الذي جعل لكم الأرض مهادا و سلك لكم فيها سبلا و أنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجًا من نبات شتى، كلوا و ارعوا أنعامكم إنّ في ذلك لآيات لأولي النهى*﴾ (2)

و قال السيوطي في تفسيره لأولي النهَى هم أولوا التُقَى الذين ينتهون عما نهوا عنه، و عن ابن عبّاس رضي اللّه عنهما في قوله لأولي النهى قال لذوي الحِجَا و العقل (3).

(2) – موسى عليه السلام بعث إلى بني إسرائيل و هم قوم معروفون بغلظتهم و شدتهم و قتلهم الأنبياء و استكبارهم و جبنهم و معصيتهم و نكرانهم لنعم اللّه عليهم، فما إن جاوزوا البحر و نجوا من فرعون و جنوده حتّى رجعوا إلى الشرك فقد طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهًا آخر و أرادوا عبادة العجل و الأصنام قال تعالى : ﴿و جاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يَعْكُفُونَ على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، قال إنّكم قوم تجهلون﴾ (4)، و قد عبدوا العجل فعلا بعد خروج موسى لربّه، فلمّا رجع عَاوَدَ دعوتهم و تذكيرهم بنعم اللّه عليهم إذ أنجاهم من آل فرعون فقال ﴿و إذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة اللّه عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب و يذبحون أبناءكم و يستحيون نساءكم و في ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ (5)، و قد تاب اللّه عليهم بعد توبتهم ﴿يا قوم إنّكم

---

(1) – طه 51

* النُهَى : جمع نُهيَةٍ، و هو العقلُ الناهي عن القبائح، (المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان، ص 507).

(2) – طه 52 – 54

(3) – الذر المنثور في التفسير بالمأثور : جلال الدّين السيوطي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج4، ص 302

(4) – الأعراف 138

(5) – إبراهيم 06

ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العِجْل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير" لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنّه هو التّوّابُ الرّحيم﴾ (1)

و بنفس الأسلوب يذكر موسى قومه بلغمة الملك و المال الذي آتاهم و لم يُؤْتَ أحد من العالمين، و بنعمة النبوة التي جعلها في عدد كبير من بني إسرائيل ﴿و إذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة اللّه عليكم إذ جعل فيكم أنبياء، و جعلكم ملوكا و آتاكم ما لم يُؤْتِ أحَدًا من العالمين﴾ (2).

ز) في قصة أصحاب القرية التي ذكرها اللّه عزّ و جلّ في سورة يس، و قد كفر أصحاب القرية بجميع الرسل الذين جاءوهم، جاءهم رجل مؤمن صاحب يس من أقصى المدينة يسعى و قال لهم ﴿و ما لي لا أعبد الذي فطرني و إليه ترجعون، أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرّحمن بضر لا تغن عنّي شفاعتهم شيئًا و لا ينقذون، إنّي إذن لفي ضلال مبين﴾ (3)

يقول الشنقيطي في تفسيره (4)

- فطرني : معناه خلقني و ابتدعني، و دلت الآية من أنّ الذي يخلق هو وحده الذي يستحق أن يعبد، ﴿أأتخذ من دونه آلهة﴾ الإستفهام هنا للإنكار، و هو مضمن معنى النفي : أي لا أعبد من دون اللّه معبودات، إن أرادني اللّه بضر لا تقدر على دفعه عنّي، و لا تقدر أن تنقذني من كرب، و ما تضمنته هذه الآية الكريمة من عدم فائدة المعبودات من دون اللّه جاء موضحا في آيات كثيرة من كتاب اللّه.

و يقول عبد الكريم الخطيب في الآيات السابقة أسئلة إنكارية، ينكر بها الرجلُ على نفسه ألا يكون في العابدين لله، الذي فطره، و الذي إليه موعده و لقاؤه مع النّاس يوم الحشر، إنّه لابد أن يكون له إله يعبده... أفيترك عبادة من خلقه و رزقه، و الذي يميته ثم يحييه... و يعبد آلهة من دون اللّه، إن يرده اللّه بضر لا تغني عنه هذه الآلهة شيئًا، و لا تَمُدُ يدها لإنقاذه مما يريده اللّه به من ضر... و أي ضلال بعد هذا الضلال الذي يدع فيه الإنسان جبل الممدود

---

(1) - البقرة 54

(2) - المائدة 20

(3) - يس 22 - 24

(4) - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : محمد الأمين بن محمد المحتار الجكني الشنقيطي، إدارة الإفتاء و الدّعوة الرياض، ج06، ص 658

إليه ؟ (1)

و النماذج و الصور في هذا الأسلوب كثيرة جدا :

فهناك من الأنبياء من استعمل هذا الأسلوب بأكثر دقة و عمق في العرض و التأثير، و لمن أراد الفائدة أكثر أن يرجع إلى قصة إبراهيم عليه السلام مثلا في سور مريم و الصافات و العنكبوت و الأنبياء و غيرها من السور.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) – التفسير القرآني للقرآن : عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، ج 21 – 24، ص 916

المبحث الثاني : الترغيب و الترهيب

1) - **أهميته** :

يرتكز هذا الأسلوب على منهجين من المناهج العامة للدّعوة إلى اللّه، يرتكز على المنهج العاطفي بالدّرجة الأولى ثم المنهج العقلي بالدرجةالثانية، فالبشر جبلوا على حبّ الخير و كراهية الشر، سرعان ما يتأثرون بالتبشير و الإنذار و الوعد و الوعيد، و تذكير النّاس بما ينتظرهم من نعيم و جنة و من عذاب و نار يحرك فطرهم التي تدعوهم إلى الإيمان باللّه و توحيده خوفا و طمعا.

فالترغيب و الترهيب قاعدة أساسية في قواعد و أساليب الدّعوة إلى اللّه، و هي في الحقيقة صالحة و مُؤَثِرَةٌ في جميع أصناف المدعَوين، خاصة منهم المؤمنين و العصاة و الغافلين، فكل صنف من أصناف المدعوين يدعى بالأسلوب المناسب له، و لقد بيّن ابن القيم (1) أنّ اللّه سبحانه و تعالى جعل مراتب الدّعوة بحسب مراتب الخلق، فالمستَجيبُ القابل الذي لا يعاند يُدْعى بطريق الحكمة، و القابل الذي عنده نوع من الغفلة يدعى بالموعظة الحسنة و هي الأمر و النهي المقرون بالترغيب و الترهيب، و أمّا المُعَانِدُ الجَاحِدُ فيجادل بالتي هي أحسن.

و الترغيب و التبشير غالبًا ما يسبق الترهيب، فالدّاعية إلى اللّه يبشر النّاس و يعلّمهم أمور دينهم، و يكشف لهم عن أحكامه و أسراره و خيره الكبير قبل أن ينذرهم بعاقبة من خالف و عصى، و إن كان ((الأصل أنّ أسلوب الترغيب يكون موازيا لأسلوب الترهيب، و الرجاء يوازي الخوف، و من خلالهما معا تكسب الدّعوة إلى اللّه أنصارا مؤيدين، منهم من أقبل على العمل حُبًا في اللّه، و منهم من أقبل عليه خوفا منه، و في هذا و ذاك خير إن شاء اللّه)) (2).

و هذا الأسلوب جاء في القرآن و قصصه، فاللّه سبحانه و تعالى أمر نبيّه بأن يبشر الكافرين و المؤمنين و العصاة بالمغفرة و التوبة و دخول الجنة، قال تعالى :

﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يُغفَرْ لهم ما قد سلف و إنْ يَعُودوا فقد مضت سنة

---

(1) – التفسير القيم لابن القيم : ص 344

(2) – فقه الدّعوة إلى اللّه : علي عبد الحليم محمود، دار الوفاء المنصورة، ط1، 1990، جـ1، ص 233

الأولين﴾ (1)

﴿قل إن كنتم تحبون اللّه فاتبعوني يحببكم اللّه و يغفر لكم ذنوبكم﴾ (2)

﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللّه إنّ اللّه يغفر الذنوب جميعا إنّه هو الغفور الرّحيم﴾ (3)

و هذا باب كبير يفتح فيه اللّه سبحانه و تعالى الرجاء أمام عبده الضعيف لعلّه يتوب و يرجع إليه.

و قد صرّفَ اللّه سبحانه و تعالى في القرآن من الوعيد لعباده لعلّهم يتقون و يتذكرون، قال تعالى ﴿و صرّفنا فيه من الوعيد لعلّهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا﴾ (4) و قال ﴿و لقد صرّفنا للنّاس في هذا القرآن من كل مثل﴾ (5).

((بمعنى نوعنا أساليب الوعيد في القرآن، و ضربها لنا مثلاً، أي أنّنا آتيناهم في هذا القرآن من كل مثل، مفرغة في قوالب مختلفة، و المقصود منها كلها الذكرى و الإعتبار، فمن لم يتعظ بمثل اتعظ بآخر، و من لم ينفعه وعيدٌ في آية ربّما نفعه وعيدُ آية أخرى... فالنفوس تتأثر بالخوف أكثر مما تتأثر بالطمع و الرجاء، و يدفعها الخوف أكثر ممّا يجذبها الرجاء، و هذا شيء محسوس معروف من طباعنا، نعم الرجاء و الخوف سلطانان زاجران في العباد.....)) (6).

و سنرى فيمايلي أسلوب الترغيب و الترهيب بصوره المتعددة في القصص القرآني و كيف استعمله الأنبياء و المرسلون.

---

(1) – الأنفال 38

(2) – آل عمران 31

(3) – الزمر 53

(4) – طه 113

(5) – الإسراء 89

(6) – في رحاب القرآن، تفسير سورتي مريم و طه : بيوض إبراهيم بن عمر، تحرير عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، نشر جمعية التراث غرداية، الجزائر، 1995 م، ص : 391

2) - <u>الترغيب في القصص القرآني</u>

أ) - جاء في القصص القرآني على لسان الأنبياء ترغيبُ المدعوين بالخير الآجل، و النعيم و رضوان اللّه، و الوعد بالرحمة و المغفرة، و تكفير السيئات، و الفوز بالجنة، و ذلك بمجرد الرجوع إلى اللّه سبحانه و تعالى و التوبة إليه، فقد فتح الأنبياء باب الرجاء لكل المدعوين و بينوا لهم أنّ اللّه يقبل توبة العبد مهما عظمت ذنوبه.

• فنوح عليه السلام ﴿قال يا قوم إنّي لكم نذير مبين، أن أعبدوا اللّه و اتقوه و أطيعون، يغفر لكم من ذنوبكم﴾ (1)

و قال ﴿فقلنا استغفروا ربّكم إنّه كان غفّارًا﴾ (2)

و بيّن لهم ألا يعجبوا من رحمة اللّه التي تشملهم جميعا إذا اتقوا ﴿أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجلٍ منكم لينذركم و لتتقوا و لعلّكم ترحمون﴾ (3)

• و صالح عليه السلام ﴿قال يا قوم لِمَ تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون اللّه لعلّكم ترحمون﴾ (4)

• و شعيب في قوله تعالى ﴿و استغفروا ربكم ثم توبوا إليه إنّ ربّي رحيم ودود﴾ (5).

• و لوط عليه السلام رغبّ قومه في الخير و استمالهم إلى الطهر و الزواج، و الإقلاع عن الفاحشة و اللّواط فقال ﴿يا قوم هؤلاء بناتي هنّ أطهر لكم فاتقوا اللّه و لا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد﴾ (6)

• و مؤمن آل فرعون قال ﴿يا قوم إنّما هذه الحياة الدنيا متاع و إنّ الآخرة هي دار القرار، من عمل سيئةً فلا يجزى إلاّ مثلها و من عمل صالحا من ذكر أو أنثى و هو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب﴾ (7)

---

(1) - نوح 2 - 4

(2) - نوح 10

(3) - الأعراف 63

(4) - النمل 46

(5) - هود 90

(6) - هود 78

(7) - غافر 39 - 40

هذا الدّاعية الجريء و الشجاع بعد أن واجه فرعون و ملأه المتآمرين معه من أمثال هامان و قارون وزيري فرعون، راح يكشف للقوم حقيقة الحياة الدنيا، فهي متاع زائل لا ثبات له و لا دوام، و أنّ الآخرة هي دار القرار، فهي الأصل و إليها النظر و الإعتبار، ثم يقرر لهم قاعدة الحساب و الجزاء في دار القرار، فلقد إقتضت حكمة اللّه و فضله أن تضاعف الحسنات و لا تضاعف السيئات رحمة من اللّه بعباده، و تقديرا لضعفهم، و للجوانب و الموانع لهم في طريق الخير و الإستقامة، فضاعف لهم الحسنات، و جعلها كفارة للسيئات، فإذا هم وصلوا إلى الجنة بعد الحساب، رزقهم اللّه فيها بغير حساب، و في هذا ترغيب من مؤمن آل فرعون لقومه كي يتبعوا سبيل الرشاد. (1)

ب) و في القصص القرآني ترغيب للمؤمنين ببيان رحمة اللّه بهم و رعايتهم و إدراكهم بالنجاة و إستجابة الدعاء حين يصيبهم مكروه أو سوء، و هو في نفس الوقت ترغيب للمعرضين عن دين اللّه في الإستجابة ليكونوا من المحسنين و لينالوا رضا اللّه و رحمته.

- و أول هذه الصور في القصص القرآني، إستجابة اللّه دعوة أبينا آدم و حواء عليهما السلام عندما أنابا إلى اللّه و رجعا إليه معترفين بظلمهم لأنفسهم ﴿قالا ربّنا ظلمنا أنفسنا و إن لم تغفر لنا و ترحمنا لنكونّن من الخاسرين﴾ (2)

﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنّه هو التواب الرّحيم﴾ (3).

- إستجابة دعاء موسى لمّا اعترف بما اقترفه من قتل القبطي الذي كان يقتتل مع إسرائيلي ﴿و دخل المدينة على حين غفلة...، قال ربّ إنّي ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنّه هو الغفور الرّحيم﴾ (4)

ثم نجّاه سبحانه و تعالى من فرعون و ملائه، فهاجر موسى عليه السلام، و هيأ اللّه له من آواه و أحتضنه و أكرمه و زوجّه بناته، و في هذا ترغيب و بيان كذلك لسنن اللّه و قوانينه التي لا تتبدل و لا تتغير.

---

(1) – في ظلال القرآن : سيد قطب، ج 05، ص : 3082 – 3083

(2) – الأعراف 23

(3) – البقرة 37

(4) – القصص 15 – 16

• إستجابة دعاء يونس عليه السلام و هو في بطن الحوت ﴿فنادى في الظلمات أن لا إله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فاستجبنا له و نجيناه من الغم و كذلك ننجي المؤمنين﴾ (1)

كما كشف سبحانه و تعالى العذاب عن قومه، و متّعهم في هذه الحياة الدنيا، لأنهم آمنوا و رجعوا إلى اللّه ﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلاّ قوم يونس لمّا آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا و متّعناهم إلى حين﴾ (2).

قوم يونس عليه السلام عندما رأوا أمارات العذاب الذي أنذرهم به نبيهم آمنوا و صدّقوا، فكشف اللّه عنهم هذا العذاب الذي ينزل بهم، و متعهم بالحياة المقدرة لهم، إلى حين إنقضاء آجالهم في هذه الدنيا. (3)

• و في قصة أصحاب الكهف عبرة ترغيبية لكل مؤمن أن يستمسك بالإيمان و الحق و يَعُظَّ عليه بالنواجد مهما كلّفه ذلك، فهؤلاء الفتية و الشباب فرّوا بدينهم، و لجأوا إلى كهف و قالوا ﴿ربّنا آتنا من لدنك رحمة و هيء لنا من أمرنا رشدا﴾ (4)

فاستجاب اللّه لهم، و ضرب على آذانهم في الكهف سنين عددا قدّرت بقرون ثلاثة و أزيد، ثم بعثهم من مرقدهم و أنجاهم و زادهم هدى، و القصة من أروع القصص القرآني يمكن للدعاة أن يستفيدوا منها إستفادة كبيرة من خلال دراستها دراسة عميقة و استخراج عبرها، و استنباط بعض القواعد الدعوية فيها.

جـ) – و يأتي الترغيب في القصص القرآني بوعد المدعوين بالزيادة المطلقة في النعم و الخيرات مع البركة و النماء، و الترغيب عن طريق الوعد بالمغفرة و تأجيل العقوبة في حالة التوبة و الإيمان و التقوى قال تعالى ﴿و لو أنّ أهل القُرى آمنوا و اتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء و الأرض﴾ (5).

---

(1) – الأنبياء 87 – 88

(2) – يونس 98

(3) – التفسير الوسيط : محمد السيد طنطاوي، ط02، 1986 م، ج 7 ، ص : 175

(4) – الكهف 10

(5) – الأعراف 96

• و قد جاءت دعوة الرسول ﷺ في القرآن الكريم لأهل الكتاب بهذا الأسلوب، قال سبحانه و تعالى ﴿و لو أنّ أهل الكتاب آمنوا و أتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم و لأدخلناهم جنات النعيم، و لو أنّهم أقاموا التوراة و الإنجيل و ما أنزل إليهم من ربّهم لأكلوا من فوقهم و من تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة و كثيرة منهم ساء ما يعملون﴾ (1)

((أي لو أنّهم آمنوا باللّه و رسوله و اتقوا ما كانوا يتعاطون من المآثم و المحارم، لأزلنا عنهم المعذور و أنلناهم المقصود، لو أنّهم عملوا بما في الكتب التّي بأيديهم عن الأنبياء على ما هي عليه من غير تحريف و لا تبديل و لا تغيير، لقَادهم ذلك إلى إتباع الحق و العمل بمقتضى ما بعث اللّه به محمدﷺ، فإن كتبهم ناطقة بتصديقه و الأمر باتباعه حتما لا محالة، فلو إلتزموا لنزل عليهم الرزق من السماء و لخرج النبات من الأرض، و لأرسل السماء عليهم مدرارا)) (2).

• و جاء نفس الأسلوب في دعوة هود و نوح عليهما السلام، قال هود ﴿يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا و يزدكم قوة إلى قوتكم و لا تتولوا مجرمين﴾ (3).

و قال نوح عليه السلام ﴿فقلت استغفروا ربّكم إنّه كان غفّارًا، يرسل السماء عليكم مِدْرَارًا، و يمددكم بأموال و بنين و يجعل لكم جنات و يجعل لكم أنهارا﴾ (4).

و استعمل نوح عليه السلام أسلوب الترغيب بالمغفرة و تأجيل العقوبة إلى أجل مسمى عندما قال لقومه ﴿يا قوم إنّي لكم نذير مبين، أن اعبدوا اللّه و اتقوه و أطيعون، يغفر لكم من ذنوبكم و يؤخركم إلى أجل مسمى إنّ أجل اللّه إذا جاء لا يؤخّرُ لو كنتم تعلمون﴾ (5).

يقول الألوسي (6) الأجل المسمى هو الأمد الأقصى الذي قدره اللّه تعالى بشرط الإيمان و

---

(1) – المائدة 65 – 66

(1) – تفسير ابن كثير : ج02، ص : 606 – 607

(2) – هود 52

(3) – نوح 10 – 12

(4) – نوح 2 – 4

(5) – تفسير روح المعاني : شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، دار الفكر، لبنان، 1983 م، المجلد 10، ج29، ص 88.

الطاعة وراء ما قدره عز و جل لهم تقدير بقائهم على الكفر و العصيان، فإن وصف الأجل بالمسمى و تعليق تأخيرهم إليه بالإيمان و الطاعة صريح في أنّ لهم أجلا آخر لا يجاوزونه إن لم يؤمنوا، و هو الأجل الذي قدّره اللّه عز و جلّ لكم على تقدير بقائكم على ما أنتم عليه، فبادروا إلى الإيمان و الطاعة قبل مجيئه، حتى لا يتحقق شرطه الذي هو بقاؤكم على الكفر و العصيان، فلا يجيء و يتأخر شرط التأخير إلى الأجل المسمى فتؤخروا إليه... و أيّا كان لا تناقض بين يؤخركم و إنّ أجل اللّه إذا جاء لا يؤخر كما يتوهم، و قال الزمخشري في ذلك ما حاصله أنّ الأجل أجلان، و أجل اللّه حكمه حكم المعهود، و المراد منه الأجل المسمى الذي هو آخر الآجال.

3) - <u>الترهيب في القصص القرآني</u> :

الأصل كما قلنا في بداية هذا المبحث أنّ الترهيب يوازي الترغيب، و الرجاء يوازي الخوف، لذلك نجد الأنبياء و الرسل قد إستعملوا الأسلوبين في وقت واحد، و الملاحظ في القرآن الكريم و قصصه أنّ أسلوب الترهيب و التهديد ورد أكثر من أسلوب التبشير و الترغيب، و هذا يدل على أنّ النفس البشرية تتأثر بالخوف أكثر مما تتأثر بالطمع و الرجاء، و يدفعها الخوف إلى الإستجابة أكثر مما يجذبها الرجاء إلى العمل و التقوى.

((فالترهيب و التهديد أسلوب قرآني يعالج النفس البشرية و حبها للأمن و السلامة - في الدنيا و الآخرة - و إيثارها البعد عن الخوف و الخطر، و ذلك من خلال تخويفها و تهديدها، و يمكن عرض الدّعوة إلى اللّه بهذا الأسلوب لجذب النّاس إلى الحق خوفا من العقاب و خوفا من فقدان السلامة و الأمن)) (1).

إنّنا نجد لهذا الأسوب في القرآن و قصصه صورا عديدة و متنوعة نوجزها فيمايلي :

أ) هناك حرب نفسية دائمة بين المؤمنين و الكافرين، فالكافرون واجهوا الأنبياء و المرسلين و الدعاة بالسخرية و الإستهزاء، و مقابلة دعوتهم و نصحهم بالضحك و الإزدراء، و قذفهم بالإتهامات و الأباطيل، و هنا يأتي القرآن الكريم في عدّة سور يرهب الكفار و هو يصف أحوالهم و ما أعدّ لهم من العذاب، و في هذا ترهيب و تهديد و حرب نفسية عليهم، و يأتي هذا الترهيب على شكل حوار و قصص و كلام متبادل بين أصحاب النّار و أصحاب الجنة، مثل ما هو الحال في سورة الأعراف، قال تعالى ﴿و نادى أصحاب الجنة أصحاب النّار أن قد وجدنا

---

(1) - فقه الدّعوة إلى اللّه : علي عبد الحليم محمود، ج01، ص 232

ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقًا قالوا نعم فأذن مؤذنٌ بينهم أن لعنةُ اللّه على الظالمين، الذين يصدون عن سبيل اللّه و يبغونها عوجا و هم الآخرة كافرون﴾ (1).

و يمضي الحوار و ينادي أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم، أصحاب الأعراف ينادون الذين منعهم كفرهم و كبرياؤهم من الإستجابة لدعوة الأنبياء و الرسل، و قد وجدوا ما وعدهم ربّهم حقًا.

إنّ القرآن الكريم يذكر صورا كثيرة لحال الكفار، و هم يتلقون أصنافا من العذاب الأليم، في عدّة سور، و هذا من شأنه إثارة الخوف في نفوس المعرضين، و جذبهم إلى الإيمان للنجاة بأنفسهم من هذا العذاب.

ب) هذا الأسلوب جاء على لسان الأنبياء في قصصهم و دعوة قومهم، و تذكيرهم باليوم الآخر.

• فنوح عليه السلام قال لقومه، قال تعالى ﴿لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا اللّه ما لكم من إله غيره، إنّي أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ (2)، و في آية أخرى ﴿إنّي أخاف عليكم عذاب يوم أليم﴾ (3).

• و جاء كذلك في قصة موسى عليه السلام فيما يحكيه سبحانه و تعالى عنه بقوله : ﴿إنّا قد أوحي إلينا أنّ العذاب على من كذّب و تولى﴾ (4).

• و أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام دعا أباه بهذا الأسلوب فقال له ﴿فيا أبت إنّي أخاف أن يمسك عذابٌ من الرحمن فتكون للشيطان وليًا﴾ (5).

و قال لقومه بنفس الأسلوب و هو يرهبهم من عذاب النّار ﴿إنّما إتخذتم من دون اللّه أوثانا مودةً بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يَكْفُرُ بَعْضُكم ببعض و يلعنُ بعضُكم بعضا و مأواكم النّار و مالكم من ناصرين﴾ (6).

---

(1) – الأعراف 44 – 45

(2) – الأعراف 59

(3) – هود 26

(4) – طه 48

(5) – مريم 45

(6) – العنكبوت 25

• كما جاء هذا الأسلوب في دعوة مؤمن آل فرعون لقومه حيث قال ﴿يا قوم إنّي أخاف عليكم يوم التناد، يوم تولون مدبرين ما لكم من اللّه من عاصم و من يضلل اللّه فما له من هاد﴾ (1).

و لمّا ردّ هذا الرجل و الداعية المؤمن على دعوة قومه، أراد أن يرهبهم من النّار، و أن يذكرهم أنّ مردهم جميعا إلى اللّه فقال ﴿لا جرم أنّما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا و لا في الآخرة و أنّ مردنا إلى اللّه و أنّ المسرفين هم أصحاب النّار﴾ (2).

جـ) و يأتي الترهيب كذلك في القصص القرآني عن طريق تحذير المعرضين من عذاب اللّه العاجل في الدنيا، إذا أصرّوا على عدم قبول الحق و الكف عن الغي و الفساد، و يرهبهم و هو يذكرهم بمصير الأمم السابقة و ما أصابهم من التدمير و الهلاك، و ما أصاب كذلك بعض الأفراد من حرمان لمّا تكبّروا و تجبروا و طغوا.

• ففي أسلوب التحذير من عذاب اللّه العاجل القريب، نجد أنّ كل الأنبياء قد حذروا قومهم من هذا العذاب الأليم، لكنّ صالحا عليه السلام حذّرهم بنص العبارة من عذاب قريب فقال ﴿يا قوم هذه ناقة اللّه لكم آية فذروها تأكل في أرض اللّه و لا تمسّوها بسوء فيأخذكم عذاب قريبٌ﴾ (3).

• و أمّا التذكير بمصير الأمم السابقة فنجد شعيب عليه السلام يلفت نظر قومه إلى عاقبة المفسدين في آية، و في آية أخرى إلى تحذيرهم مما أصاب الأقوام التي سبقتهم، و هي ليست عنهم ببعيدة، قال شعيب عليه السلام ﴿و لا تقعدوا بكل صراط توعدون و تصدّون عن سبيل اللّه من آمن به و تبغونها عوجًا و اذكروا إذ كنتم قليلا فكثّركم و انظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾ (4).

﴿و يا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثلُ ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح و ما قوم لوط منكم ببعيد﴾ (5).

---

(1) – غافر 32 – 33

(2) – غافر 43

(3) – هود 64

(4) – الأعراف 86

(5) – هود 89

و مؤمن آل فرعون رهبَ قومه من أن يصيبهم ما أصاب الذين سبقوهم، و هو يَستَعْطِفُهُمْ في نفس الوقت حين يقول، إني أخاف، ﴿و قال الذي آمن يا قوم إنّي أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب، مثل دأب قوم نوح و عاد و ثمود و الذين من بعدهم و ما اللّه يريد ظلما للعباد﴾ (1).

• و ذكر القصص القرآني كما قلنا سابقا تدمير جماعات و قرى، و أفرادا، بسبب ظلمهم و استكبارهم و إفسادهم في الأرض، قال تعالى ﴿و كم أهلكنا من قرية بطِرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلاّ قليلاً و كنّا نحن الوارثين﴾ (2)، و في هذا ترهيب في أن يُصَابَ القومُ بمثل ما أُصيبَ به السابقون، ﴿و مّا أرسلنا في قرية من نبيء إلاّ أخذنا أهلها بالبأساء و الضراء لعلّم يضّرّعون﴾ (3).

ذكر القصص القرآني قصة قارون الذي آتاه اللّه من المال و الكنوز ما يعجز أولوا القوة عن حمل مفاتحِهَا و هو دليل على كثرة الكنوز و الخزائن، و قارون من قوم موسى، إذ قال له قومه من المؤمنين و المصلحين و الدعاة إلى الخير، لا تفرح إنّ اللّه لا يحب الفارحين، و كن من المحسنين و لا تكن من المفسدين، فاغترّ الرجل و قال إنّما أوتِيتُه عَلَى علم عندي، و نسي فضل اللّه عليه، و هو يعلم أنّ اللّه قد أهلك من قبله من هم أشدّ منه قوة و أكثر جَمْعًا، فكان جزاؤه ما أخبرنا به سبحانه و تعالى في قوله ﴿...فخسفنا به و بداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون اللّه و ما كان من المنتصرين﴾ (4).

و يمكن الرجوع إلى قصته في سورة القصص من الآية 76 إلى الآية 81.

و ذكر القصص القرآني قصة صاحب الجنتين، و قد أفاض اللّه عليه من النعم و المال و الولد، فقال ﴿ما أظن أن تبيد هذه أبدا﴾ (5)، و كفر بقيام الساعة و نسي اللّه و اليوم الآخر حتّى قال ﴿و ما أظن الساعة قائمة﴾ (6).

---

(1) – غافر 30 – 31

(2) – القصص 58

(3) – الأعراف 94

(4) – القصص 81

(5) – الكهف 35

(6) – الكهف 36

و قال له صاحبه و هو رجل مؤمن، أتكفر بالذي خلقك من تراب ثم سوّاك رجل، و هو يذكره بأصل نشأته لعلّه يذّكر، لكنّه أصرّ على تمادى و كفر، فكان جزاؤه أن أباد اللّه جنتيه اللتين ظن أنّه فيهما خالد، قال تعالى

﴿... و أحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها و هي خاوية على عروشها و يقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا، و لم تكن له فئة ينصرونه من دون اللّه و ما كان منتصرا﴾ (1).

و القصة مذكورة في سورة الكهف من الآية 34 إلى 43.

و قصّ سبحانه و تعالى قصة أصحاب الجنة في قوله تعالى : ﴿إنّا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمُنَّها مصبحين، و لا يستثنون، فطاف عليها طائف من ربك و هم نائمون فأصبحت كالصّريم، فتنادوا مصبحين، أن أغدُوا على حرثكم إن كنتم صارمين، فأنطلقوا و هم يتخافتون، أن لا يدخلنّها اليوم عليكم مسكين، و غدوا على حردٍ قادرين، فلمّا رأوها قالوا إنّا لضالون، بل نحن محرومون، قال أوسطُهم ألم أقل لكم لولا تسبحون، قالوا سبحان ربنا إنّا كنّا ظالمين، فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون، قالوا ياويلنا إنّا كنّا ظالمين، عسى ربنا أن يبدلنا خيرًا منها إنّا إلى ربّنا راغبون، كذلك العذاب و لعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ (2).

((هذا مثل ضربه اللّه تعالى لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة، و أعطاهم من النعمة الجسيمة، و هو بعثة محمدﷺ إليهم فقابلوه بالتكذيب و الردّ و المحاربة - و هذا إبتلاء لهم كما إبتلى أصحاب الجنة بالبستان المشتمل على الثمار و الفواكه - فحلفوا فيما بينهم ليجذن ثمرها ليلا لئلا يعلم بهم فقير و لا سائل، و لا يتصدّقوا منه بشيء، فلمّا كان الصبح نادى بعضم بعضا ليذهبوا إلى الجذاء أي القطع و هم يتخافتون، يقول بعضهم لبعض لا تمكنوا اليوم فقير يدخلها عليكم، فلمّا وصلوا إليها وجدوها قد صارت سوداء مدهمة لا ينتفع بشيء منها، فظنوا أنّهم قد أخطأوا الطريق، و لمّا تأكدوا أنّها هي قالوا : بل نحن محرومون لا حظ لنا و لا نصيب، فذكرهم أوسطهم و قال لهم ألم أقل لكم لولا تسبحون و تشكرون اللّه على ما أعطاكم و أنعم عليكم، - لكنّها سنةُ اللّه في خلقه - أي هكذا عذاب من خالف أمره و بخل بما

---

(1) - الكهف 42 - 43

(2) - القلم 17 - 33

آتاه و منع حق المسكين و الفقير و ذوي الحاجات، و بدل نعمة اللّه كفرا، و هذه عقوبة الدنيا و عذاب الآخرة أشق لو كانوا يعلمون)) (1).

و في القصص الذي سبق و هذه القصة ترهيب كبير، و زجر للنفوس المستكبرة كي تعود إلى اللّه بجانه و تعالى، و يمكن للدعاة أن يتخذوا هذا القصص قاعدة في الأسلوب، و مادة دعوية في التربية و التوجيه و الإعلام.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) – تفسير ابن كثير : ج07، ص : 87 – 88 – 89

المبحث الثالث : القدوة و القوة

1) – القدوة :

القدوة تكون في العمل و تطبيق مبادىء الدّين و إبراز مَحَاسِنِهِ للمدعوين، القدوة إلتزام من الدّاعية في مطابقة قوله لعمله، فالنّاس لا شك يتأثرون بالعمل و الفعل و القدوة الأخلاقية و السلوكية أكثر مما يتأثرون بالقول و الخطاب و الكتابة و الإعلام فقط، فالنّاس حين يرون الدّاعية قد إلتزم بما يدعو إليه يعلمون أنّه على ثقة كبيرة بنفسه و بما يدعو إليه و هذا يدفعهم إلى الإعتقاد الجازم بأنّ دعوته حق، و إذا لم يلتزم الدّاعية في حياته و سلوكه بما يدعوا إليه فقد ثقة النّاس، و أصبح كلامه لا أثر له عليهم، و من هنا كانت القدوة قاعدة أساسية من قواعد الدّعوة إلى اللّه، فالقدوة هي توافق الأقوال مع الأعمال و الأفعال، و بدون قدوة لا معنى للدّعوة، فالقدوة هي دعوة و أسلوب من أساليبها، و منهج تقوم عليه الدّعوة إلى اللّه.

و حين ننظر في القرآن الكريم و قصصه نجد أنّ الأنبياء و الرسل قد اصطفاهم اللّه و إختارهم لحمل الرسالة، فكانوا قدوة للنّاس من قبل أن يبعثوا، و من بعد أن بُعثُوا، و قد أمر اللّه عزّ و جّل النبيﷺ أن يقتدي بالرسل و الأنبياء الذين سبقوه في الدّعوة و ذلك بالإعتبار بقصصهم، قال تعالى ﴿أولئك الذين هدى اللّه فبهداهم اقتده﴾ (1)

فالتزم ﷺ بكل ما يوحى إليه، و كان خلقه القرآن كما قالت عائشة رضي اللّه عنها، تطابق قوله مع عمله، و إلتزم بأصول و مبادىء ما يدعو إليه، فمدحه ربّه و شهد له بالخلق العظيم فقال ﴿و إنّك لعلى خلق عظيم﴾ (2)

و أثنى عليه سبحانه و تعالى، و بيّن المؤمنين أنّ لهم فيهﷺ أسوة حسنة لمن كان يرجو اللّه و اليوم الآخر، و من كان يرجو اللّه و اليوم الآخر دعا بدعوته و إلتزم بسنته، لقد ﴿كان لكم في رسول اللّه إسوة حسنة لمن كان يرجو اللّه و اليوم الآخر و ذكر اللّه كثيرا ﴾ (3)

((هذه الآية الكريمة أصل في التأسي برسول اللّهﷺ في أقواله و أفعاله و أحواله، و لهذا أمر تبارك و تعالى النّاس بالتأسي بالنبيﷺ يوم الأحزاب في صبره و مصابرته و مرابطته

---

(1) – الأنعام 90

(2) – القلم 04

(3) – الأحزاب 21

و مجاهدته و إنتظاره الفرج من ربّه عزّ و جلّ)) (1)، فالرسولﷺ كان قدوة لجميع النّاس، و للمؤمنين خاصة، حتّى في الأوقات الحرجة و الصعبة، فقد كان مجاهدا صابرا مرابطا، راضيا بقضاء اللّه و قدره.

يقول سيّد قطب

((لقد كان رسول اللّهﷺ على الرغم من الهول المرعب و الضيق المجهد، مثابة الأمان للمسلمين، و مصدر الثقة و الرجاء و الإطمئنان، و إنّ دراسة موقفهﷺ في هذا الحادث الضخم يرسم لقادة الجماعات و الحركات طريقهم، و فيه أسوة حسنة لمن كان يرجو اللّه و اليوم الآخر، و تطلب نفسه القدوة الطيبة، و يذكر اللّه و لا ينساه)) (2)

ففي قصة غزوة الأحزاب عِبَرٌ كثيرة للدّعاة و المصلحين، خاصة في قدوتهﷺ ، يستحن الرجوع إليها ليرى القارىء كيف كان الرسولﷺ يجتَهِدُ و يعمل دون ملل، و كله أسوة و قدوة للصحابة رضي اللّه عنهم أجمعين.

و في قصص الأنبياء و المرسلين في القرآن الكريم تبرز الجوانب العملية و التطبيقية في حياة كثير من الأنبياء، فقد كانوا جميعا قدوة حسنة لأتباعهم و لمعارضيهم، تبرز قدوتهم و أسوتهم كأسلوب من أساليب دعوتهم لأقوامهم، تبرز قدوتهم تارة على ألسنتهم، و تارة من خلال حوارهم لخصومهم، و تارة أخرى شهادة من المدعوين على سموأخلاقهم و عُلوِ مكانتهم في المجتمع، و طُهْرِ نفوسهم و قلوبهم و سريرتهم.

أ) شعيب عليه السلام بيّن لقومه أنّه لن يأمرهم بأمر و لا يأتيه، و لن ينهاهم عن منكر و يأتيه، و لن يَسلُكُ طريقا غَمْرَ الطريق الذي يدعوهم إلى أتباعه، فهو على بيّنة من ربّه، يعلم أنّه داعية إلى اللّه، يريد الإصلاح ما إستطاع و يجب أن يوافق قولُه عملَه و سلُوكَهُ.

﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بيّنة من ربّي و رزقني منه رزقًا حسنا، و ما أريدُ أنْ أخالفكم إلى ما أنهاكم عنْهُ، إنْ أريد إلاّ الإصلاح ما استطعت، و ما توفيقي إلاّ باللّه عليه توكلت و إليه أنيبُ﴾ (3)

---

(1) – تفسير ابن كثير : ج05، ص 437

(2) – في ظلال القرآن : سيد قطب، ج05، ص 2841

(3) – هود 88

و هو عليه السلام بهذا الأسلوب يتلطّف و يلين كذلك في دعوة قومه، ((يتلطف شعيب تلطف صاحب الدّعوة الواثق من الحق، و يعرض عن تلك السخرية لا يبالي بها، و هو يشعر بقصورهم و جهلهم، يتلطّف في إشعارهم أنّه على بيّنة من ربّه كما يجده في ضميره و قلبه، و أنّه على ثقة مما يقول... فهو لا يبغي كسبًا شخصيًا من وراء دعوته لهم، فلن ينهاهم عن شيء ثم يفعله هو لتخلُو لَهُ السوق، إنّما هي دعوة الإصلاح العامة لهم و له و للنّاس و ليس فيما يدعوهم إليه خسارة عليهم كما يتوهمون)) (1).

ب) شهادة المدعوين بقدوة الأنبياء و طهرهم و مكانتهم العالية في وسطهم، فقوم لوط شهدوا له و الأتباعه بالطهر و التعفف، قال تعالى ﴿و ما كان جواب قومه إلاّ أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنّهم أناس يتطهّرُون﴾ (2)

((قال مجاهد : إنّهم أناس يتطهرون من أدبار الرجال و أدبار النساء، و قال قتادة : عابوهم بغير عيب)) (3).

و صالح عليه السلام ((جاء إلى قومه و ذكرهم أنواع التذكير و خوفهم بأس اللّه، فآمن له المستضعفون من قومه، و كفر الملأ و لم يؤمنوا له، و قد أبان لهم أنّه لا يسألهم أجرا على الهداية التّي يسديها إليهم و إنّما يطلب أجره من اللّه، و من كان شأنه كذلك يكون أبعد من تهمة جر النفع إلى نفسه بريئا من إتخاذ الدّعوة طريقا للكسب أو الرياسة)) (4).

فردّ عليه القوم و هم يشهدون له برجاحة العقل و لكن !؟ ﴿قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا و إنّنا في شكٍّ ممّا تدعوننا إليه مريب﴾ (5)

(قد كنت فينا مرجوا) أي كنّا نرجوك في عقلك قبل أن تقول ما قلت. (6).

و الدّاعية الكبير صاحب يس شهد للمرسلين بقدوتهم و علو قدرهم، و ترفعهم عن الأجر الدنيوي، قال تعالى ﴿و جاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين، اتبعوا

---

(1) – في ظلال القرآن : سيد قطب، ج 04، ص 1920

(2) – الأعراف 82

(3) – تفسير ابن كثير : ج03، ص 195

(4) – قصص الأنبياء: عبد الوهاب النّجار، مكتبة النهضة العربية، ط03، ص 62

(5) – هود 62

(6) – تفسير ابن كثير : ج03، ص 561

من لا يسألكم أجرا و هم مهتدون﴾ (1)

إنّه من القدوة و الأسوة الحسنة أن يتبرأ الدعاة و أتباعهم من أعمال الكفار، و شرك المشركين، و معاصي و العصاة، و فساد المفسدين، و هذا لا يمنعهم من دعوتهم، و لا يتناقض مع اللّين معهم و دعوتهم بالحكمة و الموعظة الحسنة قال تعالى ﴿لقد كانت لكم إسوةٌ حسنةٌ في إبراهيم و الذين معه، إذ قالوا لقومهم إنّا برآء منكم و ممّا تعبدون من دون اللّه كفرنا بكم و بدا بيننا و بينكم العداوة و البغضاء أبدا حتّى تؤمنوا باللّه وحده﴾ (2)

إنّ أنبياء اللّه و رسله كانوا قدوة في أعمالهم، و في عرضهم للدّعوة، و في أخلاقهم، فما من نبي من الأنبياء إلاّ و قد مدحه القرآن الكريم، و بيّن إستقامته على الدّين و الشرع، لأنّه جمع كل صفات الخير و الكمال و الطاعة، فإبراهيم عليه السلام مثلا قال فيه سبحانه و تعالى ﴿إنّ إبراهيم كان أمةً، قانتا لله حنيفا و لم يكُ من المشركين، شاكرا لأنعمه، إجتباه و هداه إلى صراط مستقيم﴾ (3)

أمّا الأمة فهو الإمام الذي يقتدى به، و القانت هو الخاشع المطيع، و الحنيف المنحرف قصدا عن الشرك إلى التوحيد. (4)

و القرآن الكريم يرسم إبراهيم عليه السلام نموذجا للهداية و الطاعة و الشكر و الإنابة، و يقول عنه إنّه كان أمة، و اللّفظ يحتمل أنّه يعدل أمة كاملة بما فيها من خير و طاعة و بركة، و يحتمل أنّه كان إماما يقتدى به في الخير. (5)

---

(1) – يس، 20 – 21

(2) – الممتحنة 04

(3) – النحل 120 – 121

(4) – مختصر تفسير ابن كثير: محمد علي الصابوني، ج02، ص 351

(5) – في ظلال القرآن : سيد قطب، ج04، ص 2201

2) القوة

حين نذكر كلمة "القوة" كأسلوب من أساليب الدّعوة إلى اللّه، يُتَبَادَرُ إلى الذهن دائما أنّها القتال و الجهاد، و الحقيقة أنّ القوة لا تعني بالدّرجة الأولى القتال و الجهاد في سبيل اللّه، بقدر ما تعني قوة الإيمان و الأخلاق، و قوة العلم و الحكمة في الدّعوة إلى اللّه، فالقوة هي جزء من القدوة الحسنة لجميع المدعوين و لكل أصنافهم، خاصة منهم غيْرَ المسلمين من كفار و أهل كتاب.

و لقد بيّنا في الفصل الأول، المبحث الرابع، أنّ القوة أخذ بالأسباب، و الأسباب صنفان، صنف معنوي، و صنف مادي، و يحتل الإعداد المعنوي المكان الأول، حتّى أن النصر ليرتبط بمدى الأخذ بهذا الإعداد أي الإعداد المعنوي.

و إذا رجعنا إلى كثير من الأحاديث النبوية نجد أنّ الرسولﷺ يبيّن أنّ الجهادَ جهادٌ يكون بالقول و اللسان و التربية و التعليم، جهاد بالمال، و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و قول كلمة الحق و العدل عند السلطان الجائر.

فالفهم الصحيح لأسلوب القوة ينبغي أن يفهم كما يبيّنه الرسولﷺ، فهمًا إيجابيا، لا فهما سلبيا كما يفهمه البعض أنّه عنفٌ و غلظةٌ على المدعوين سواء أكانوا مسلمين أو كفارا و منافقين أو كتابيين.

و الجهاد في الإسلام ليس غاية في حدّ ذاتها و إنّما هو وسيلة من وسائل الدّعوة إلى اللّه، لها قواعدها و شروطها و أحكامها الفقهية التي ينبغي على كل مسلم و داعية إلى اللّه أن يلتزم بها، فمن الغريب أن يتحول الجهاد في الإسلام من جهاد الكفار الذين يقفون في وجه المسلمين و في طريق نشر الدّعوة الإسلامية، إلى جهاد المسلم لأخيه المسلم من أجل غرض دنيوي زائل، و نحن نعلم أنّه لا يجوز للمسلم تكفير مسلم آخر مهما كثرت معاصيه و مخالفته للشرع و أحكامه إلاّ إذا أنكر معلوما من الدّين بالضرورة، يقول الإمام الشهيد حسن البنا رحمه اللّه

((لا نكفر مسلما أقرّ بالشهادتين و عمل بمقتضاهما و أدّى الفرائض – برأي أو معصية– إلاّ أن أقرّ بكلمة الكفر، أو أنكر معلوما من الدّين بالضرورة، أو كذّب صريح القرآن، أو فسّره

على وجه لا تحتمله أساليب اللّغة العربية بحال، أو عمل عملا لا يحتمل تأويلا غير الكفر)) (1) .

إنّ نقذ الحق من خصوم الدّين لا يستوجب قتالهم، فمن أمارة الإخلاص في الدّعوة و الصدق أن يتسع قلبُ الدّاعية للنقذ و احتمال الأذى من خصومه، و الدّاعية الذي لا يحتمل ذلك يعتبر أو يفقد صلاحية كونه داعية، و يدفعه ذلك مع مرّ الأيام إلى أن يسلك مسلك الإكراه و الإلزام و الإشتباك و المقاتلة، و هذا ليس شأن الدّاعية إلى اللّه و الدّاعية إلى الحق.

إنّه يمكن للدّاعية الإعراض فقط عمن يناوئون الحق، و تجنب الإختلاط بهم في مجلس أو حديث قال تعالى ﴿و إذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتّى يخوضوا في حديث غيره، و إمّا ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين، و ما على الذين يتقون من حسابهم من شيء، و لكن ذكرى لعلّهم يتقون﴾ (2)

فاللّه سبحانه و تعالى لم يطلب من المؤمن أن يقاطع مجالس الذين يخوضون في آياته، أن يقاطعها دوما فضلا على أن يبيح له قتالهم، بل ربط تجنبه لمجلسهم بانتقالهم إلى موضوع آخر غير موضوع دعوته، و لذلك لم يعتبر أنّه يرتكب ذنبا أو جريمة الذي لم يغادر مجلسهم فورا، فالدّاعية إلى اللّه يترك الباب مفتوحا بمغادرة المجلس دون ردّ فعل سلبي، فمبدأ إلتزام الحكمة يفرض عليه ذلك و هو في نفس الوقت يتنافى مع القسوة و قتال الخصوم. (3)

إنّه لا يجوز أبدا للمسلم أن يقتل أخاه المسلم، و لو رفع يديه لقتله، و لنا عبرة في قصة أبني آدم هابيل و قابيل، فمن الإيمان و التقوى ألا يقتل المؤمن أخاه قال تعالى ﴿و اتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قرّبا قربانا فتُقُبّلَ من أحدهما و لم يتقبل من الآخر قال لأقتلنّك، قال إنّما يتقبّل اللّه من المتقين، لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إنّي أخاف اللّه رب العالمين، إنّي أريد أن تبوأ بإثمي و إثمك فتكون من أصحاب النّار و ذلك جزاء الظالمين، فطوّعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين﴾ (4)

---

(1) – مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا : رسالة التعاليم، ص 11

(2) – الأنعام 68 – 69

(3) – الدّين و الدّولة : محمد البهي، ص 575 – 576 بتصرف

(4) – المائدة 27 – 30

لنقف قليلا عند قوله تعالى ﴿فتقبل من أحدهما و لم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك، قال إنّما يتقبل اللّه من المتقين﴾ .

لقد كانت كلمة التقوى الجارية على لسان هابيل و هو يخاطب أخاه قابيل جديرة بأن تقضي على إرادة الشر في نفسه، و لكن هيهات فقابيل ليس من أهل التقوى و الطاعة، فلذلك لم يقبل اللّه قربانه، و الحسد الذي غمر قلبه جعله طافحًا بالعزم على قتل أخيه، أمّا هابيل فكانت نفسيته خيرة خالطها التقوى، و سيطر عليها الخير فهي تأبى أن تقابل السيئة بمثلها، لأنّ القتل لا يتفق مع صفاتها و شمائلها، فهي تخاف اللّه ربّ العالمين، لكنّ قابيل الذي سيطر عليه الشر نفذ فعلته الشنيعة، و كان الواجب أن يكبح قابيل هذه الأهواء و جماحها، لكنّه عجز أمام ضعفه، و طغيان شهواته، فكان من الخاسرين. (1)

لقد ذكر ابن كثير (2) في تفسيره لهذه القصة أدلةً ة أحاديث و أقوال بعض الصحابة تبيّن لنا أنّه لا يجوز للمسلم أبدا أن يقاتل أخاه المسلم، و أنّ المسلمين إذا تقاتلا فكلاهما في النّار، يستحب الرجوع إلى هذا التفسير و غيره للإستفادة أكثر في هذا الموضوع.

إنّ المواجهة و القتال في قصص الأنبياء و المرسلين قليل جدًا، فغالبا ما يجتنب الأنبياء مواجهة المدعوين و لَو كانوا كبراء و طغاة، فالقصة الوحيدة التي كانت فيها مواجهة و قتال هي قصة داود و طالوت اللذان قتلا جالوت، و القصة مفصلة في سورة البقرة من الآية 246 إلى الآية 251.

و أخيرا أقول أنّ القوة الحقيقية ينبغي أن تكون حسية و معنوية، إيمانية بالدرجة الأولى، ثم بعد ذلك تكون فكرية عقلية علمية بالدرجة الثانية.

فأسلوب القوة اليوم، أسلوب قدوة و تأثير حضاري، فيمكن للمسلمين أن يؤثروا على غيرهم بتقدمهم و رقيهم في كل الميادين، و هذا ما نجده في قصة سليمان عليه السلام مع بلقيس ملكة سبأ، حيث كانت دعوتُه لها مرتكزة على أسلوب التأثير الحضاري، فلقد راسلها مراسلة بأسلوب رفيع، يدل على قوته و مكانته و سلطانه، فأرسلت له هدية، لكنّه ردّها و لم يقبلها، و راح يهددها إن لم تسلم هي و من معها، حتّى جاءته خاضعة لله ربّ العالمين.

---

(1) – مع الأنبياء في القرآن الكريم : عفيف عبد الفتّاح طيارة، ص 54 – 55

(2) – مختصر تفسير ابن كثير: محمد علي الصابوني، ج01، ص 501 – 513

﴿قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة و كشفت عن ساقيها، قال إنّه صرح ممرد من قوارير، قالت ربّ إنّي ظلمت و أسلمت نفسي مع سليمان لله ربّ العالمين﴾ (1)

هنا تحدث حادثة خداع البصر فإنّ سلالم القصر و الهيكل كانت من البلور، و هو شيء لم تره بلقيس من قبل، فعندما جاءت لصعود السلم كشفت عن ساقيها ظنا منها أنّه ماء "لجة"، فسُرّ سليمان و قال لها إنّه صرح ممرد أي قصر كبير، و كان هذا العمل وحده كافيًا لخضوع بلقيس لقوة سليمان و ثروته، فأسلمت نفسها و ملكها و صارت زوجة له. (2)

و لعلّ سليمان عليه السلام استعمل هذه اللّجة و هذا الصرح من أجل التأثير المقصود على ملكة سبأ، و قد وصل إلى الهدف.

و جاء في قصة أخرى في القرآن الكريم، أسلوب التأثير الحضاري عن طريق الجمع بين القدوة و القوة، إنّنا نجد هذا جليا و واضحا في قصة ذي القرنين، الرجل المؤمن الصالح، و هناك من قال أنّه نبي من الأنبياء، آتاه اللّه قوة الإيمان و الصلاح، و قوة العلم و العمل، فكان قدوة للنّاس.

لا أريد أن أذكر قصته بالتفصيل و هي واردة في سورة الكهف يُستَحْسَنُ الرجوع إليها للإستفادة منها، و خلاصتها أنّ الرجل قد إستحكم في علم إذابة الحديد و بناء السدود المنيعة، فلمّا طلب منه القوم أن يحميهم من يأجوج و مأجوج، و هم مفسدون في الأرض، إستجاب لدعوتهم، و رفض أجرهم، و طلب منهم أن يعينوهُ بقوة العمل فقط، فهو يريد من وراء هذا أن يدعوهم إلى الصلاح وحب الخير للنّاس، أن يدعوهم إلى العمل و تعلم فنون بناء السدود و حماية أنفسهم، فهو بهذا يؤثر فيهم تأثيرا حضاريا كبيرا، يجب على المسلمين اليوم خاصة أن يستفيدوا من قصته، و الجمع بين الإيمان و العمل.

---

(1) – النمل 44

(2) – نظرات عصرية في القرآن الكريم : محمد لطفي، جمعة، ص 328

المبحث الرابع : معرفة المدعوين

معرفة المدعوين قاعدة أساسية من قواعد الدّعوة إلى اللّه، فالدّاعية الذي لا يعرف أصناف المدعوين و أقسامهم، و لا يعرف نفوسهم و معتقداتهم، و لا يعرف أحوالهم الإجتماعية و عادتهم، لا يمكن أن يتحرك بدعوته بعيدا، علما أنّ الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، ينبغي أن تصل إلى كل البشر.

من لا يعرف ماذا يريد، و لا من يخاطب فليس له أن يتكلم... ماذا أقول ؟ لابّد أن أعرف العالم كلّه... العالم الآن تستشري فيه ملل و نحل كثيرة، و مخاطبة البوذي غير مخاطبة الهندوكي... و مخاطبة هذا و ذاك غير مختطبة شيوعي في روسيا... و مخاطبة هؤلاء جميعا غير مخاطبة رأسمالي في الولايات المتحدة، و الكل غير مخاطبة رجل في أوربا الشرقية أو الغربية، الدّراسة لابد أن تكون مستوعبة لطبيعة البيئة و طبيعة العقل الذي سأتحدث معه، و طبيعة العلل التي استشرت في هذا المكان، ثم خصائص الخير الباقية من الفطرة الإنسانية في هذه البقاع كلها... فمع ما ينتشر من فساد هناك بقايا خير دائما... بل أنا أستطيع أن أقول يجب دراسة الحاضر في هذه الأمم لمعرفة أصحاب الملكات و أصحاب القدرات الفنية و العلمية، لأنّ هؤلاء قد يكونون أقرب إلى الفهم و الخطاب من غيرهم، و نستطيع أن نتعاون معهم و يتعاونوا معنا على قدر مشترك نتلاقى عليه. (1)

هذا الكلام يبيّن لنا أهمية الوصول بالدّعوة الإسلامية إلى كل مكان في الأرض، و الوصول بها إلى جميع النّاس، و دراسة بيئتهم، بل معرفة لغتهم و دينهم و أوضاعهم الإجتماعية و الإقتصادية و السياسية، و التمييز فيما بينها تمييزا يصل بالدّاعية إلى معرفة العلل و إختيار أحسن الأساليب و الأدوية لمعالجتهم.

لست أدري لماذا يضيّق الدعاة دائرة الدّعوة إلى اللّه، يضيقونها في المكان فيجعلونها محلية و أقل، بدل أن يجعلوها عالمية، يضيقونها في الزمان فيجعلوها مؤقتة بدل أن تكون دائمة متواصلة، يضيقونها في دعوة عصاة المسلمين الذين إبتعدوا عن الطريق المستقيم، بدل دعوة جميع النّاس من أهل الكتاب و غيرهم.

و يمكن تقسيم المدعوين من جوانب ثلاثة :

---

(1) – كيف نتعامل مع القرآن : محمد الغزالي، ص 220

1) – من جانب الإستجابة للدّعوة و عدمها، النّاس صنفان : الصنف الأول من النّاس... ذلك الصنف الذي أنارت الهداية قلوبهم، و أشرقت بالرسالة نفوسهم، فتلقوا الرسالة و كتاب اللّه تبارك و تعالى كما تتلقى الرسالات بقلوب و نفوس هادئة، فآمنوا و أعلنوا إيمانهم... فكان وقاية لهم و هداية لقلوبهم. أمّا الصنف الثاني فهم الذين تحجرت قلوبهم و حرموا الهداية فجحدوا ما أنزل اللّه، و واجهوا المرسلين بالعناد و الكفر. (1)

2) – من الجانب الإجتماعي، هناك الأغنياء، و هم المعبّر عنهم في القرآن، بالملأ و الأكابر و الملوك و المترفين و أئمة الكفر، و غالبا ما يقفوا في وجه الدّعوة إلى اللّه، بالإستعلاء و الإستكبار، و الفساد في الأرض، و صرف النّاس عن دين اللّه، و احتقار المؤمنين الضعفاء، و هناك الفقراء و هم المستضعفون و أراذل القوم بإذي الرأي، و غالبا ما يستجيبوا للدّعوة و يتبعوا المرسلين.

3) – من جانب العقيدة و الإيمان هناك :

أ – المؤمنون جـ – المنافقون

ب – الكفار د – أهل الكتاب

أ – <u>المؤمنون</u> :

و هو أناس آمنوا باللّه سبحانه و تعالى، و أقرّوا بالشهادتين، و أقاموا الأركان و الفرائض، هو بعبارة أناس مهتدون يسيرون على نهج الأنبياء و المرسلين.

لكن يحدث أن يقع بعضهم في المعاصي، و الإنسان بطبعه يحب الخير الكثير و المال الكبير، يحب الدنيا و شهواتها، و هذا يدفع به إلى الغرور تارة، و إلى الفساد تارة أخرى، فينحرف عن الطريق المستقيم، و لا ننسى أنّ الشيطان عدوّ للإنسان يريد به الشر دائما، و يحب أن يراه غارقا في المعاصي و الآثام.

هنا يأتي دور الدّاعية في تذكير المؤمنين بربهم، و تحريك ما في نفوسهم من خير، و إرجاعهم إلى فطرهم، بشتى الأساليب المؤثرة فيهم، تارة بأسلوب لفت الأنظار و العقول إلى خلق اللّه و قدرته و عظمته، و تارة بتذكيرهم بنعمه عليهم، و تارة بترغيبهم و ترهيبهم، و تارة بمعاملتهم معاملة حسنة، باللّين و الحكمة و القوة و الأخلاق و هكذا.

---

(1) – نظرات في القرآن : الإمام الشهيد حسن البنا، دراسة بوسلامة للطباعة و النشر، تونس، ص 205

ب) الكفار :

الكافر هو الذي أو من لم يؤمن بالإسلام، أو من لم ينطق بالشهادتين، و الكفر ستر نعمة اللّه تعالى و جحود الإسلام. (1)

الأصل في هؤلاء النّاس دعوتهم إلى دين اللّه، و محاولة إقناعهم ببطلان عقائدهم بالحجة و الدليل و البرهان، محاولة إقناعهم بأنّ الإسلام هو الحق و أنّه ينفعهم في دنياهم و أخراهم، دعوتهم بالحكمة و مجادلتهم بالتّي هي أحسن، دعوتهم بالقدوة و التأثير الحضاري، و لا يصبح أبدا التفكير في قتالهم و جهادهم إلاّ إذا وقفوا في طريق الدّعوة إلى اللّه، و أظهروا الكفر بالقول، و همّوا بفتك المؤمنين و الإستهزاء بآيات اللّه (2)، فالدّاعية يفكر في هداية جميع النّاس إلى الطريق المستقيم لا في قتلهم و إدخالهم نار جهنّم، و الدّاعية يحاور جميع النّاس و يستمع إليهم و يصبر على أذاهم و يواصل دعوته لهم حتّى يصل إلى الهدف، فمن لم يسمع اليوم يسمع غدا، و من لم يقتنع غدا يقتنع بعد الغد و اللّه يهدي إلى سواء السبيل.

جـ) – المنافقون :

المنافق هو الذي يستُر كفره و ينكره بلسانه (3)، هو الذي يظهر الإيمان و يندس في وسط المؤمنين، و باطنه كفر.

و وجود هذا الصنف داخل صف المؤمنين، يفرض على الدّاعية إلى اللّه أخذهم بعين الإعتبار كي يوجه إليهم الخطاب محاولا دعوتهم لعلّهم يرجعون، وجود هذا الصنف يفرض على الدّاعية أيضا معرفة شخصياتهم و نفسياتهم، و قد ذكر القرآن الكريم بصورة مفصلة أحوالهم و صفاتهم في عدة سور خاصة في سورة البقرة و سورة النور و سورة الأحزاب و سورة التوبة و المنافقون.

و الملاحظ أنّ النفاق و المنافقين لم يرد ذكرهم في قصص الأمم السابقة، و جاء ذكرهم و ذكر أعمالهم و تصرفاتهم مع الرسول ﷺ مفصلا تقريبا في القرآن الكريم و في بعض قصصه من خلال السيرة النبوية.

---

(1) – التفسير المنير: وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط1، 1991 م، ج 10، ص 312.

(2) – نفس المرجع، ص 313

(3) – نفس المرجع، ص 312

و لو حاولنا التطرق إلى جميع أخبارهم في القرآن الكريم لطال بنا الحديث، لذلك سأحاول إبراز أهم أعمالهم بالإشارة إليها في القرآن الكريم.

الأصل فيهم أنّهم من المفسدين، يستعملون أساليب دنيئة في المكر بالمسلمين و تشويه الدّعوة الإسلامية قال تعالى ﴿و إذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنّما نحن مصلحون، ألا إنّهم هم المفسدون و لكن لا يشعرون﴾ (1)

و من أهم أساليبهم في محاربة الإسلام و المسلمين :

♦ إثارة الفتنة، و إشاعة الفاحشة و المنكر في وسط المؤمنين، و محاولة صدّهم عن سبيل اللّه و تفريق صفهم و شملهم، و أهم ما جاء في القرآن الكريم من أعمالهم هذه حادثتين كبيرتين :

1) – حادثة الإفك التي تولّى كبرها عبد اللّه بن أبي بن سلول، و قد ذكرها القرآن في سورة النور في قوله تعالى ﴿إنّ الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم، لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم و الذي تولّى كبره منهم له عذاب عظيم﴾ (2) إلى الآية 20 من نفس السورة.

و القصة مشهورة و معروفة، مروية في كتب التفسير و السيرة و الحديث.

و قد إستطاع المنافقون بهذه الحادثة أن يوقعوا بعض الصحابة في الفتنة و الشك، و أن يوقعوهم في حيرة و إضطراب، و أن يوقعوهم في نزاع كاد أن يؤدي بهم إلى تمزيق الصف لولا رحمة اللّه بهم و إنزال آيات تبرىء عائشة أم المؤمنين رضي اللّه عنها، و تفضح المنافقين و رأس النفاق.

2) حادثة بناء مسجد الضرار، قال تعالى ﴿و الذين اتخذوا مسجدا ضرارا و كفرا و تفريقا بين المؤمنين و إرصادا لمن حارب اللّه و رسوله من قبل و ليحلفنّ إن أردنا إلاّ الحسنى و اللّه يشهد إنّهم لكاذبون﴾ (3)

---

(1) – البقرة 11 – 12

(2) – النور 11

(3) – التوبة 107

و قد أظهروا للرسولﷺ حسن نيتهم في بناء هذا المسجد فأذن لهم ﷺ ببناءه، لكنّ القرآن الكريم فضح عملهم هذا و بيّن سوء نيتهم، و أنّ هذا المسجد لم يُبْنَ سوى قصد الإضرار بمسجد الرسولﷺ و مسجد قباء الذي بناه الرسولﷺ عندما جاء من مكة مهاجرا، و قصد الكفر و تقوية الكفر، و تضعيف المؤمنين، و قصد الإرصاد لمن حارب اللّه و رسولهﷺ، و جعل هذا المسجد مكانا و مرصدا يجتمع فيه كل من يحارب اللّه و رسوله.

و قد خرج الرسولﷺ في الأخير لمحاربتهم و هدم هذا المسجد.

إنّ الرسولﷺ إستطاع بفضل حكمته في الدعوة أن يعالج كثيرا من المنافقين و ذلك عن طريق سياسته و لينه، و معاملته للمنافقين معاملة المسلمين، و اللّه عزّ و جلّ قال له ﴿يا أيها النبيء جاهد الكفار و المنافقين﴾ (1) .

و الجهاد عبارة عن بذل الجهد و ليس في الآية ما يدل على أنّ ذلك الجهاد بالسيف أو باللّسان، أو بطريق آخر، و إنّما تدل على وجوب الجهاد مع الفريقين، فأمّا كيفية تلك المجاهدة فلفظ الآية لا يدل عليها، بل إنّما يعرف من دليل آخر، و هذا هو الرأي الصحيح الذي إختاره الرّازي.

و قد دلّت الدلائل الأخرى من غير الآية على أنّ جهاد الكفار بالسيف، و جهاد المنافقين تارة بإقامة الحجة و البرهان، و بترك الرفق أحيانا، و بالإنتهار أحيانا أخرى، تارة باللّسان، فمن لم يستطع فبالقلب...

و قد أدّت سياسة الإسلام الحكيمة بأمر اللّه و حكمة رسولهﷺ، و معاملة المنافقين معاملة المسلمين في الظاهر، إلى توبة أكثرهم، و غسلام الألوف منهم. (2)

د) – <u>أهل الكتاب</u> :

لقد بيّن القرآن الكريم للمسلمين المنهج الواجب إتباعه في علاقتهم بأهل الكتاب، فرغم أنّهم بدّلوا و حرّفوا الشريعة التي أنزلت على أنبيائهم، فإنّ القرآن الكريم أراد دعوتهم و معالجتهم بالتي هي أحسن، قال تعالى ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم ألاّ نعبد إلاّ اللّه، و لا نشرك به شيئا، و لا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون اللّه، فإن تولوا

---

(1) – التوبة 73

(2) – التفسير المنير: وهبة الزحيلي، ج10، ص 313

فقولوا إشهدوا بأنّا مسلمون﴾ (1) .

يقول محمد سيد طنطاوي (2)

رغبّ القرآن الكريم أهل الكتاب في الدخول في الإسلام، بشتى ألوان المرغبات، فقد بيّن لهم أنّ في إتباعهم للنبيﷺ عزتهم و سعادتهم و عصمة أموالهم و دمائهم في الدنيا، و فوزهم و فلاحهم و رضا اللّه عنهم في الآخرة، ككما بيّن لهم أنّ ما يدعوهم إليه محمدﷺ أمر تقتله العقول السليمة، و تنشرح له القلوب المستقيمة و تطمئن إليه النفوس الطيبة.

و قوله تعالى ﴿تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم﴾، هلّموا و أقبلوا إلى كلمة ذات إنصاف بيننا و بينكم، و لا يختلف فيها القرآن و التوراة و الإنجيل، و هذه الكلمة هي ﴿ألا نعبد إلاّ اللّه و لا نشرك به شيئا﴾ من خلقه، بل نبرأ من كل معبود سواه، ﴿و لا يتخذ بعضنا بعضًا أربابا من دون اللّه﴾ أي و لا يدين بعضنا لبعض بالطاعة فيما أمر به من المعاصي، بأن نطيعهم فيما حرّم اللّه، و إنّما ندين جميعا اشرع اللّه فيما أمر و نهي و أحلّ و حرّم.

ثم بيّن اللّه للمؤمنين ما يجب أن يقولوه لأهل الكتاب إذا لم يستمعوا لكلمة الحق فقال تعالى ﴿فإن تولوا فقولوا إشهدوا بأنّا مسلمون﴾ أي فإن تولى الذين تدعونهم إلى كلمة الحق و التوحيد، فقولوا أنتم أيها المؤمنون، أشهدوا يا أهل الكتاب بأنا مسلمون، خاضعون لله وحده، مذعنون لكلمة الحق، و قد أنصفناكم بالدّعوة إليها فلم تطيعونا، فلنا ديننا و لكم دينكم، و اللّه يجمع بيننا و بينكم و هو خير الحاكمين.

و هذا و قد تضمنت هذه الآية الكريمة أسمى الأساليب الحكيمة في الدعوة للحق، لدعوتها أهل الكتاب إلى توحيد اللّه الذي جاءت به الكتب السماوية كلها، و لإشتمالها على ما تقنع العقول، و يطمئن القلوب، بألطف بيان، و أبلغ أسلوب.

و قال تعالى في دعوة أهل الكتاب ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيرا ممّا كنتم تخفون من الكتاب و يعفو عن كثير، قد جاءكم من اللّه نور و كتاب مبين، يهدي به اللّه من إتبع رضوانه سبل السلام، و يخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه و يهديهم إلى صراط

---

(1) – آل عمران 64

(2) – بنو إسرائيل في القرآن و السنة : محمد سيد طنطاوي، 1968 م، ج01، ص 132 – 133 – 134، (رسالة دكتوراه نوقشت بالأزهر).

مستقيم﴾ (1).

يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس (2)

في ندائهم بيا أهل الكتاب تشريف و تعظيم لهم بإضافتهم للكتب، و بَعْثُ لهم على قبول ما جاء به محمدﷺ، لأنّه جاء بكتاب و هم أهل الكتاب، و إحتجاج عليهم بأنّ الإيمان بالكتاب الذي عندهم يقتضي الإيمان بالكتاب الذي جاء به لأنّه من جنسه.

هذا هو أدب الإسلام في دعوة غير أهله ليعلمنا كيف ينبغي أن نختار عند الدّعوة لأحد أحسن ما يدعى به، و كيف ننتقي ما يناسب ما نريد دعوته إليه، فدعاء الشخص بما يحب مما يلفته إليك و يفتح لك سمعه و قلبه، و دعاؤه بما يكره يكون أول حائل يبعد بينك و بينه، و إذا كان هذا الأدب عاما في كل تداع و تخاطب فأحق النّاس بمراعاته هم الدعاة إلى اللّه و المبينون لدينه سواء دعوا المسلمين أو غير المسلمين.

---

(1) – المائدة 15 – 16

(2) – مجالس التذكير : عبد الحميد بن باديس، ص 51 – 52

الخاتمة

يمكن أن أخلص في خاتمة هذا البحث إلى النتائج التالية :

(1) – لا يوجد هناك تعريف شامل للدّعوة يتفق عليه أهل هذا التخصص، لذلك أحاول تعريف الدّعوة تعريفا شاملا من خلال ما توصلت إليه في بحثي فأقول :

((الدّعوة إلى اللّه هي الجهود المستمرة للدّاعية الشرعي من أجل الرجوع بالفرد و المجتمع و الأمة إلى الفطرة السليمة في حالة الإنحراف، و المحافظة عليها في حالة عدم الإنحراف، آخذا في ذلك سنن اللّه الكونية و الشرعية)).

(2) – ينبغي ضبط مصطلحات الدّعوة و توحيدها، من أجل الوصول إلى بداية وضع علم للدّعوة.

(3) – المصدر الأول للدّعوة الإسلامية هو القرآن الكريم، و المادة الأولى و المحور الأساسي الذي يأخذ منه الدعاة و المصلحون مناهج الدّعوة و أساليبها هو محور القصص القرآني.

(4) – القصص القرآني من خلال حياة الأنبياء و المرسلين و بعض الصالحين كشف عن سنن و قوانين كثيرة، ينبغي على الدعاة فقهها و الإلتزام بها، كما بيّن أهم الأساليب المستعملة في الدّعوة و التي يشترك فيها أغلب الأنبياء، و هي الأساليب التي أبرزناها في البحث فكانت قواعدا يصل بها الدعاة إلى إقناع أغلب أصناف المدعوين.

(5) – الإلتزام بالوسائل المشروعة، و الأوامر الربانية و مواصلة العمل ضروري للوصول إلى الغاية و الهدف، و إلاّ ابتلي الدّاعية أشد البلاء، مثل ما حدث لنبي اللّه يونس عليه السلام، فإنّ سنن اللّه لا ترحم أحدا.

(6) – الدّعوة إلى اللّه توجه إلى كل أصناف المدعوين على إختلاف حالتهم، و أوضاعهم الإجتماعية و السياسية و العقائدية، و عالمية الدّعوة الإسلامية تفرض على المسلمين اليوم توجيه الدّعوة إلى أهل الكتاب و غيرهم في العالم، و لن يتأتى ذلك إلاّ بالعلم و معرفة أحوال و لغات المدعوين.

(7) – إذا كان القصص القرآني المادة الأولى للدّعوة، فإنّه يمكن أن يكون في نفس الوقت منهجا من مناهجها نطلق عليه "المنهج القصصي في الدّعوة إلى اللّه" و هذا المنهج يعتمد بالدرجة الأولى على الإعلام و وسائله في الوصول إلى النّاس و المدعوين.

(8) – إعداد الدّعاة إعدادا كاملا و شاملا ضروري و أكيد.

(9) – تخصيص تدريس مادة "الدّعوة إلى اللّه" و فقهها على كل أقسام العلوم الإسلامية، بل تدريس مبادئها حتّى على أقسام مستويات التعليم ما قبل الجامعي.

و اللّه ولي التوفيق و هو يهدي إلى سواء السبيل و السلام عليكم و رحمة اللّه تعالى و بركاته.

و اللّه ولي التوفيق و هو يهدي إلى سواء السبيل و السلام عليكم و رحمة اللّه تعالى و بركاته.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس

1) فهرس المصادر و المراجع

2) فهرس الآيات القرآنية

3) فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

4) فهرس الموضوعات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المصادر و المراجع

القرآن الكريم (على رواية الإمام ورش)

(أ)

(1)- الأصول الإسلامية للتربية: سعيد إسماعيل علي، دار الفكر العربي، مصر 1992.

(2)- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، دار الإفتاء والدعوة، الرياض.

(3)- إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي، دار المعرفة بيروت.

(4)- أحسن القصص: علي فكري، مكتبة رحاب الجزائر.

(5)- الأساس في التفسير: سعيد حوى، دار السلام للطباعة مصر، ط2، 1989.

(6)- إسلامنا: السيد سابق، دار الكتاب العربي لبنان.

(7)- أخلاق القرآن: أحمد الشرباصي، دار الفكر العربي بيروت، ط1، 1971.

(8)- الإستذكار: إبن عبد البر، دار قتيبة للطباعة والنشر دمشق، ط1، 1993.

(9)- أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين: أبو الحسن علي الحسني الندوي، مؤسسة الإسراء، ط3 الجزائر.

(10)- أصول الفقه وإصدار الأحكام الدقيقة في مجال الدعوة: عبد الرؤوف خرابشة، بحث نشر بجامعة الأزهر بتاريخ 1991/11/18.

(11)- أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان، دار الوفاء المنصورة، ط2 بغداد 1987.

(12)- الأمثال في القرآن الكريم: إبن قيم الجوزية، تحقيق سعيد محمد نمر الخطيب، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط2، 1983.

(13)- أهداف القصة في القرآن الكريم: منصور الرفاعي عبيد، دار العرفان القاهرة، ط1.

(14)- الأساس في السنة وفقهها: سعيد حوى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ط1، 1989.

(15)- الإتقان في علوم القرآن: شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار المعرفة بيروت لبنان، بدون سنة.

(16)- الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية: محي الدين عبد الحليم، دار الرفاعي الرياض، ط2، 1984م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(17)- أصول النظلم الإجتماعي في الإسلام: محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، الدار العربية للتوزيع 1979م.
(18)- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: أبو بكر جابر الجزائري، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 1991م.

(ب)

(19)- بنو إسرائيل في القرآن والسنة: محمد سيد طنطاوي، الأزهر مصر، ط1، 1968م.
(20)- بين الرعاة والدعاة: محمد محمود الصواف، مكتبة رحاب الجزائر 1986م.
(21)- بذل المجهود في حل أبي داوود: خليل أحمد الشهارنفوري، دار اللواء، الرياض.

(ت)

(22)- تفسير غريب القرآن: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية لبنان 1978.
(23)- تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل: عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، دار الفكر 1982م.
(24)- التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي.
(25)- التفسير المنير: وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر لبنان، ط1، 1991م.
(26)- التفسير الوسيط: محمد السيد طنطاوي، ط2، 1986م.
(27)- تفسير روح المعاني: شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار الفكر لبنان، 1983م.
(28)- تفسير القرآن الكريم: محمد علي طه الدَرة، دار الحكمة بيروت، ط1، 1990م.
(29)- تفسير كتاب التسهيل لعلوم التنزيل: محمد بن أحمد بن جزي الكلي الغرناطي، تحقيق عبد المنعم اليونسي وإبراهيم عطوة عوضر.
(30)- تفسير الدعوات المباركات من الفرآن العظيم: محمد بن عالم الإيديني، حققه محمد علي الصابوني، مكتبة رحاب الجزائر، ط2، 1989.
(31)- تهذيب تاريخ دمشق: لإبن عساكر.
(32)- تذكرة دعاة الإسلام: أبو الأعلى المودودي، دار القرآن الكريم، ط1، 1983م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(33)- التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، دار المعارف القاهرة، ط9.
(34)- تفسير الكشاف: محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، لبنان ط3، 1987م.
(35)- تذكرة الدعاة: البهي الخولي، دار القرآن الكريم لبنان 1980م.
(36)- تفسير القرآن الكريم: محمد شلقوت، دار الشروق بيروت، ط1، 1982م.
(37)- تفسير المنار: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط2.
(38)- ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة: الطاهر أحمد الزاوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1979م.
(39)- تارخ الأمم والملوك: محمد بن جرير الطبري، مؤسسة عز الدين بيروت لبنان، 1987م.
(40)- التفكير فريضة إسلامية: عباس محمود العقاد، مكتبة رحاب، مطبعة المصارف الجزائر 1990م.
(41)- التبيان في علوم القرآن: محمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي دمشق، مؤسسة مناهل العرفان بيروت، ط2، 1989م.
(42)- تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل إبن حماد الجوهري، تحقيق أحمد الغفور عطّار، دار العلم للملايين بيروت لبنان، ط3، 1984م.
(43)- تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي، دار الفكر، ط3، 1974م.
(44)- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: الإمام فخر الدين الرازي، دار الفكر بيروت، ط3، 1985.
(45)- التفسير القيم: الإمام إبن القيم، دار الكتب العلمية، جمعه محمد أويش الندوي وحققه محمد حامد النفقي.
(46)- تفسير إبن كثير: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع.
(47)- تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984.
(48)- تفسير المنار: محمد رشيد رضا، دار المعرفة بيروت.

(ث)

(49)- ثقافة الداعية: يوسف القرضاوي، مطبوعات الإتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(50)- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: الخطابي والرماني وعبد القادر الجرجاني، حققها وعلق عليها محمد خلف الله أحمد والدكتور زغلول سلام، دار المعارف القاهرة، ط4، 1991م.

(ج)

(51)- جاهلية القرن العشرين: محمد قطب، دار الشروق، 1983م.

(52)- الجانب الفني في القصة القرآنية: خالد أحمد أبو جندي.

(53)- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد الأنصاري القطبي.

(54)- الجانب العاطفي في الإسلام: محمد الغزالي، شركة الشهاب الجزائر، 1990م.

(ح)

(55)- حياة موسى: موسى شلبي، دار الجيل بيروت، ط1، 1982م.

(56)- الحوار في القرآن الكريم: محمد حسين فضل الله، دار المنصوري للنشر الجزائر.

(57)- حياة وأخلاق الأنبياء: أحمد الصباغي عوض الله، دار إقرأ بيروت، ط3، 1985م.

(خ)

(58)- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته: سيد قطب، دار الشروق لبنان، ط12، 1992م.

(59)- خلق المسلم: محمد الغزالي، دار الشهاب الجزائر.

(60)- خاتم النبيين: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربس.

(61)- خصائص المجتمع الإسلامي: محمد عبد الله الخطيب، دار الصديقية الجزائر، بدون تاريخ.

(62)- خصائص الشريعة الإسلامية: عمر سليمان الأشقر، قصر الكتاب البليدة - الجزائر.

(د)

(63)- دراسات قرآنية: محمد قطب، دار الشروق لبنان، ط4، 1983م.

(64)- دراسة في السيرة: عماد الدين خليل، مؤسسة الرسالة لبنان، ط6، 1982م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(65)- دعوة الله بين التكوين والتمكين: علي جريشة، شركة شهاب الجزائر، 1989م.
(66)- الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر: محمد الغزالي، دار الهدى للنشر الجزائر، 1988م.
(67)- الدعوة الإسلامية في إفريقيا الواقع والأفاق: عبد الحمن الماحي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1992م.
(68)- الدعوة إلى الله بصيرة: عبد النعيم محمد حسنين، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1984م.
(69)- الدعوة قواعد وأصول: جمعة عبد العزيز، دار الدعوة، الإسكندرية مصر، ط2، 1989م.
- ( ): دليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية: عمار بوحوش، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2 1990، الجزائر.

(ذ)

(70)- الذر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي، دار المعرفة بيروت لبنانز

(ر)

(71)- ربانية لا رهبانية: أبو الحسن علي الحسن الندوي، مؤسسة الإسراء الجزائر.
(72)- رؤيا إسلامية لقضايا تربوية: سعيد إسماعيل علي، دار الفكر العربي القاهرة، ط1، 1993م.
(73)- الرسول صلى الله عليه وسلم: سعيد حوى، دار الكتب العلمية، لبنان، ط4، 1979م.
(74)- الرحيق المختوم: صيفي الرحمن المباركفوري، شركة شهاب الجزائر، 1987م.
(75)- روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة: أبو الحسن علي الحسن الندوي، دار القلم الكويت، ط3، 1987م.

(ز)

(76)- زاد المعاد في هدى خير العباد: إبن قيم الجوزي، دار الكتاب العربي لبنان.
(77)- زاد المسير في علم التفسير: إبن الجوزي، دار الفكر لبنان، ط1، 1987م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(س)

(78)- سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق وتصحيح عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت لبنان، ط2.

(79)- سنن إبن ماجة: لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عب الباقي، دار الفكر، (دون مكان ولا تاريخ)

(80)- سلسلة الأحاديث الصحيحة: ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي دمشق، ط1، بدون تاريخ.

(81)- سنن الدرامي: أبو محمد محمد عبد الله بن يهرام الدرامي، دار الفكر (دون تاريخ)

(82)- سنن البيهقي: أبو بكر أحمد بن حسين بن علي، دار الفكر (بدون تاريخ)

(83)- سيرة النبي صلى الله عليه سولم: لإبن هاشم، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر 1991م.

(84)- السيرة النبوية: الإمام أبي الفدا إسماعيل بن كثير، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار الرائد العربي بيروت لبنان، ط3، 1987م.

(ش)

(85)- شرح العقيدة الطحاوية: الإمام القاضي علي بن علي بن محمد الدمشقي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط3، 1991م.

(86)- شرح العقيدة الطحاوية: الإمام القاضي علي بن علي بن محمد الدمشقي، مؤسسة الرسالة بيروت ط3، 1991م.

(ص)

(87)- صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر بيروت لبنان، بدون تاريخ.

(88)- صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيابوري، دار الفكر دون تاريخ ولا مكان.

(89)- صفات الداعية وكيفية حمل الدعوة: سميع عاطف الزين، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط7، 1985م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(90)- الصبر في القرآن الكريم: يوسف القرضاوي، دار البعث الجزائر، 1988م.
(91)- صحيح إبن صبان: ترتيب علاء الدين علي بن بلبان، دار الفكر لبنان ط1، 1987م.

(ط)

(92)- طريق الهجرتين وباب السعادتين: إبن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي لبنان.

(ع)

(93)- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير: إبن سيد الناس، دار الفكر.
(94)- علم النفس في حياتنا اليومية: محمد عثمان نجاتي، دار القلم الكويت، 1983م.
(95)- العقائد الإسلامية: سيد سابق، دار الكتاب العربي بيروت لبنان.

(ف)

(96)- فقه الدعوة إلى الله: علي عبد الحليم محمود، دار الوفاء المنصورة، ط1، 1990م.
(97)- في رحاب القرآن تفسير سورتي مريم وطه: بيوض إبراهيم بن عمر، تحرير عيسى بن محمد الشيخ بلحاج، النشر جمعية الثرات غرداية الجزائر 1995م.
(98)- الفتاوي: إبن تيمية.
(99)- في موكب النبيين: سيد أحمد الكيلاني، دار القلم الكويت، ط1، 1984م.
(100)- الفرقان والقرآن: خالد عبد الرحمن العك، دار الحكمة للطباعة والنشر، ط1، 1994م.
(101)- في آفاق التعاليم: سعيد حوى، مكتبة رحاب الجزائر، 1988م.
(102)- فصول من السياسة الشرعية في الدعوة إلى الله: عبد الرحمن عبد الخالق، دار العلم مصر، دار القلم الكويت، 1984م.
(103)- الفن القصص في القرآن: محمد أحمد خلف الله.
(104)- في موكب الدعوة: محمد الغزالي، منشورات دار الكتب 1988م.
(105)- فقه السيرة النبوية: محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، دار الفكر دمشق سوريا، ط11، 1991م.
(106)- في ظلال القرآن: سيد قطب دار الشروق، ط2، 1986م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(ق)

(107)- قصص الأنبياء: عبد الوهاب النجار، مكتبة النهضة العربية، ط3.

(108)- قبسات من حياة الرسول: محمد قطب، دار الشروق، ط11.

(109)- قصص الأنبياء: لأبي الفدا إسماعيل بن كثير، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، مكتبة دار الثقافة عمان الأردن، ط3، 1993.

(110)- قصص الأنبياء والرسل: محمد إسماعيل إبراهيم دار الفكر العربي مصر، ط1، 1988م.

(11)- قصص القرآن وأنباء الأنبياء: محمد فتحي خافط فورة، مكتبة مصر، ط1.

(112)- قواعد الدعوة إلى الله: همام عبد الرحمن سعيد، دار الشهاب الجزائر 1983م.

(113)- قوارب النجاة في حياة الدعاة: فتحي يكن، دار الشهاب باتنة - الجزائر.

(114)- قصص القرآن: علي محمد البجاوي، دار الرائد العربي لبنان 1986.

(115)- قصة التفسير: أحمد الشرباصي، دار الجيل بيروت، ط3، 1983م.

(116)- قصص الحيوان في القرآن: أحمد بهجت، دار الشروق لبنان، ط2، 1992م.

(117)- القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته: فضل حسن عباس، شركة شهاب الجزائر، 1989م.

(118)- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه: عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة بيروت لبنان.

(119)- القاموس المحيط: لفيروز أبادي، دار الكتاب العربي.

(ك)

(120)- كيف ندعو الناس: عبد البديع صقر، دار الشهاب للطباعة الجزائر.

(121)- كيف ندعو إلى الإسلام: فتحي يكن، مؤسسة الرسالة لبنان، ط4، 1980م.

(122)- الكامل في التاريخ: إبن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط5، 1985م.

(123)- كيف نتعامل مع القرآن الكريم: محمد الغزالي في مدارسة أجراها معه عمر عبيد حسنة، دار الإنتفاضة للنشر الجزائر، بدون تارخ.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(ل)

(124)- لسان العرب: إبن منظور، دار المعارف.

(125)- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير: محمد الصباغ، المكتب الإسلامي بيروت.

(م)

(126)- منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام: جمعه أمين عبد العزيز، دار الدعوة الإسكندرية مصر- ط2، 1991م.

(127)- المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، تحقيق سيد الكيلاني، دار المعرفة لبنان.

(128)- مدارج السالكين: إبن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد البفيقي، دار الكتاب العربي.

(129)- مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، دار الشهاب القاهرة.

(130)- الموطأ للإمام مالك، دار النفائس بيروت، ط10، 1987م.

(131)- المستدرك على الصحيحين: الحاكم النيسابوري، دار الكتاب العربي بيروت (دون تاريخ ولا مكان)

(132)- مبادئ الإسلام: أبو الأعلى المودودي، دار القرآن الكريم، ط5، 1983.

(133)- ماذا يعني إنتمائي إلى الإسلام: فتحي يكن، مؤسسة الرسالة لبنان، ط4، 1980م.

(134)- مدخل لإستخذام أصول الفقه في الدعوة إلى الله: عبد الرؤوف خرابشة، بحث شرفي في الأزهر بتاريخ 1991/4/2م.

(135)- المنهج التطبيقي للشريعة الإسلامية: عبد المجيد النجار، دار النشر الدولي الرياض، ط1، 1994م.

(136)- منهج المؤمن بين العلم والتطبيق: عدنان علي رمضان النجوي، دار الشهاب الجزائر.

(137)- مع القرآن في الدين والدنيا: هشام قبلان، منشورات عويدات بيروت لبنان، ط1، 1986م.

(138)- مختصر تفسير إبن كثير: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم بيروت، ط7، 1987م.

(139)- منهج الدعوة في القرآن الكريم: إبراهيم خليفة، مسجد الأرقم، الحي الجامعي إبن باديس.

(140)- منهج القصة في القرآن الكريم: محمد حسين فضل الله، دار المنصوري للنشر الجزائر.

(141)- محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم: محمد رضا، دار الفكر الإسلامي.

(142)- منهج التربية الإسلامية: محمد قطب، دار الشروق، 1983م.

(143)- مباحث في علوم القرآن: مناح خليل القطان، مؤسسة الرسالة، ط8، 1981م.

(144)- مفاتيح دار السعادة: إبن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

(145)- مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1988م.

(146)- المدخل إلى الثقافة الإسلامية: محمد رشاد سالم، دار القلم للنشر والتوزيع.

(147)- منهج تربوي فريد في القرآن: محمد سعيد رمضان البوطي، دار الشهاب للطباعة والنشر الجزائر.

(148)- مع الأنبياء في القرآن الكريم: عفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلم للملايين بيروت لبنان، ط14، 1985م.

(149)- المجتمع الإنساني في القرآن الكريم: محمد النوي، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986م.

(150)- مناهج الدعوة وأساليبها: علي جريشة، مكتبة رحاب الجزائر 1989م.

(151)- مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: عبد الحميد بن باديس، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ط1، 1982، الجزائر.

(152)- منهج القرآن في تربية المجتمع: عبد الفتاح عاشور، مكتبة الخانجي لمصر، ط1، 1979م.

(153)- منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله: ربيع بن هادي المدخلي، دار المعارف العلمية، ط1، 1986م، ط2 1993م. الجزائر.

(154)- مبادئ أساسية لفهم القرآن: ابو الأعلى المودودي، دار الراية للنشر ط4.

(155)- المحاور الخمسة للقرآن الكريم: محمد الغزالي، دار العلالية للطباعة والنشر الجزائر.

(156)- مختصر تفسير إبن كثير: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم بيروت ط7، 1981م.

(157)ـ مختصر تفسير الطبير: جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق واختصار صالح أحمد رضا والشيخ محمد علي الصابوني، مكتبة رحاب الجزائر، 1991م.
(158)ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، ط2، 1981م.
(159)ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي: ونسنك والأخرين مع مشاركة محمد فؤاد عبد الباقي، ليدن هولندا، دار الدعوة إستنبول 1987، دار سحنون تونس 1987م.

(ن)

(160)ـ نظرات في القرآن: الإمام الشهيد الحسن البنا، دار بوسلامة للطباعة والنشر تونس.
(161) نظرات في القرآن الكريم: محمد لطفي جمعة، دار عالم الكتب القاهرة، 1991.
(162)ـ النبوة والأنبياء: محمد علي الصابوني، دار الهدى الجزائر.
(163)ـ النكت والعيون تفسير الماوردي: أبي الحسين علي بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق خضر محمد خضر، مراجعة الدكتور عبد الستار أبو غدة، ط1، الكويت.
(164)ـ نور اليقين في سيرة سيد المرسلين: محمد الخضري، دار الفكر بيروت لبنان.
(165)ـ نظام الحاة في الإسلام: أبو الأعلى المودودي، مؤسسة الرسالة بيروت، 1983.

(هـ)

(166)ـ هكذا فلندع إلى الإسلام: سعيد رمضان البوطي، دار الشهاب للطباعة والنشر الجزائر.

(و)

(167)ـ الوحدة الموضوعية في سورة يوسف: حسن محمد باحودة، الناشر تهامة جدة المملكة العربية السعودية، ط2، 1983م.

الرسائل الجامعية:

منهج النبي صلى الله عليه وسلم في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية: الطيب برغوت، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ـ قسنطينة، 19991 ـ 1992. الجزائر.

فهرس الآيات

(2) - سورة البقرة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	رقمها	الصفحة
﴿و الذين يؤمنون بما أنزل...﴾	04	132
﴿فتلقى آدم من ربه كلمات...﴾	37	210
﴿و إذ واعدنا موسى أربعين...﴾	51	187
﴿يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم...﴾	54	205
﴿يا موسى لن نصبر على طعام...﴾	61	187
﴿إن الله يأمركم...﴾	67	186
﴿ربنا و أجعلنا مسلمين لك...﴾	129 - 128	166
﴿و وصى بها إبراهيم بنيهُ يعقوب...﴾	133 - 132	132
﴿فاذكروني أضكركم...﴾	152	162
﴿يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات...﴾	172	162
﴿و لكن البّر من آمن...﴾	177	30
﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام...﴾	183	171
﴿و إذا سألك عبادي...﴾	186	161
﴿الحج أشهر معلومات فمن...﴾	197	171
﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة...﴾	214	180
﴿يسألونك عن الخمر و المسير...﴾	220 - 219	159 - 44
﴿أنبئوني بأسماء هؤلاء...﴾	233 - 231	——
﴿أو كالذي مرّ على قرية و هي...﴾	259	122
﴿و لا يحيطون بشيء من علمه...﴾	255	27
﴿و إذ قال إبراهيم رب أرني...﴾	260	123

الاية	رقمها	الصفحة
﴿آمن الرسول بما أنزل...﴾	280	132
﴿قل اللهم مالك الملك...﴾	26	31
﴿قل إن كنتم تحبون اللّه...﴾	31	208 - 26
﴿كلما دخل عليها زكريا...﴾	38-37	168
﴿فنادته الملائكة...﴾	39	169
﴿ذلك من أنباء الغيب...﴾	44	131-38-36
﴿فلم أحس عيسى منهم...﴾	52	—
﴿إن هذا لهو القصص...﴾	62	84
﴿و أذكرو نعمة الله عليكم...﴾	103	177
﴿و لتكن منكم أمة يدعون إلى الخير...﴾	104	157
﴿و لا تهنوا و لا تحزنوا و أنتم...﴾	139	115
﴿و لا تهنوا و لا تحزنوا و أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين...﴾	143 - 139	116
﴿إنا سمعنا قرآنا...﴾	144	—
﴿و لقد صدقكم الله وعده...﴾	152	115
﴿إنّ الذين تولوا منكم يوم...﴾	154	115
﴿فبما رحمت من اللّه...﴾	159	178-175
﴿فاعف عنهم و أستغفرلهم...﴾		—
﴿الذين إستجابوا لله و الرسول...﴾	175 - 172	117
﴿لتبلون في أموالكم...﴾	186	182
﴿إنّ في خلق السموات و الأرض...﴾	191 - 190	67
﴿يأيها الذين ءامنوا أصبروا و صابروا و رابطوا...﴾	200	181

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(04) - النساء

الاية	رقمها	الصفحة
﴿و لقد نصركم اللّه ببدر و أنتم...﴾	256	——
﴿يايها النّاس اتقوا ربكم...﴾	01	71
﴿يأيها الذين ءامنوا لا تقربوا الصلاة...﴾	42	45
﴿إن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عندك...﴾	78	——
﴿و ما أصابك من حسنة...﴾	79	——
﴿و من يطع الرسول فقد أطاع اللّه...﴾	80	26
﴿و بكفرهم و قولهم على مريم...﴾	157 - 156	187
﴿إنا أوحينا إليك...﴾	163	133
﴿و رسلا قد قصصناهم...﴾	164	85
﴿لن يستنكف المسيح...﴾	173 - 172	23

(05) المائدة

الاية	رقمها	الصفحة
﴿...اليوم أكملت لكم دينكم...﴾	03	49
﴿و لا يجرمنكم شنآن...﴾	08	57
﴿و إذ قال موسى لقومه أذكروا نعمة الله عيكم...﴾	20	205
﴿فأذهب أنت و ربك...﴾	24	187
﴿واتل عليهم نبأ إبني آدم...﴾	30 - 27	224 - 129
﴿أتل عليهم نبأ النبي...﴾	31 - 27	121
﴿إن هذا القرآن يقص...﴾	48	60 - 50
﴿و لو أن أهل الكتاب آمنوا...﴾	66 - 65	212
﴿يأيها الرسول بلّغ ما أنزل...﴾	68 - 67	156

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿و إذا سمعوا...﴾	83	38
﴿يأيها الذين آمنوا إنما الخمر...﴾	91 - 90	45
﴿و إذ قال الله يا عيسى بن مريم...﴾	117 - 116	122-23.
﴿و إذ قال الله يا عيسى ...﴾	119 - 116	122

(06) - سورة الأنعام

الاية	رقمها	الصفحة
﴿و أوحي إلي هذا القرآن...﴾	19	156
﴿قد نعلم أنه ليحزنك...﴾	33	134
﴿و لقد كذبت الرسل من قبلك...﴾	34	134
﴿ما فرطنا في الكتاب...﴾	38	95-51
﴿و كذلك نري إبراهيم...﴾	79 - 75	100
﴿أولئك الذين هدى الله...﴾	90 -40	219-74-55
﴿شياطين الجن و الإنس...﴾	112	93
﴿كذلك يبيّن الله لكم الآيات...﴾	163 - 162	160

(07) - سورة الأعراف

الاية	رقمها	الصفحة
﴿كتاب أنزل إليك...﴾	02	156
﴿و لقد خلقناكم ثم صورناكم...﴾	12 - 11	94
﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا...﴾	23	210
﴿قل أمر ربي بالقسط...﴾	29	161
﴿ولا تفسدوا في الأرض...﴾	56	176-34

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿لقد أرسلنا نوح إلى قومه...﴾	59	214
﴿يا قوم إعبدوا الله ما لكم...﴾	85 - 59	16
﴿أبلغكم رسالات ربي...﴾	62	155
﴿يا قوم ليس بي ضلالة...﴾	63 - 61	176
﴿أو عجبتم أن جاءكم ربكم...﴾	63	209-130
﴿و إلى عاد أخوهم عاد...﴾	65	21
﴿قالوا : إنّا لنراك في سفاهة...﴾	67 - 66	176
﴿أجئتنا لنعبد الله وحده...﴾	70	23
﴿و أذكروا إذ جعلكم خلفاء...﴾	74	89
﴿كذبت ثمود...﴾	02	33-25
﴿و ما كان جواب قومه إلاّ أن...﴾	82-12-11	221
﴿وسع ربنا كل شيء...﴾	89	165
﴿و لو أن أهل القرى آمنوا...﴾	96	211
﴿قال موسى لقومه إستعينوا...﴾	128	186
﴿فأتوا على قوم يعكفون...﴾	138	204-186
﴿و جاوزنا ببني إسرائيل...﴾		——
﴿قل يأيها الناس...﴾	158	52
﴿و أشهدهم على أنفسهم...﴾	172	69
﴿و أتل عليهم نبأ الذي أتيناه آياتنا...﴾	176 - 175	149
﴿و لو شئنا لرفعناه بها...﴾	176	84-61
﴿قل لا أملك لنفسي...﴾	188	27

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(08) - الأنفال

الاية	رقمها	الصفحة
﴿و إذ يعدكم اللّه...﴾	7	36
﴿وإذ يعدكم اللّه إحدى الطائفتين...﴾	7 - 89	112
﴿إذا تستغيثون ربكم...﴾	9	113
﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا...﴾	15 - 16	112
﴿يأيها الذين آمنوا إستجيبوا...﴾	24	157
﴿قل للذين كفروا...﴾	38	208
﴿يأيها ءامنوا إذا لقيتم...﴾	45 - 46	76
﴿يأيها ءامنوا إذا لقيتم فئة...﴾	45 - 47	112
﴿وإما تخافن من قوم...﴾	58	72
﴿و الذين كفروا بعضهم...﴾	73	183

(09) - التوبة

الاية	رقمها	الصفحة
﴿قل لن يصيبنا إلاّ ما كتب اللّه لنا...﴾	51	——
﴿يحذر المنافقون...﴾	64	42
﴿خذ من أموالهم صدقة...﴾	103	171
﴿و ما كان المؤمنون لينفروا...﴾	122	158

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(10) - يونس

الاية	رقمها	الصفحة
﴿و الله يدعوا إلى دار السلام...﴾	25	157
﴿و قال موسى يا قوم إن كنتم...﴾	84	132
﴿فإن كنت في شك...﴾	94	134
﴿فلولا كانت قرية آمنت...﴾	98	211-191
﴿قل أنظروا ماذا في السماوات...﴾	101	198-159
﴿و إن يمسسك الله بضر...﴾	107	31

(11) - هود

الاية	رقمها	الصفحة
﴿إني أخاف عليكم عذاب...﴾	26	214
﴿و أوحي إلى نوح...﴾	36	184
﴿رب إني أعوذ بك أن أسألك...﴾	46 - 47	168-167.
﴿تلك من أنباء الرسل...﴾	49	131-84-36.
﴿و إلى عاد أخوهم هودا...﴾	50	21
﴿يا قوم إستغفروا ربكم...﴾	52	212-168.
﴿إنه ليس من أهلك...﴾	61	168
﴿قالوا يا صالح قد كنت فينا...﴾	62	221-137-25
﴿يا قوم هذه ناقة الله...﴾	64	215-30
﴿و لقد جاءت...﴾	77	93
﴿يا شعيب أصلواتك...﴾	87	165-209.
﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة...﴾	88	220-75-32
﴿و يا قوم لا يجرمنكم شقاقي...﴾	89	215
﴿ذلك من أنباء القرى...﴾	100	83

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(12) - يوسف

الاية	رقمها	الصفحة
﴿نحن نقص عليك أحسن...﴾	03	130-84-81
﴿و ما أكثر الناس و لو حرصت...﴾	16	—
﴿و ما كان لنا أن نشرك بالله...﴾	17	—
﴿و أيوب إذ نادى ربه...﴾	18	188
﴿يا صاحبي السجن...﴾	40 - 39	101
﴿إجعلني على خزائن الأرض...﴾	55	18-17
﴿إنا وجدنا صابرا...﴾	83	188
﴿قال أنا يوسف و هذا أخي...﴾	90	189
﴿ذلك من أنباء...﴾	102	36
﴿أولئك الذين هدى الله...﴾	104 - 103	55- 48
﴿و كأيم من آية في...﴾	105	—
﴿لقد كان في قصصهم...﴾	111	85-83-61-51
﴿ما كان حديثا يفترى...﴾	—	—

(13) - الرعد

الاية	رقمها	الصفحة
﴿و كل شيء عنده بمقدار...﴾	8	—
﴿الذين آمنوا و تطمئن قلوبهم...﴾	28	161-62

(14) - إبراهيم

الاية	رقمها	الصفحة
﴿وإذ قال موسى لقومه أذكروا...﴾	06	204

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(15) - الحجر

الاية	رقمها	الصفحة
﴿إنا نحن نزلنا الذكر...﴾	09	40
﴿قال ربي لو أغويتني...﴾	40 - 39	173
﴿و لقد نعلم أنك...﴾	97	134

(16) - النحل

الاية	رقمها	الصفحة
﴿و من ثمرات النخيل...﴾	67	43
﴿و الله أخرجكم من بطون...﴾	78	162
﴿و لقد أنزلنا إليكم...﴾	89	——
﴿وعلى الذين...﴾	110	85
﴿وقرب الله مثلا...﴾	112 - 111	163
﴿إنّ إبراهيم كان أمة...﴾	121 - 120	222-163
﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة...﴾	125	07-05.

(17) - الإسراء

الاية	رقمها	الصفحة
﴿سبحان الذي أسرى...﴾	01	101
﴿ذرية من حملنا مع نوح...﴾	08	163
﴿و لقد صرفنا للناس...﴾	89	208-51
﴿بالحسن أنزلناه...﴾	105	40

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(18) - الكهف

الاية	رقمها	الصفحة
﴿ربنا أتنا من لدنك رحمة...﴾	10	211
﴿و تقولن لشيء إني...﴾	23	19
﴿... و أحيط بثمره فأصبح...﴾	43 - 42	217
﴿قال ذلك ما كنا نبغي...﴾	46	216
﴿فوجدا عبدا من عبادنا...﴾	70 - 65	153

(19) - مريم

الاية	رقمها	الصفحة
﴿و أذكر في الكتاب مريم...﴾	10	99-93
﴿يا أبتي إني أخاف...﴾	23	214
﴿قل أراغب أنت عن...﴾	43 - 42	185
﴿و أذكر في الكتاب موسى...﴾	46	185

(20) - طه

الاية	رقمها	الصفحة
﴿إنني أنا الله لا إله إلاّ أنا...﴾	14	22-72
﴿إنّ الساعة آتية...﴾	16	89
﴿إذهب أنت و أخوك...﴾	43 - 42	26
﴿إنا قد أوحينا إليك...﴾	48	214
﴿ربنا الذي أعطى كل شيء...﴾	50	203
﴿فما بال القرون الأولى...﴾	51	204

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿قال علمها عند ربي...﴾	54 - 52	204
﴿إنه ما يلت ربه...﴾	76 - 74	29
﴿و صرّفنا فيه من الوعيد...﴾	113	208
﴿و عصى آدم ربه...﴾	121	164

(21) - الأنبياء

الاية	رقمها	الصفحة
﴿أو لم ير الذين كفروا...﴾	32 - 30	200
﴿و تا اللّه لأكيدن...﴾	58 - 57	185
﴿يا نار كوني بردا...﴾	69	185
﴿لا إله إلا أنت...﴾	88 - 87	211-190-169
﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات...﴾	90	161
﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة...﴾	92	132
﴿وما أرسلناه إلا رحمة...﴾	107	54-52

(22) - الحج

الاية	رقمها	الصفحة
﴿إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم...﴾	01	28

(23) - المؤمنون

الاية	رقمها	الصفحة
﴿فلولا كان من القرون...﴾	73	155

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(24) -النور

الاية	رقمها	الصفحة
﴿و توبوا إلى الله...﴾	31	164

(25) - الفرقان

الاية	رقمها	الصفحة
﴿تبارك الذي نزّل الفرقان...﴾	01	54
﴿و كذلك جعلنا لكل...﴾	31	136
﴿و قال الذين كفروا...﴾	32	42
﴿و لقد آتينا موسى الكتاب...﴾	35	27
﴿أهذا الذي بعث اللّه...﴾	42 - 41	181

(26) - الشعراء

الاية	رقمها	الصفحة
﴿رب السموات و الأرض...﴾	24	22
﴿قال فرعون و ما رب العالمين...﴾	28 - 23	24
﴿إني لكم رسول آمين...﴾	108 - 107	174-130.
﴿أتبنون بكل ريع آية...﴾	130 - 128	202-11
﴿و أتقوا الذي أمدّكم...﴾	135 - 132	202
﴿كذبت ثمود المرسلين..﴾	143 - 140	174-89-25-12
﴿إني لكم رسول آمين...﴾	144 - 143	174-89-12
﴿أتتركون في ما هاهنا آمين...﴾	149 - 146	203-89-12
﴿و لا تطيعوا أمر المسرفين...﴾	152 - 151	89-33-12

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿كذبت قوم لوط المرسلين...﴾	165 - 160	25
﴿كذبت قوم لوط ...﴾	162 - 161	174
﴿كذبت أصحاب الأيكة...﴾	178 - 176	174
﴿و أتقوا الذي خلقكم...﴾	184	203-165
﴿و أخفض جناحك للمؤمنين...﴾	216	175

(27) - النمل

الاية	رقمها	الصفحة
﴿و علمنا منطق الطير...﴾	24	152-95
﴿قالت نملة...﴾	28 - 23	95
﴿و تفقد الطير...﴾	108 - 107	96-57
﴿قال أحطت بما لم...﴾	130 - 128	98-57-27
﴿وجدتها و قومها...﴾	135 - 132	57
﴿قال بها لخلي الصرح...﴾	143 - 140	226-153
﴿قال هذا من فضل ربي...﴾	144 - 143	163
﴿ضرب الله مثلا للذين كفروا...﴾	149 - 146	90 - 33
﴿أطيرنا بك...﴾	152 - 151	31
﴿أئنكم لتاتون الرجال...﴾	165 - 160	30
﴿قل لا يعلم من في السموات ...﴾	162 - 161	27

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(28) - القصص

الاية	رقمها	الصفحة
﴿وقالت لأخته...﴾	11	81
﴿و دخل المدينة على حين غفلة...﴾	16 - 15	210
﴿وجاء رجل من أقصى المدينة...﴾	21 - 20	104 - 102

(29) - العنكبوت

الاية	رقمها	الصفحة
﴿أحسب الناس أن يتركوا...﴾	3 - 2	179
﴿و لبث في قومه...﴾	14	184
﴿قل سيروا في الأرض...﴾	20	198
﴿إني مهاجر إلى ربي...﴾	25	102
﴿و تلك الأمثال...﴾	26	145
﴿و أقم الصلاة إنّ الصلاة...﴾	43	171

(30) - الروم

الاية	رقمها	الصفحة
﴿غلبت الروم...﴾	5 - 1	36
﴿ومن آياته أن خلقكم...﴾	20	200
﴿فطرة اللّه التي فطر الناس...﴾	30	65 - 64 - 63
﴿ظهر الفساد...﴾	41	34
﴿إنّ الذين آمنوا...﴾	56	30 - 28

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(31) - لقمان

الاية	رقمها	الصفحة
﴿و لقد آتينا لقمان الحكمة...﴾	12	162
﴿يا بني أقم الصلاة...﴾	17	180

(32) - السجدة

الاية	رقمها	الصفحة
﴿و جعلنا منهم آئمة...﴾	24	183

(33) - الأحزاب

الاية	رقمها	الصفحة
﴿لقد كان لكم في رسول اللّه...﴾	21	219
﴿يأيها الناس إنا خلقناكم...﴾	40	55
﴿و إنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم...﴾	45 - 46	155
﴿ودع أذاهم...﴾	48	177

(34) - سبأ

الاية	رقمها	الصفحة
﴿و قال الذين كفروا...﴾	7 - 8	129
﴿و لقد آتينا داود منا فضلا...﴾	10	164
﴿و لسليمان...﴾	12 - 14	94
﴿لقد كان لسبأ...﴾	14 - 18	163
﴿و ما أرسلناك إلاّ كافة...﴾	28	54
﴿قل إنما أعظكم بواحدة...﴾	46	67-197

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(35) - فاطر

الاية	رقمها	الصفحة
﴿الحمد لله فاطر...﴾	01 (7 - 8)	63
﴿ما يفتح اللّه للنّاس...﴾	02 (10)	31

(36) - يس

الاية	رقمها	الصفحة
﴿و أضرب لهم مثلا...﴾	13	102
﴿و جاء من أقصى المدينة...﴾	20 - 21	102 - 222

(37) - الصافات

الاية	رقمها	الصفحة
﴿و إنّ من شيعته لإبراهيم...﴾	83 - 98	129
﴿يا بني إني أرى في المنام...﴾	102	189
﴿يا ابت أفعل ما تؤمر...﴾	102	189
﴿إنّ هذا لهو البلاء العظيم...﴾	106	189
﴿و إنّ يونس لمن المرسلين...﴾	140	191
﴿فلولا أنه كان من المسبحين...﴾	143 - 144	169

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(38) - ص

الاية	رقمها	الصفحة
﴿أجعل الآلهة إلها واحدا...﴾	5 - 7	128
﴿إنّ كل إلاّ كذب...﴾	14	133
﴿و أذكروا عبدنا داود...﴾	17 - 19	164
﴿قال ربي إغفر لي...﴾	35	165
﴿فسخرنا له الريح...﴾	36 - 38	94
﴿و أذكروا عبادنا إبراهيم و إسحاق...﴾	45 - 47	172

(39) -الزمر

الاية	رقمها	الصفحة
﴿قل هل يستوي الذين يعلمون...﴾	09	149
﴿تقشعر منه...﴾	23	47 -38
﴿قرآنا عربيًا غير ذي عوج...﴾	28	——
﴿إنكّ ميت...﴾	30 - 31	28

(40) -غافر

الاية	رقمها	الصفحة
﴿إني عذت بربي و ربك...﴾	27	29-28
﴿أقتلوا ابناء الذين...﴾	25 - 26	186
﴿و قال الذي آمن يا قوم...﴾	30 - 31	216
﴿يا قوم إني أخاف عليكم...﴾	32 - 33	215-29-28
يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا	39 - 40	209-29

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿و يا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة...﴾	41 - 42	157
﴿يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا...﴾	40	157
﴿لا جرم إنما تدعونني...﴾	43	215
﴿و لقد أرسلنا رسلا من قبلك...﴾	78	85

(41) - فصلت

الاية	رقمها	الصفحة
﴿و من أشد من قوة ...﴾	15	202
﴿و من أحسن قولا ممن دعا...﴾	33	154
﴿و لا تستوي الحسنة و لا...﴾	34	178

42 - الشورى

الاية	رقمها	الصفحة
﴿و كذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا ...﴾	07	47
﴿و ما أصابك من مصيبة...﴾	30	31

43 - الزخرف

الاية	رقمها	الصفحة
﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا ...﴾	03	47
﴿و لقد أرسلنا موسى...﴾	46	27

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

44 - الدخان

الاية	رقمها	الصفحة
﴿إنّ شجرة الزقوم طعام الأثيم...﴾	43 - 50	119

46 - الأحقاف

الاية	رقمها	الصفحة
﴿و هذا كتاب مصدق لسانا عربيا ...﴾	12	156
﴿فأصبر كما صبر أولو ...﴾	35	184-180-133

(47) - محمد

الاية	رقمها	الصفحة
﴿و لنبلوكم حتى نعلم ...﴾	31	84

(48) - الفتح

الاية	رقمها	الصفحة
﴿أشداء على الكفار ...﴾	(31) 59	73

(49) -الحجرات

الاية	رقمها	الصفحة
﴿يأيها الناس إنا خلقناكم ...﴾	13	56

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(50) - ق

الاية	رقمها	الصفحة
﴿أفلم ينظروا إلى السماء ...﴾	(13) 6-7	199

(51) - الذاريات

الاية	رقمها	الصفحة
﴿و في ثمود ...﴾	34	——
﴿كذلك ما أتى الذين...﴾	52	136
﴿و ما خلقنا الجن...﴾	56	56

(53) - النجم

الاية	رقمها	الصفحة
﴿فلا تزكوا أنفسكم ...﴾	32	19

(54) - القمر

الاية	رقمها	الصفحة
﴿إقتربت الساعة ...﴾	01	28
﴿كذبت ثمود بالنذر...﴾	23 - 32	87
﴿و لقد أنذرهم...﴾	36	——
﴿سيهزم الجمع...﴾	45	36

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(59) - الحشر

الاية	رقمها	الصفحة
﴿و يؤثرون على أنفسهم...﴾	09	73

(60) - الممتحنة

الاية	رقمها	الصفحة
﴿قد كانت لكم إسوة حسنة في إبراهيم...﴾	04	222
﴿ربنا عليك توكلنا...﴾	05 - 06	166
﴿لا ينهاكم الله...﴾	08 - 09	57

(61) - الصف

الاية	رقمها	الصفحة
﴿و إذ قال عيسى...﴾	06	52
﴿يأيها الذين ءامنوا تقولون...﴾	32	73

(62) - الجمعة

الاية	رقمها	الصفحة
﴿سبح لله ما في السملوات...﴾	01	95

(64) - التغابن

الاية	رقمها	الصفحة
﴿قل إن كنتم تحبون اللّه...﴾	31	——

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(66) - التحريم

الاية	رقمها	الصفحة
﴿يأيها الذين آمنوا توبوا...﴾	8	164
﴿ضرب الله مثلا للذين كفروا...﴾	11 - 10	92

(67) - الملك

الاية	رقمها	الصفحة
﴿هل ترى من فطور...﴾	31	63

(68) - القلم

الاية	رقمها	الصفحة
﴿فأصبر لحكم ربك...﴾	49 - 48	135
﴿و إن يكاد الذين كفروا...﴾	52 - 51	54
﴿إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة...﴾	33 - 17	217

(69) - الحاقة

الاية	رقمها	الصفحة
﴿كذبت ثمود و عاد بالقارعة...﴾	4	29

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(71) - نوح

الاية	رقمها	الصفحة
﴿يا قوم إني لكم نذير...﴾	2 - 3	129
﴿يا قوم إني لكم نذير مبين...﴾	2 - 4	212 - 209
﴿قال ربي إني دعوت قومي...﴾	06	140-100
﴿...إستغفروا ربكم...﴾	10	212-206
﴿ما لكم لا ترجون لله وقارا...﴾	13 - 20	201
﴿ربي لا تذر على الأرض...﴾	26 - 27	185
﴿ربي إغفر لي و لوالدي...﴾	28	167

(72) - الجن

الاية	رقمها	الصفحة
﴿إنا سمعنا قرآنا...﴾	1	39
﴿و إنا من المسلمون...﴾	14 - 17	94
﴿عالم الغيب فلا يظهر...﴾	26 - 28	27

(73) - المزمل

الاية	رقمها	الصفحة
﴿يأيها المزمل...﴾	(73) 1 - 9	160

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(76) - الإنسان

الاية	رقمها	الصفحة
﴿و يطعمون الطعام...﴾	08	73

(79) - النازعات

الاية	رقمها	الصفحة
﴿و أما من خاف مقام ربه...﴾	40 - 40 -41	10

(80) - عبس

الاية	رقمها	الصفحة
﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه...﴾	24 - 43	70

(81) - التكوير

الاية	رقمها	الصفحة
﴿فأين تذهبون...﴾	26 - 27	54

(83) - المطففين

الاية	رقمها	الصفحة
﴿ويل للمطففين...﴾	1 - 6	14

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(85) - البروج

الاية	رقمها	الصفحة
﴿بل هو قرآن مجيد...﴾	22 - 21	40

(87) - الأعلى

الاية	رقمها	الصفحة
﴿بل يؤثرون الحياة الدنيا...﴾	17 - 16	28

(89) - الفجر

الاية	رقمها	الصفحة
﴿و تحبون المال حبّا جما...﴾	20	14

(91) -الشمس

الاية	رقمها	الصفحة
﴿و نفس و ما سواها...﴾	10 - 9 - 8 - 7	77 - 10
﴿كذبت ثمود...﴾	15 - 14	87

(98) - البينة

الاية	رقمها	الصفحة
﴿و ما أمروا إلاّ...﴾	05	172

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(99) -الزلزلة

الاية	رقمها	الصفحة
﴿يومئذ تحدث أخبارها...﴾	04	84

(100) -العاديات

الاية	رقمها	الصفحة
﴿و إنه لحب الخير لشديد...﴾	08	——

(105) -الفيل

الاية	رقمها	الصفحة
﴿ألم تر كيف فعل...﴾	سورة الفيل	109

(111) - المسد

الاية	رقمها	الصفحة
﴿تبت يدى أبي لهب...﴾	سورة المسد	118

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الرقم	الحديث	الصفحة
	(أ)	
1	"إنّ اللّه يبعث لهذه الأمة..."	41
2	"إنّك ستأتي قوما أهل كتاب..."	46
3	"أعطيت خمسا لم يعطهنّ أحد قبلي..."	55
4	"إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق..."	58 - 170
5	"ألا و إنّ في الجسد مضغة..."	58
6	"إني خلقت عبادي حنفاء كلهم..."	65
7	"أشهد أنّ لك ربًّا و خالقا..."	68
8	"أفضل الجهاد كلمة عدل..."	77
9	"الأنبياء إخوة لعلاّت..."	133
10	"أنا دعوة إبراهيم و بشارة عيسى"	166
11	"اي النّاس أشد بلاء، قال : الأنبياء ثم الأمثل،..."	180
	(ح)	
12	"الحائض لا تغتسل حتى ترى القصّة البيضاء"	82
13	"الحياء لا يأتي إلاّ بخير"	175
	(د)	
14	"الدعاء مخ العبادة"	162
	(ص)	
15	"الصبر ضياء"	179
16	"صم يوما شديد الحرّ ليوم النشور..."	159
	(ف)	
17	"فضلت على الأنبياء بست..."	55

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الرقم	الحديث	الصفحة

(ك)

18	"كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه..."	64
19	"كل مولود يولد على الفطرة..."	64

(ل)

20	"لا ينبغي للمؤمن أن يُذِل نفسه"	18
21	"لا تسأل الإمارة"	18
22	"لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين..."	41
23	"ليس شيء أكرم على الله من الدعاء"	162

(م)

24	"من زعم أنّه يخبر بما يكون في غد..."	27
25	"ما بال أقوام جاوزهم القتل اليوم..."	65
26	"المجاهد من جاهد نفسه..."	77
27	"مثلي و مثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل..."	133

(ن)

28	"نهى رسول اللّه ﷺ عن قتل أربع من الدواب..."	96
29	"نحن معشر الأنبياء لا نورث..."	152

(و)

30	"ويل لمن قرأها و لم يفكر فيها..."	68

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

المقدمة

الفصل الأول

الدعوة في القرآن الكريم

المبحث الأول: تعريفها ـ أركانها ـ مجالاتها.....3 ـ 20.

1 ـ تعريفها.....3.

أ ـ لغة.....3.

ب ـ إصطلاحا.....4.

2ـ أركانها.....7.

3 ـ مجالاتها.....9.

أ – المجال الإجتماعي.....10.

ب_المجال الإقتصادي.....14.

ج_المجال السياسي.....16.

المبحث الثاني:الأهداف الرئيسية للدعوة في القرآن الكريم.....21 ـ 34.

1_الدعوة إلى الإيمان بالله وتوحيده وعبادته.....21.

2_الدعوة إلى الإيمان بالرسل وتصديقهم وطاعتهم .....24.

3_–الدعوة إلى الإيمان باليوم الأخر.....28.

4_الدعوة إلى الإيمان بالقضاء والقدر .....31.

5_ الدعوة إلى الإصلاح وعدم الفساد في الأرض.....32.

المبحث الثالث: خصائصها من خلال بعض خصائص القرآن الكريم.....35-59.

1_ الدعوة إلىالله و الإعجاز القرآني .....35.

2_الخصائص الكبرى للقرآن الكريم ودلالاتها الدعوية .....40.

3_سمات القرآن المكي والمدني والدعوة إلى الله.....52.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الرابع :المناهج العامة للدعوة إلى في القرآن الكريم.....60 ـ 78.
تعريف المنهج: لغة وإصطلاحا.....60.
أولا: المنهج الفطري .....62.
ثانيا: المنهج العقلي والفكري.....66.
ثالثا: المنهج العاطفي .....69.
رابعا: منهج القدوة والأخلاق .....72.
خامسا: منهج القوة .....76.

الفصل الثاني

القصص القرآني وعلاقته بالدعوة إلى الله

المبحث الأول : تعريفه ـ عناصره والدعوة إلى الله.....81 ـ 104.
1_ تعريفه.....81.
أ ـ لغة .....81.
ب ـ إصطلاحا.....85.
2 ـ عناصره والدعوة إلى الله.....87.
1) ـ الأشخاص .....90.
2) ـ الموضوع والحدث .....96.
3) ـ الحوار .....97.
4) ـ الزمان .....100.
5) ـ المكان .....101.
العلاقة العامة بين عناصر القصص و الدعوة إلى الله .....103.
المبحث الثاني : أقسام القصص القرآني .....105 ـ 126.
أ) ـ القصة التارخية .....108.
ب) ـ قصة السيرة النبوية .....111.
ج) _القصة الغيبية .....120.
د) ـ القصة المركزة .....122.
هـ) ـ القصة المفصلة .....124.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث :أهدافه وأغراضه.....127 ـ 137.

أ) ـ تعميق العقيدة في النفوس .....128.

ب) ـ إثبات صدق الوحي .....130.

ج) ـ الإشارة إلى وحدة الرسالات .....131.

د) ـ تثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين .....134.

هـ) ـ بيان موقف الأمم من الأنبياء والرسل .....136.

المبحث الرابع: خلاصة العلاقة بين القصص القرآني والدعوة إلى الله...138-141.

الفصل الثالث

قواعد في الدعوة و الداعية

المبحث الأول: العلم والإدراك .....144 ـ 158.

1) ـ العلم المطلوب .....144.

2) ـ شواهد من القصص القرآني .....149.

3) ـ الإدراك .....154.

المبحث الثاني: الإتصال بالله .....159- 169.

1) ـ طرق الإتصال الله .....159.

2) ـ إتصال الأنبياء بالله .....164.

المبحث الثالث : الأخلاق.....170- 178.

1) ـ الأخلاق أساس الحياة والكمال .....170.

2) ـ أخلاق الإتصال بالمدعوين .....172.

المبحث الرابع : الصبر والإستمرار في العمل.....179-193.

1) ـ حقيقة الصبر وحاجة الداعية إليه .....179.

2) ـ صور من صبر الأنبياء في القرآن الكريم .....184.

3) ـ الإستمرار في العمل وسنة الله في ذلك .....189.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الرابع

قواعد في الأ ساليب و المدعوين

المبحث الأول: لفت الأنظار و العقول إلى خلق الله ونعمه.....197-206.

1) ـ أهمية هذا الأسلوب .....197.

2) ـ القصص القرآني وأسلوب لفت الأنظار والعقول إلى خلق الله.....200.

المبحث الثاني : الترغيب والترهيب.....207-218.

1) ـ أهميته.....207.

2) ـ الترغيب في القصص القرآني .....209.

3) ـ الترهيب في القصص القرآني .....213.

المبحث الثالث: القدوة والقوة .....219-226.

1) ـ القدوة .....219.

2)ـ القوة.....223.

المبحث الرابع: معرفة المدعوين.....227-233.

أـ المؤمنون.....228.

ب ـ الكفار.....229.

ج ـ المنافقون.....229.

د ـ أهل الكتاب.....231.

الخاتمة.....234-235.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس

فهرس المصادر والمراجع.....237-247.
فهرس الآيات القرآنية.....248-273 .
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.....274-275.
فهرس الموضوعات.....276-280

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية